خمسون عاماً
في جزيرة العرب

بقلم

حافظ وهبه

سفير المملكة العربية السعودية



خمسون عاماً

في جزيرة العرب

بقلم

حافظ وهبه

سفير المملكة العربية السعودية



الطبعة الأولى

١٤٢١هـ - ٢٠٠١م

رقم الايداع	١٠٦٠٦ / ٢٠٠٠
الترقيم الدولى	977-5727-70-7

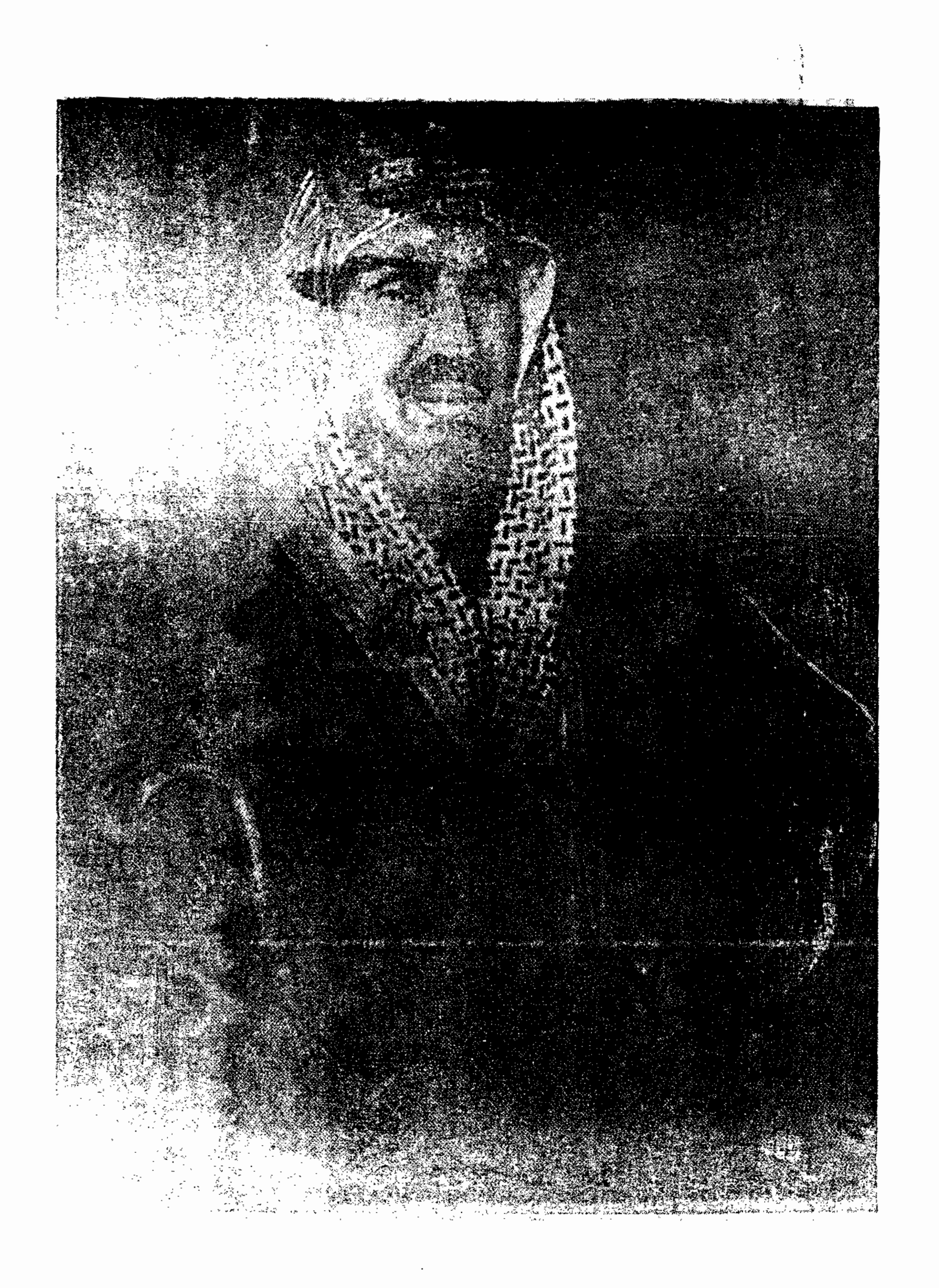


القاهرة - ٥٥ شارع محمود طلعت من شارع الطيران

مدينة نصر - ت : ٢٦١٠١٦٤



جلالة الملك سعود ...



جلالة الملك عبد العزيز عام ١٣٦٩ هـ = ١٩٤٩م





مؤلف الكتاب [illegible] العريض

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسوله الأمين .

وبعـد :

فإنى أقدم لأبناء العربية كتابى الثانى « خمسون عاما فى جزيرة العرب » ، وهو متمم لما بدأته فى كتابى الأول : « جزيرة العرب فى القرن العشرين » ، الذى عالجت فيه مسائل مشابهة لما جاء فى الكتاب الأول ، من وصف للأحداث السياسية والاجتماعية، التى وقفت على كثير منها بحسّى ومشاعرى، ووقع بعضها على مرأى ومسمع منى ، منذ قام عاهل الجزيرة الأكبر « عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل آل سعود » بتنفيذ ماعزم عليه ، من إعادة ملك آبائه « آل سعود » فى نجد ، إلى أن تم له تأسيس مملكته الكبيرة ، الواسعة المساحة ، المترامية الأطراف ، والتى شملت غربىّ الجزيرة وشرقيها ووسطها وشماليّها .

وقد حبّب إلىّ المُقام بجزيرة العرب ، ومخالطة أهلها ، مدة تقرب من نصف قرن ، أنها هى المكان الذى ظهرت فيه رسالة الإسلام ، واختير منه النبى الكريم ، لحمل أكبر رسالة فى تاريخ الديانات ، وأنه فيها نزل القرآن ، وتفجرت ينابيع الهدى المحمدىّ، الذى عم نوره معظم أجزاء العالم القديم ؛ ذلك إلى ما وجدته فى أهل جزيرة

العرب عامة، وأهل نجد خاصة، من استقامة الدين، والاستمساك بعقيدة السلف الصالح من المسلمين ، والعمل بشريعة الإسلام في الأحكام ، وإقامة العدالة بين الناس ، بفضل ما أذاعه فيهم فى القرن الماضى، المجدِّد الدينى ، والمصلح الكبير «محمد بن عبدالوهاب».

ومما زاد تعلقى بجزيرة العرب شخص الملك الراحل « عبد العزيز بن سعود » فقد رأيت فيه ملكا عظيما، وعربيا مخلصا ، يحب قومه العرب، ويخلص للإسلام وتعاليمه ، ويتوق إلى أن يؤسس مملكة عربية فتية ، تضطلع بأمر العرب ، وتعمل لإعادة مجدهم القديم ، وتسير على منهج التقوى ، والعمل بأحكام الشريعة الإسلامية الغراء ، كما يرغب فى النهوض ببلاده ومملكته ، حتى تبلغ مبلغ البلاد والممالك الراقية ، ولا سيما أن فيها الحرمين الشريفين ، اللذين هما موضع احترام المسلمين وحبهم ، وفيهما قبلتهم، وإليها حجهم .

وقد تحقق كل ما تفرسته فى همة الرجل العظيم الملك عبد العزيز ؛ فكانت أمور وأحداث سريعة متلاحقة شهدت معظمها ، وإذا «عبد العزيز» يتبوأ ملك آبائه ، ولا تقف همته عند ذلك ، فيستخلص شمال الجزيرة وغربيها من المناوئين له ، وإذا هو ملك المملكة العربية السعودية ، لاينازعه فى ملكه الواسع أى منازع .

تلك الأحداث والأطوار التى وقعت فى جزيرة العرب ، فى حياة الملك « عبد العزيز بن سعود » هى موضوع كتابى هذا ، الذى أذيعه باللغتين العربية والإنجليزية .

وقد ترددت كثيرا فى نشره ، لأن اسمى مقترن فيه بكثير من الأحداث ، التى كان لى شرف معالجتها ، أو الاشتراك فيها .

ولكنى وجدت أن واجبى نحو التاريخ ، يقضى علىّ بتدوين ماشاهدته وعاصرته من أحداث فى هذه الحقبة من الزمان ، وفى هذا الركن من العالم ، وأن واجبنا نحو الجيل الحديث ، أن نقف على الأحداث والأطوار التى حدثت فى الجزيرة العربية

من النواحى السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، والأزمات الكثيرة التى أحاطت بالرجل العظيم « عبد العزيز آل سعود » .

وإن رائدى فيما ذكرتُ فى هذا الكتاب ، هو تحرّى الصدق والحق ، وخدمة التاريخ ، لاخدمة الأشخاص ، فما كان لله والحق فسيبقى ، وما كان لخدمة الأشخاص ، فسيزول بزوال الأشخاص : « فأما الزّبَد فيذهب جُفاء ، وأما ما ينفع الناسَ فيمكث فى الأرض » .

وقد ألحقت بالكتاب طائفة من الوثائق والرسائل الصادرة عن جلالة الملك نفسه ، بأمره ، إلىّ أو إلى غيرى ، وكذلك بعض الرسائل الواردة إلى جلالته ، منى أو من الجهات المختلفة ، مما جرت له مناسبة فى تضاعيف الكتاب ؛ لأن هذه المستندات والوثائق ، لها قيمة كبيرة فى نظر علماء التاريخ ، وعند من يهمهم الوقوف على الحقائق من مصادرها الأولى ، الموثوق بصحتها ، وفى مقدمتها النصوص الصادرة عن جهات رسمية .

ولا أنسى بمناسبة ظهور هذا السفر، أن أسدي جميل الشكر إلى صديقىّ الفاضلين، السيد « محمود رياض زاده » ، و « الأستاذ مصطفى السقا » عميد كلية الآداب ، بجامعة الملك « سعود » بالرياض .

أما أولهما فقد حمل عني عبء ترجمة الكتاب إلى اللغة الإنجليزية ، لأنه من الذين يجيدون معرفة هذه اللغة وآدابها إجادة تامة . وغرضى من هذه الترجمة أن يطلع العالم الغربىّ على أطراف من سيرة الملك العظيم الراحل : « عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل آل سعود » ، ومبلغ ما حققته المملكة العربية السعودية فى عصره من التقدم والرقى .

وأما ثانيهما ، فلأنه حمل عنى عِبْء الإشراف على إخراج الكتاب وطبعه وتصحيحه ، فكثيرا ما كان يعرض لى السفر بين الرياض والقاهرة وأوربا ، فلا أتمكن من مواصلة الإشراف على الطبع بنفسى .

والله يهدينا جميعا إلى سواء السبيل ؟

حافظ وهبة

القاهرة فى { ٥ ربيع الثانى سنة ١٣٨٠ هـ
٢٦ سبتمبر سنة ١٩٦٠ م

فهرس الموضوعات

فهرس

البرقيات والرسائل والتقارير والمنشورات والمذكرات والخطب الواردة فى تضاعيف الكتاب فى غير الملحق الأخير

فهرس الرسائل

المتبادلة بين جلالة الملك عبد العزيز والمؤلف

وممثلي بعض الهيئات السياسية

فهرس الصور

صفحة

حياة المؤلف

بقلمه

قد يكون من المفيد للقارىء إذا كان شابا ، أن يقف على شيء من حياة المؤلف وتاريخه ، فهى فى الحقيقة تاريخ للحقبة التى نشأ فيها وترعرع ، والبيئات المختلفة التى عاش فيها . هى خمسون سنة أو أزيد ، ليست من حياة المؤلف وحده ، بل هى نصف قرن من تاريخ مصر والشرق الأوسط : كفاح بين الجهل والعلم ، والخرافة والحقيقة ، والأساطير التى ملأت أدمغة الأطفال فى عهد الطفولة التى عشناها .

ولد المؤلف فى ١٥ يولية ١٨٨٩ فى أحد أحياء القاهرة (بولاق) ، وهو حىّ امتلأ بجميع الطبقات ، على اختلاف الأعمال والمهن التى يزاولونها . يسكنه الفقراء والأغنياء والعمال ، وشأن هذا الحى كشأن غيره من الأحياء الأخرى ، مملوء بالخير والشر ، والجهل والعلم ، وإن كان الجهل هو السائد فى تلك الحقبة من الزمن .

لا ينتمى المؤلف إلى طبقة أرستوقراطية ، ولا طبقة الأغنياء فى ذلك الوقت ، لقد نشأ من أسرة متوسطة ، غناها فى عفافها ودينها ، وحب الخير ، والبعد عن الشر والأشرار ، وإصلاح ذات البين بين المختلفين من أهل الحى « علوة الحجاج » .

حين بلغت السادسة من عمرى أدخلت (الكُتَّاب) ، وهو نوع من المدارس الأهلية المنتشرة فى ذلك الوقت . والمدارس التحضيرية أو الابتدائية كانت قليلة .

والكتاب فى ذلك العصر يهيئ التلميذ لتعلم الكتابة والقراءة ، وحفظ القرآن وتجويده .

كان معلمنا (سيدنا) ممن أخذ طريقه فى الأزهر ، ولكنه لم يقو على استمرار الدراسة فيه .

وكان فتح الكتاتيب من المهن المتيسرة لمن أوتوا نصيبا قليلا من العلم، ولم يكن يحتاج إلى رأس مال .

كانت طريقه تعليم الكتابة والقراءة وطريقة حفظ القرآن ، من الطرق التى توارثها المعلمون . وكانوا يُسمَّون الفقهاء ، فهى طريقة واحدة فى جميع الكتاتيب . وكانت «الفَلَقة والجريدة» هما العقاب للكسلان أو المتخلف عن الحفظ . وكان العمل فى الكتاب يبتدىء من الصباح ، وينتهى فى المساء .

جلسنا نحو سنتين على الأرض، ثم شملت رعاية وزارة المعارف كتابنا، فأجلسونا على دِكك طويلة ، كل دكة تكفى عشرة من التلاميذ، وكان سيدنا يستعملنا أحيانا للسير فى تشييع الجنازات ، وكان ذلك شائعا فى ذلك الوقت .

وقد تطور سيدنا فى تعليمنا بعض التطور ، فسار بنا فى التعليم طبق بعض الكتب الحديثة فى ذلك الوقت ، مثل كتاب القراءة لعلى مبارك ، وأمين سامى ، وكتاب الحساب لإدريس بك .

كان الكتاب سجنا لا مدرسة ، وسيدنا مخيف بعصاه وشدته ، فلا غرابة إذا كنا نتآمر أحيانا على الهرب من السجن ، ترويحا للنفس فى حديقة من الحدائق العامة ، أو مماكسة الأطفال من سننا فى الطريق ، فلم يكن فى الكتاب شىء يصلح أن يكون مسليا للأطفال .

وسيدنا ، وإن كان يحمل قلبا طيبا ، إلا أنه صارم وشديد ، يعاقب على أتفه الأشياء، وعلى مايظنه خطأ ، يجب أن تهتز حين القراءة، فإن لم تهتز لتعب اعترى ظهرك، عدك سيدنا كسلان، ولسعك بالجريدة ، فلا غرابة إذا كرهنا سيدنا ، وتآمرنا عليه ، ولا غرابة إذا دعونا الله أن يريحنا منه ، ولكن الله لم يسمع دعاءنا .

لقد دخل عنصر النظافة كتابنا ، كما دخل فى أكثر كتاتيب حينًا، وذلك بفضل الإعانة التى كانت تصرفها وزارة المعارف كل سنة ، وكان المفتشون يمرون على المدارس من

شهر إلى آخر . مر علينا ونحن فى الكتاب « عاطف بركات » بعمامته ، كما فتش كتابنا الشيخ « عبد العزيز شاويش » وألقى علينا درسا فى تفسير سورة « أرأيت الذى يكذب بالدين »، ولا أظن أننا فهمنا من تفسيره شيئا، وربما يكون سيدنا قد فهم شيئا من شرح الشيخ شاويش، فهو أكبر بكثير من سننا، وربما كان عقله أوعى من عقولنا .

وفى السنة الحادية عشرة من عمرى كنت انتهيت من حفظ القرآن وتجويده ، وكنت أجدت الكتابة والقراءة ، على حسب ما كان يبلغه علم سيدنا ، وقد تعلمت من الحساب القواعد الأربع ، وبعض الكسور العُشْرية ، وهنا انتهيت من الكتّاب. فهل ألتحق بالأزهر ، أو ألتحق بإحدى المدارس الابتدائية ؟ ومعلوماتى فى الكتاب لا تقل عن السنة الثانية الأبتدائية ، ماعدا اللغة الإنكليزية ، فلم تكن من مواد التعليم فى الكتاتيب ، ومن أين لسيدنا المال ، حتى يأتى بمعلم للغة الإنكليزية ؟

هنا قامت مشادة بين والدتى وأبى . والدتى وأنا طبعا نريد أن أدخل إحدى المدارس الابتدائية ، فأقرانى فى الحارة قد دخلوها ؛ وأصبحوا يلبسون البدلة والطربوش ، وأبى يصر على دخولى الأزهر للبركة ، وكان للأزهر وعلمائه شأن كبير ، وتأثير عظيم فى البيئات المصرية ، وأنا أكره الأزهر فى هذه السن ، لأن كثيرا من المجاورين كانوا يحترفون القراءة على المقابر ، وأنا أكره أن أحترف هذه الحرفة . لا أكره أبدا أن أقرأ سورة من القرآن على قبر أحد ممن تربطنى به صلة ، بدون أجر طبعا ، أما أن يُطلب منى القراءة بأجر ، فقد كنت أكره ذلك أشد الكراهية . وقد انتصر أبى أخيرا ، فهو الرجل الذى يملك القوة والفصل فى أى خلاف .

لا حاجة إلى ذكر القصص والأساطير التى كانوا يخوفوننا بها فى الليل ، فالعفاريت تملأ الحارة ، بل تملأ الدنيا ، ولا غرابة إذا كنا نرتعش ليلا ونهارا إذا تركنا أهلنا وحدنا .

أما الأمراض فلكل مرض أسطورة. وأما المشايخ والأولياء فكانوا يقومون مقام الأطباء فى عصرنا ، ولكل شيخ اختصاص فى شفاء مرض ، ولا تزال هذه الخرافات مع الأسف باقية فى مصر . فمن يزور الحسين أو السيد البدوى ، ومن يمر ببوابة المتولى «باب زويلة» أو بقبر أبى العلا فى بولاق ، يرى العجب من سيطرة الجهل على العقول ، ولكن هذا مآله إلى الزوال بانتشار العلم ، و بالفعل قد زال ذلك من طبقة المتعلمين .

أما حالة البلاد الصحية فمياه الشرب كان يحملها السقاءون إلى البيوت ؛ من النيل مباشرة ، أو من بعض « الحنفيات » التى وضعوها أمام بعض الحارات . وليس هنالك مجارٍ عامة ، والمساجد كانت بؤرة للأمراض سواء أدواتها الصحية ، أو الأماكن التى يتوضأ منها العامة ، فقد كانت فى ذلك الوقت أشبه بأحواض السباحة ، كل يغسل وجهه ورجليه فيها ؛ وكان لكل بيت بئر ، ولكل مسجد بئر ، فلا غرابة إذا انتشرت الأمراض العامة والخاصة فى البلد ، ولم يكن يتمتع ببعض المزايا الصحية إلا عدد قليل ممن أعطاهم الله تراثا ، أو كان من أصل تركى ؛ أما نحن أبناء العرب أو الفلاحين ، كما كانوا يطلقون علينا . فلم يكن نصيبنا إلا ما كتب الله لنا من حياة تاعسة أو موت ، وما أكثر سكان القبور ممن تركوا هذه الدنيا ضحية الأمراض والجهل .

و إذا كان الله قد كتب لنا السلامة والحياة إلى اليوم ، فذلك بفضل المناعة التى منحتنا الله إياها ، وكم من إخوة لنا أشقاء ومعارف سكنوا القبور وهم أطفال أبرياء ، بسبب جهل الأمهات والبيئة التى كنا نعيش فيها .

والحمد لله الذى كتب لنا الحياة ، لنرى التطور العظيم الذى تطورته مصر والشرق الأوسط ، وهو و إن كان لم يبلغ الدرجة التى يريدها كل مصلح محب لبلاده ، والتى تتناسب مع زيادة السكان المستمرة ، إلا أنها خطوة مباركة ، تبشر بمستقبل زاهر ، لمصر ولسائر بلاد الشرق الأوسط .

وإن من يتتبع الخطوات السريعة التى خطتها اليابان ، فى نهضتها الصناعية والاجتماعية والسياسية ، بفضل قادتها المخلصين ، وزعمائها الصادقين ، ير أن الخطوات التقدمية التى يخطوها الشرق الأوسط ، وإن جانبها الخطأ أحيانا ، فإنها جديرة بإيصاله إلى الهدف الذى يتطلع إليه ، والذى يجب أن يصل إليه ، وإذا كنا قد تأخرنا عن ركب الأمم الناهضة ، فذلك أثر من آثار الاستعمار الأجنبى ، الذى طال أمده .

دخلت الأزهر على كره منى ، إطاعة لأمر أبى ، فوجدت بيئة غريبة ، وجدت الفوضى ضاربة أطنابها ، حلقات من الدروس بعضها بجوار بعض ، هذا يدرس الفقه ، وجاره يدرس التفسير الخ ، حتى الصلاة ، كل جماعة يؤمها فيها إمام ، والقبلة القديمة لها إمام ، والجديدة لها إمام ، فلماذا لا يصلى الجميع وراء إمام واحد ؟

أما القذارة فحدث عنها ولا حرج ، ولكنها على كل حال لا تختلف كثيرا عن الحياة التى ألفها أكثر الطلاب فى بلادهم ، والتى لا تزال ترى أثرها فى ريف مصر ، وعلى كل حال ، فقد ألفت الفوضى فى البيئة الأزهرية ، وقد أرشدنى أحد العلماء الذين كانت تربطه بوالدى رابطة مودة ، إلى اختيار أفضل السبل فى الدراسة ، حتى لا أضيع وقتى فى الحواشى والتقارير .

لقد كان خير ما فى الأزهر اختيارنا أساتذتنا بأنفسنا ، واعتمادنا على أنفسنا فى حب الاستطلاع ، فكان ذلك أفضل اتصال روحى بين الأساتذة والطلبة . وكان لكل أستاذ من أساتذتنا صلة خاصة ببعض الطلاب الذين يعرف فيهم الاجتهاد وحب البحث . لقد كانت الكتب التى نقرؤها تحوى كثيرا من الخرافات والأساطير ، التى تدل على جهل المؤلفين وضيق عقلهم ، ومما يؤسف له أشد الأسف اعتقاد بعض المشايخ صحة هذه الخرافات .

أذكر مرة أن أحد مشايخنا كان يروى قصة ذكرت فى إحدى حواشى الكتاب، وهى أن شيخا من المشايخ رأى أستاذا فى الجنة يدرس «السنوسية» لأطفال المسلمين ، ولم يكن ذلك الشيخ من كبار العلماء ، ولكنه كان يدرس السنوسية فى الدنيا .

فسألت الشيخ المحترم : لماذا لم يُدَارِسْهُمُ القرآن ؟ وهل دراسة السنوسية أفضل من دراسة تفسير القرآن ؟ وهل هنالك حاجة فى الآخرة للدراسة ؟

فسبنى الشيخ ، وقال : إن « بولاق » لا تخرج إلا الزنادقة .

وحضرت يوما مجلسا يُقرأ فيه البخارى لنصرة الدولة العثمانية وهزيمة الطليان . وكان من نصيبى قراءة كتاب البيع ، فبعد انتهاء الاجتماع ، أو ختام البخارى ، أسررت فى أذن رئيس الاجتماع، وكان من كبار العلماء : ماعلاقة القراءة بالنصر ؟ لماذا لا يقرأ القرآن ، وإن كانت قراءة القرآن وحدها لاتبعد الهزيمة عن أحد؟ وأين القراءة فى البخارى وغيره من قول الله تعالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » ؟ ولكن الشيخ لم يرضه قولى طبعا ؛ وقد سرت هذه الخرافة من الأتراك ، فقد كان فى موازنة البحرية التركية حتى سنة ١٩١٢ مبالغ تصرف لقراءة البخارى فى الأسطول التركى .

ونحمد الله على زوال هذه البدع المنكرة من مصر ، ومن كثير من البلاد الإسلامية .

وقد اشتهر فى أيامنا الشيخ «على حسين البولاقى» ، وكان من الموحدين ، وقد أعلن فى الأزهر وغيره حربا عوانا على مشايخ الطرق ، وعلى ماهو منتشر فى مصر من البدع والخرافات التي ألصقها الناس بالدين ، والدين براء منها . ومن المؤسف أن أكثر الكتب التى كانت متداولة فى أيامنا ، لا تخلو من هذه الأساطير والخرافات.

لقد تأثرت كثيرا ببعض دروس الإمام الشيخ محمد عبده، ولم أكن فى مستوى تلاميذه، فقد كان جلهم من العلماء والمستشارين، وكبار رجال التعليم فى وزارة المعارف، ولكن سمعنا من هذا المصلح مالم نسمعه من مشايخنا .

لقد سمعت أولى ماسمعت ، شرحه لقوله تعالى : « ياأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ». فسمعنا منه فى تفسير الصبر والتواصى به وبالحق والتقوى ، مالم نسمعه من قبل من مشايخنا ، فضلا عن العربية الصحيحة ، والإلقاء الآخذ بمجامع القلوب ، مما حببنى فى الرجل وإن لم أكن فى مستوى طلابه .

ولقد سمعته مرة يلقى حديثا عن محمد على باشا ، مؤسس الأسرة الخديوية ، بمناسبة مرور مئة سنة على ولايته ، فكان حديثا مملوءا بالحقائق والتاريخ الصحيح لمصر فى ذلك العهد . لقد كان الرجل مؤرخا صادقا ، وشجاعا غير هياب فى سبيل الحق ، وهو أمر لم يكن معهودا فى ذلك الوقت ، لا من العلماء ولا غيرهم . وسمعته مرة أخرى يثنى على الشيخ « محمد بن عبد الوهاب » ويلقبه بالمصلح العظيم ، ويلقى تبعة وقف هذه الدعوة الإصلاحية على الأتراك ومحمد على ، لجهلهم ومسايرتهم لعلماء عصرهم ، ممن ساروا على سنة من سبقهم من مؤيدى البدع والخرافات ، ومجافاتهم حقائق الإسلام .

ضقت ذرعا بالأزهر وحياة الأزهر ، فرأيت الالتحاق بدار العلوم ، وقد التحق بها بعض زملائى ، ولكن الحظ خاننى فى سنة ١٩٠٦ حيث رسبت فى الفحص الطبى للنظر ، فكانت صدمة شديدة لى . وقد حزنت على وفاة الشيخ « محمد عبده » قبل أن تتاح لى فرصة التزود من علمه وخبرته ، وقد كان الرجل يحمل للأزهر آمالا كبارا . كان يريد أن يتطور إلى جامعة مدنية ، كما تطورت أكسفورد وكمبردج والسوربون ، فقد كانت أول إنشائها كالأزهر ، لا تُعنى إلا بالعلوم الدينية والفلسفة النظرية ، ولكنها تطورت مع الزمن ، أما الأزهر فقد بقى كما هو ، يعيش على تراث المتأخرين ، والكتب التى كانت تدرس فى ذلك الوقت تنطق بهذا التأخر والتدهور .

لقد درست على الشيخ « محمد بخيت » كتاب الإشارات لابن سينا ، كما درست على الشيخ « محمد حسنين مخلوف » ، والد الشيخ « حسنين مخلوف » مفتى الديار المصرية

السابق أصول الفقه ، وبعض كتب المنطق، كالشمسية وقرأت العقائد النسفية، على بعض المشايخ المعروفين في ذلك الوقت .

ولكنى لا أخفى عليك أيها القارىء أن هذه الكتب في تعقيدها تبعدك عن المنطق واللغة العربية .

ودرست الكتاب الثالث من كتب محمد إدريس في الحساب ، على رجل من مدرسى دار العلوم ، هو الأستاذ أحمد عبد البر ، فرأيت من حسن إلقائه و ترتيبه ، مالم أجده من مدرسى الحساب من العلماء ، مما جعلنى آسف أشد الأسف لحرمانى الالتحاق بدار العلوم .

ولذلك كان سرورى لا يحد ، حينما صمم « سعد زغلول » وهو وزير للمعارف . على إنشاء مدرسة القضاء الشرعى ، لإخراج طائفة من العلماء ، من طراز آخر ، غير طراز متخرجى الأزهر في ذلك الوقت ، فاختار للمدرسة ناظرا من أكفأ من عرفتهم وزارة المعارف ، عقلا و إدارة ونزاهة، هو «عاطف بركات»، كما اختار للتدريس بعض كبار متخرجى دار العلوم ، ممن مارسوا الدراسة في مدرسة الحقوق ، مثل المرحوم الشيخ محمد زيد، والشيخ أحمد إبراهيم، والشيخ حسن منصور، والشيخ الخضرى، وغيرهم من الأفاضل ، كما اختار عددا من علماء الأزهر لتدريس بعض المواد الأزهرية ، مثل أصول الفقه، والتفسير و بعض المواد الأخرى ، التى كانت تدرس في الأزهر ، ولم أجد فرقا كبيرا بين الأزهر ومدرسة القضاء الشرعى ، من جهة المواد التى تدرس فيهما ، ماعدا النظام وترتيب الدروس وتحضيرها ، والنظافة والأناقة في اللباس .

صحيح أننا كنا نجد من أمثال الشيخ الخضرى والشيخ أحمد إبراهيم من سعة العقل ، وحرية الرأى ، ما لم نجده عند علماء الأزهر . ولقد وزعت علينا كتب أخرى لم تكن مقررة مثل كتب ابن القيِّم وغيره من العلماء المصلحين، فوسَّعت هذه الكتب بلا شك مداركنا من الناحية الفقهية ، ولا شك أن إخواننا الذين تخرجوا من المدرسة ،

ممن تولوا القضاء والإفتاء ، كان لهم فضل كبير فى إصلاح قانون الأحوال الشخصية، الذى كان يعتمد على مذهب الإمام إبى حنيفة وحـــده ، فقد أخذوا من المذاهب الأخرى ما كان أكثر تيسيرا على الناس ، ولا ننسى فضل وزارة الحقانية (العدل الآن) ، فقد كانت أكبر سند لهذا الإصلاح .

لقــد كنت ثائرا بفطرتى على الجمود ، كما كنت ثائرا على الاحتلال البريطانى ، كغيرى من الشبان . ولــكن جوّ المدرسة كان إنكليزيا . ربما كانت الظروف فى ذلك الوقت تدعو إلى ذلك ، فالخديو كان يحارب المدرسة، لأنها من صنع « سعد زغلول » ، ولأنها تدعو إلى إصلاح القضاء الشرعى ، الدعوة التى كان يدعو إليها الشيخ «محمد عبده» ويحاول جهده تنفيذها فى بيئة الأزهر ، ولــكن أجــله لم يطل حتى يقوم بتنفيذ فــكرته .

وكنت أعتقد أن المدرسة لا تقوم بالرسالة التى كان يجب أن تقوم بها نحو الإسلام ، ونحو الإصلاح الدينى .

ولقد وجدت من بعض الأساتذة حجرا على حريتنا الفكرية ، كما وجدت روح المَلَق والنفاق يسرى فى المدرسة ، كما كان يسرى فى الأزهر . ولذلك قررت ترك المدرسة وأنا فى السنة الثانية من القسم العالى ، وكان ترتيبى الثالث فى الفصل ، لأنى لم أجــد فى المدرسة ما كنت أصبو إليه من إصلاح ، فتركت مصر إلى الآستانة ، والتحقت بالصحيفة التى اعتزم المرحوم « الشيخ عبد العزيز شاويش » إصدارها ، وهى صحيفة الهلال العثمانى .

وهنا وأنا أودع مدرسة القضاء الشرعى ، أذكر أن من حق التاريخ علينا ، أن نذكر أن للمدرسة فضلا كبيرا على الأزهر ، كما أن بعض خريجيها ومدرسيها قد ساهموا فى إصلاح الأزهر ، كما ساهموا فى تدريس بعض المواد الجوهرية فيه ، فالمرحوم الشيخ

حسن منصور قد أسند إليه تدريس التفسير فى الأزهر ، فخلق روحا جديدة فى تلاميذه. ولقد قضى الملك فؤاد على مدرسة القضاء ، فقضى على ركن من أركان الإصلاح الاجتماعى فى بلده ، فى الوقت الذى لم يبن ركنا يحل محله . والأزهر – بالرغم من التطور الذى تطوره ، فى نظام التدريس والكتب التى تدرس وإلزام الطالب أستاذا معينا ، يؤسفنا أن نقرر أنه بعد موت الشيخ « محمد عبده » لم يقم فيه رجل يشبهه عقلا وجرأة فى سبيل الحق والإصلاح .

ولقد كانت الآمال كبيرة فى الشيخ « محمد مصطفى المراغى » ، أحد تلاميذ الشيخ محمد عبده البارزين . ولكن الخلاف السياسى الذى كان بين القصر والوفد ، لم يمكن الشيخ المراغىّ من القيام بتجديد يُؤْبه له فى الأزهر .

وبالرغم من عدم قيام الأزهر برسالته التى كانت تتطلبها مصر والعالم الإسلامى ، فإننا لا ننكر أن الأزهر قد أخرج فى فترات مختلفة علماء أجلاء ، ولكن صوت الإصلاح كان يضيع دائما بين ضوضاء الفوضى .

لقد تركت مدرسة القضاء الشرعى ، واستقبلت الحياة الصحفية مع زملاء أفاضل ، كالمرحوم الدكتور أحمد فؤاد ، والأستاذ المرحوم محمد جلال ، وبعض الشبان المصريين ، فكانت إدارة الجريدة ناديا للعرب والشرقيين . كان يقوم بالإنفاق على الجريدة ، حزب تركيا الفتاة ، وكان للشيخ شاويش علاقة متينة بأنور وطلعت وشوكت باشا ، وغيرهم من رؤساء الحزب . كما كان للمرحوم « محمد فريد » رئيس الحزب الوطنى صداقة وطيدة مع رؤساء الحزب .

لقد استقبلت الحياة الجديدة برضا وسرور ؛ بالرغم من أن الآستانة أو إستامبول ، على سعتها وكثرة مساجدها ، ليس بها ترام كهربى ، وجسرها الوحيد لا يصح أن يقارن بجسر قصر النيل أو الجيزة أو كبرى بولاق ، وقد تم بناؤه حديثا . وقد صدق أمير

الشعراء فى وصفه هذا الجسر بأنه واه ضعيف . وطرق الآستانة فى ذلك العهد لا تقارن بطرق القاهرة ، بالرغم من أن مصر فى ذلك العهد لم يكن بها طرق تذكر .

ولقد سمعت أحد الولاة القادمين من طريق الهند ومصر ، يحسدون مصر على احتلالها بالإنكليز ، وتمنى لو أن الإنكليز احتلوا تركيا ، فخلقوا منها بلدا متمدينا ، كما خلقوا من الهند بلدا عظيما .

لم تطب لى الحياة فى تركيا ، ولاسيما بعد أن رأى منى الشيخ عبدالعزيز انحرافا عن سياسته ، فقد كنت أعطف على الحركة العربية عامة ، وأرى أن من حق العرب أن يشاركوا الأتراك فى حكم بلادهم ، وإذا كنا فى مصر نطالب باستقلال بلادنا ، فمن حق العرب أن يطالبوا بهذا الحق ، والعرب لم يطالبوا بالانفصال عن تركيا .

ولقد طلب منى الشيخ عبد العزيز مرة أن أسافر مع وفد من السنوسيين وجمال الغزى للدعاية لحزب تركيا الفتاة ، فى الانتخابات التى كانت ستجرى هنالك ، فرفضت أولا ، لأننا لا نعرف البلاد ، وخير لكبار المصريين مثل الشيخ شاويش ، أن يكونوا وسطاء خير بين العرب والأتراك . وقد تم شىء من هذا بعد ذلك ، ولكن الأتراك لم يوفوا بعهدهم ، وغدر جمال باشا بزعماء منهم ، وشبان من خيرة شبابهم ، فأبعد شقة الخلاف بين العرب والترك ، وأتاح الفرصة للحلفاء ، لمناصرة «الشريف حسين» ، بإعلان ثورته ضد الأتراك .

وبعد أن خاب الأمل فى تركيا يممت شطر الهند ، وقد كنت تعرفت بعدد كبير من رجالها ، الذين زاروا تركيا فى أثناء حرب البلقان ، منهم السياسيون والأطباء والتجار ، وتعرفت فى «بمبى» ببعض تجار العرب ، منهم الكويتى والنجدى والحجازى ، وتوطدت بينى وبينهم روابط المودة والصداقة ، ولاسيما مع زعيم أسرة آل إبراهيم المشهورة . وفى «دلهى» تعرفت بالدكتور مختار أحمد الأنصارى ، وبالحكيم أجمل خان زعيم الطب العربى

المعروف فى الهند بالطب اليونانى ، ومحمد على وشوكت على ، وفى «لكنو» تعرفت بمولانا عبدالبارى ومولانا أبى الكلام أزاد ، وكان يصدر فى ذلك الوقت بكلكتا مجلته الشهيرة (الهلال) .

لقد وجدت مشاكل الهند السياسية : لاتختلف كثيرا عن مشاكل مصر ، وفيها الأحزاب السياسية المناوئة للإنكليز ، وفيها الأحزاب الممالئة لهم ، وفيها المتطرفون والمعتدلون . أما الشئون الدينية فالخلاف الأساسى كان بين المسلمين والهندوس ، وهو على أشده بين الطبقات غير المتعلمة ، كل جماعة تعمل على إثارة الجماعة الأخرى . المسلمون يعمدون إلى ذبح البقر ، ويصرون عليه ، على مرأى من الهندوس ، والهندوس يعمدون إلى الضرب بالصنج أمام المساجد فى الأعياد والجمع . أما الطبقات المتعلمة فقلما يتطور الخلاف بينهم إلى قتال بالسلاح أو بالعصى .

وأما علماء الدين فقد أسسوا مدارس خاصة لهم ، فكان منهم الجامدون الذين يكفرون كل من خالفهم ، ومنهم المجددون ، ومنهم المتوسطون .

وقد نجح السيد أحمد خان فى تأسيس كلية « عليكرة » التى أخرجت كل زعماء المسلمين ، الذين كان لهم يد أو أثر فى الحركة الاستقلالية فى الهند .

ولجامعة أكسفورد وكمبردج وغيرهما من الجامعات الإنكليزية ، أثر كبير فى خلق جيل جديد من العلماء والزعماء وذوى الرأى فى البلاد ، ممن كافحوا وجاهدوا فى الوصول إلى استقلال الهند .

لقد اتفقت مع الزعيم شوكت على ، على تأسيس مجلة إسلامية عربية هندية ، وقد أعددت أول عدد ، ولكن الحرب عاقت صدور المجلة .

وتركت الهند ميمما البصرة ، عندما علمت من بعض المصادر ، أن الحكومة البريطانية قد تعمد إلى اعتقالى ، ولكن القدر أبى إلا أن تقف الباخرة فى الكويت ، فنزلت بالكويت ضيفا على المرحوم عيسى بن قطامى ، من كبار رجال البحر بالكويت ، وفيها تعرفت أول ماتعرفت بالصديق الوفى ، الشيخ « يوسف بن عيسى

القناهى ، فحبب إلى الإقامة بالكويت ريثما تنجلى الحالة الحربية . فتعاونت معه على إدارة المدرسة المباركية ، فنظمت ساعات العمل ، وقسمت الدروس على المعلمين الموجودين .

وأخذت على عاتقى تدريس اللغة العربية والتاريخ والفقه ، وفى الوقت نفسه كنت ألقى بعض دروس فى الوعظ بالمساجد ، على نحو لم يعهده أهل الكويت من قبل .

وقد توطدت أواصر المودة والصداقة بينى وبين كثير من شيوخ الكويت وشبابه ، وتعرفت بالشيخ «مبارك» فى آخر عهده ، ثم بابنه الأكبر الشيخ جابر ، ثم بالشيخ سالم والد الشيخ «عبد الله» الحاكم الحالى ، وبأنجالهم الكبار : المرحوم الشيخ « أحمد » والشيخ الحالى « عبد الله السالم الصبّاح » .

لقد وجدت فى أهل الكويت الأمانة والوفاء والصدق فى المعاملة والتدين ، وإذا كان فيهم شىء من الجمود والمحافظة على كل قديم ، فالأحوال الاجتماعية السائدة فى تلك الأنحاء فى الخليج العربى والعراق ، كلها تساعد على هذا الجمود .

والكويت اليوم بعد كشف منابع الزيت ، تختلف عن الكويت القديمة فى كل شىء ، ففيها اليوم المدارس الكثيرة التى غصت بالطلبة العرب : كويتيين وغير كويتيين ، وفيها المستشفيات ونطس الأطباء . والواقع أن التطور عام فى جميع البلاد العربية ، ولكن التطور نجده ظاهرا أكثر فى البلاد الصغيرة فى حجمها مثل الكويت والبحرين وغيرها .

إن روحا عربية ووعيا قوميا ينساب فى البلاد العربية ، لم يكن موجودا من قبل ، ولكن العلم والراديو وسهولة المواصلات ، كان لها الأثر الفعال فى خلق هذه الروح . إن هذه الروح تبشر بمستقبل عظيم للأمة العربية ، وستتغلب هذه الروح على جميع العقبات

التى تقف فى سبيلها ، سواء أكانت هذه العقبات استعمارية أم محلية . حقق الله الآمال ؛ وأرانا العرب يتبوءون المنزلة اللائقة بهم ، وماذلك على الله بعزيز .

لقد رأينا فى النصف الأخير مالا يكاد يصدق : إمبراطوريات تزول ، وأمم تبعث من جديد .

إن يومنا خير من أمسنا ، وغدنا سيكون خيرا من حاضرنا ، إذا سلكنا الطريق السوىّ ، ونحن سالكوه بإذن الله وتوفيقه .

وفى الكويت تعرفت بالملك «عبد العزيز» فى سنة ١٩١٦ ، وكان يُعرف فى ذلك الوقت بالأمير عبد العزيز ، كما ترى ذلك مفصلا فى فصل يأتى بعد .

التحقت بالملك عبد العزيز سنة ١٩٢٣ بعد محن طويلة : اعتقال فى الهند ومصر من الإنكليز ، ونفى من البحرين ، والمحن والابتلاء هى خير مايقوِّى المرء ، ويخلق فيه العزم والتصميم ، وما رأيته من أصدقائى وإخوانى العرب فى البحرين والكويت ونجد ، من عطف وتأييد ، وماحبانى به الملك عبد العزيز من ثقة ، كل ذلك أنسانى مرارة الألم ، وقوَّى فىَّ روح الأمل فى هذه الأمة الكريمة ، القوية بإيمانها ، الغنية بتاريخها وأمجادها .

وكانت قصة نفيى من البحرين قصة غريبة ، تكشف عن الطريقة التى كان يتبعها بعض ممثلى الدولة البريطانيين فى الخليج العربى ، ضد الحق والقانون ، مما يندَى له جبين الحر ، وإن كانت هذه القصة تمس بعض الحكام ، الأحياء منهم والأموات :

فى أوائل سنة ١٩٢١ عين «ميجر ديلى» قنصلا فى البحرين ، وهو من الضباط البريطانيين التابعين للجيش البريطانى فى الهند (١) ، وقد اشتغل فى وظائف مدنية فى العراق ، وكانت له يد طولى فى إثارة الثورة العراقية سنة ١٩١٩ مع سواه من الضباط البريطانيين ، بما استعملوه من أساليب الغطرسة والاحتقار ، مما لم يعهده العرب .

---

(١) جميع القناصل كانوا يختارون من الضباط المذكورين .

بدأ عمله فى البحرين ببذر بذور التفرقة بين الشيخ «حمد آل خليفة» الابن الأكبر للشيخ « عيسى بن على آل خليفة » ، والشيخ «عبدالله بن عيسى الابن الأصغر» ، فأفهم الشيخ حمدا أن أخاه يسعى فى إبعاده عن ولاية العهد ، وفى الوقت نفسه صارح الشيخ عبد الله بأنه لا يستطيع التعاون معه ، وأخذ يهاجم معاونى الشيخ عبد الله ، ويتهمهم بالحق والباطل ، ونفى المرحوم «قاسما الشيراوى» بغير حق إلى الهند، بحجة أنه يثير الفتن ضد الحاكم .

لقد كان قاسم الشيراوى أحـد أعضاء مجلس التعليم فى البحرين ، وفى إحدى الجلسات حضر الشيخ حمد لأول مرة فى المجلس ، وطلب من أعضاء المجلس تنحية قاسم الشيراوى من المجلس ، لأنه يتدخل فى سياسة البلد، فانبريت للشيخ حمد وقلت : إن المجلس لا شأن له بالسياسة ، وإن قنصل البحرين لا يحق له التدخل فى شئون البلد الداخلية ، وإن من الخطأ السكوت على ذلك ، وإن مغبة السكوت على ذلك ستكون وبيلة على البلد ، وعلى حكامها .

إذ أن القنصل كان يشك فى مشروعية تصرفاته ، طلب من أحد المتعلقين بأذياله ، أن يطوف على تجار البلد، لإجبارهم على إمضاء عريضة يشكرونه فيها على أعماله الإصلاحية ، وبالطبع كان التهديد والوعيد نصيب كل من يتوقف عن الإمضاء ، ورفعت الورقة أو العريضة إلى رئيس القناصل فى الخليج ، لإطلاعه على ثناء الناس عليه ، ورضاهم عن أعماله وتصرفاته .

وبعد بضعة أسابيع جاء دورى .

وكنت اعتدت أن أجتمع ببعض الأصدقاء فى بعض الحوانيت ، نتحدث فى مختلف الشئون الاجتماعية والاقتصادية والدينية ، ولـكن فى ذلك اليوم كان حديثنا فى موضوع آخر ، هو هذا البلد ، وما يجرى فيه من أعمال وحشية .

روى أحد الحاضرين أن زوجة القنصل فقدت خاتمها الماسىّ ، فاتهمت خادمها

الخاص ، فأنكر ، فاستعمل السوط أداة للاعتراف ، وتحت تأثير الضرب قال الخادم إنه أعطاه لصائغ هندى ، فأحضر الصائغ ، وكان طاعنا فى السن ، فأنكر معرفته الخادم ، ولما أحضرت آلة التعذيب قال : إنى هنا فى هذا البلد منذ نصف قرن ، ولم يُعْرف عنى أى شىء يمس شرفى أو كرامة مهنتى ؛ وإنى مستعد أن أدفع أفدح غرامة ، إذا ثبت أن هذا الخاتم طرق محلى ، وأنا غنى من تجارتى ، ولست فى حاجة إلى الاتجار بالمسروقات ، فأخليت سبيله ، ثم أحضرالخادم ، واستعملت معه أدوات التعذيب مرة أخرى ، وتحت تأثير الضرب قال : إنه أعطى أو باع الخاتم لأحد الإيرانيين ، وكان يدير مُقْهًى ، فأحضر إلى القنصلية ، وكان لايستطيع الدفاع عن نفسه ، فوضع تحت آلة التعذيب ، فلم يحتمل الرجل آلام الضرب ، فتوفى بتأثير التعذيب .

ذلك كان حديث الناس فى هذا الاجتماع ، وفى غيره من الاجتماعات . وفى مجلس قاضى البحرين الشيخ «قاسم بن مهزع» ، وكنت أزوره كل أسبوع ، أخبرنى بتفاصيل الموضوع ؛ وأخذ يستنكر الحادث أشد استنكار ، وقال : لقد أنكر علىّ أحد القناصل السابقين حكمى على سارق بقطع اليد ، فكيف يجيزون لأنفسهم قتل نفس بريئة ، بسبب تهمة لم تثبت؟ فقلت: ياشيخ قاسم، لا شك أن القنصل قدأخطأ من عدة وجوه:

فأولا : كان يجب أن يترك التحقيق فى هذه القضية الشخصية لغيره .

وثانيا : كان يجب ألا يستعمل التعذيب كوسيلة للاعتراف .

وثالثا : حينما استعمل الجلد كان يجب أن يكون تحت إشراف طبيب ، والدكتور «منانى» وهوطبيب القنصلية ، اعترض على هـذا التصرف ، من جَلْد الأرانى المسكين بدون إشراف طبيب ؛ فقدأدى هذا التعذيب إلى موته .

فقال الشيخ قاسم : ماعهدنا مثل هذا من البريطانيين ، فهل أصبحوا يستعملون السوط بدل القانون ؟ فقلت له : إن هذا خطأ شخصى ، وليس من العـدل أن تحمل

الدولة الإنـكليزية خطأ فرد من أفرادها ، مهما يملك من سلطة .

عند هـذا الحد انتهت الزيارة .

وفى ثانى يوم من الزيارة ، وكان الموسم صيفا ، وكنت أسكن خارج البلدة، فى عريش مبنى من الجريد ، على حسب عادة أهل البحرين ، وكنت أسكن بجوار الشيخ عبد الرحمن الزيانى ، إذ أقبل علينا الشيخ حَمَد ، والد الشيخ سلمان الحاكم الحالى ، وقال : جئت لزيارتك . فقلت : هذا شرف عظيم ، وبعد أن تناول القهوة ، قال الشيخ حمد : جئت لأرجوك فى مسألة بسيطة ، فقل لى : قبلت الرجاء ، لقد ارتبكت ، فلم أدر بماذا أجيب . شيخ البلد يرجونى فى مسـألة ، وهو الآمر الناهى ، ولـكن أجبت الشيخ : لا أستطيع أن أجيب الرجاء قبل أن أعرف حقيقة الموضوع . وبعد أخذ ورد طويلين قال : جئت من عند الباليوز (القنصل) الآن ، فوجدته غاضبا وحانقا عليك ، متكدرا غاية التكدر، فقد نمى إليه أنك تحرض أهل البحرين ، وتثيرهم عليه ، بسبب هـذا الإيرانى ، وهو يقول إنك أجنبى عن البحرين ، وإنك مشمول بحمايته ، وهو يطلب أن تـكتب كتابا تعتذر فيه عما قمت به من إثارة الخواطر ، وتتعهد أن تلتزم السكينة ، وألا تتدخل فى المسائل السياسية . فقلت للشيخ حمـد : إنى لا أعتذر عن عمل لم يصـدر منى ، ولن أكتب تعهدا مطلقا ، وإنى مستعد أن أترك البلد إذا كان ذلك يرضيكم . وبعد جدال عنيف رأى الشيخ حَمَد أن أقابل القنصل ، وأوضح له حقيقة الموضوع .

وفى المساء تم الاجتماع مع القنصل ، بحضور الشيخ حمد الحاكم . وبعد استراحة قصيرة قال القنصل : لقد كنت أود أن أراك قبل الآن ، فأنت تشتغل بالتعليم ، وأنا يهمنى أمر التعليم ، ولقد بلغنى إثارتك الناس فى السوق ، فاستكثرت ذلك من رجل مهذب مثلك . لقد كنت أنتظر الدفاع عنى منك ، أو على الأقل أن تبادر بإخبارى

عما يدور فى مجتمع البحرين . وعلى كل حال أنا أعتبر الموضوع منتهيا بعد هذه الزيارة .
فأجبته قائلا :

ياحضرة القنصل :

إذا كان أحد أخبرك بشىء، فهو الشيخ قاسم بن مهزع ، فهو الرجل الوحيد الذى دار بينى و بينه نقاش فى هذا الموضوع ، ولم أبحث هذا الموضوع مع أحد مطلقا من أهل البحرين ، بل كنت مستمعا لما جرى، كغيرى من المقيمين فى البحرين .

أما أن أخبرك بما يدور فى المجتمعات ، فهذا أمر منهىّ عنه شرعا ، وأنا كما تعلم من رجال الدين ، قد يجوز أن أدافع عنك كصديق فيما أعتقد أنه حق ، ولكن لا يجوز أن أخبرك بما جرى فى مجلس من المجالس ، لأن ذلك يَحُطُّ الكرامة والشرف .

وبذلك انتهى الاجتماع ، ولكن يظهر أن القنصل لم يقنع ، فقد أرسل إلى القاضى المذكور ، وألحّ علىّ أن أكتب كتابا بالاعتذار، وكلما أكثرت من الاعتذار، أكثر هو من الإلحاح.

وفى سبتمبر سنة ١٩٢١ تلقيت الكتاب الآتى ، من الشيخ قاسم بن مهزع قاضى البحرين :

«وأسنى سلام الإسلام يحف حضرة السديد الرشيد، المرشد المربّى، الأوفق الموفق، العلامة الشيخ حافظ وهبة ، حفظه الله .

وإنى أحمد الله إليكم ، طالبا من حضرتكم الملاقاة ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته » .

فقابلت الشيخ المحترم ، ودار بينى و بينه حديث طويل فى كتابة كلمة للقنصل ، فكتبت الكلمة الآتية :

«جناب معتمد جلالة ملك بريطانيا العظمى فى البحرين : (س . ك) ميجر ديلى المحترم:
بعد التحية ، بناء على طلب وإلحاح الصديق الشيخ قاسم بن مهزع قاضى البحرين ،

أحب أن تتحققوا أنى لا أحمل لشخصكم الكريم إلا كل احترام وإكبار يليق بمثلكم وبمقامكم، وإن يدى ممدودة لمصافحتكم، ومعاهدتكم أنى سأكون عونا ومددا، ولشخصكم عضدا وسندا، مادمتم بالحق آخذين، وعليه قائمين، وللعاملين المخلصين مؤيدين، وللمظلومين ناصرين» ؟

المخلص

حافظ وهبه

وقد أطلعت على هذا الكتاب المجاهد العظيم، المرحوم الشيخ عبد الوهاب الزيانى، الذى نفى إلى الهند لنضاله ودفاعه عن استقلال بلاده، وتدخل القنصل فى شئون البحرين الداخلية.

وقد مرضت فى أثناء هذا النضال، حيث أصابتنى «الملاريا» بدون رحمة، والملاريا كانت مشهورة فى تلك المنطقة من قديم، فرأيت أن أغادر البحرين مؤقتا إلى الكويت لجفافها. فأقمت بها شهرا؛ ثم رجعت إلى البحرين، بعد أن وصلنى بضع برقيات تستدعينى إليها، ولكن ما كادت الباخرة تلقى مراسيها فى مياه البحرين، حتى رأيت الشيخ سلمان الحاكم الحالى ومعه رئيس بلدية (المنامة)، وهو رجل إيرانى يدعى محمد شريف، فصعدا إلى الباخرة التى كنت فيها، ثم طلبا منى أن أجتمع معهم فى الصالون، ففعلت، فأبلغونى الرسالة الآتية عن الشيخ عيسى والقنصل:

الشيخ سلمان بالنيابة عن جده، ومحمد شريف بالنيابة عن القنصل. فأما الشيخ سلمان فقد قال: إن جدى يطلب منك عدم النزول فى البحرين، لأنك تتدخل بالإفساد بين والدى الشيخ حمد، وعمى الشيخ عبد الله، وقد طلب من القنصل ذلك، لأنك لست من أهل البحرين. فبعد أن استمعت إليهم. قلت: جزاكم الله خيرا! اللهم اغفر لقومى فإنهم لا يعلمون. أما أنا فإنى راجع من حيث أتيت، وإنى

والله لا أحمل لكم إلا كل ودّ ومحبة ، وإنى أعلم الظروف التى أملت على الشيخ عيسى الرجل الوقور ما أملت . ثم انتقلت من الباخرة التى كانت متوجهة إلى الهند ، إلى باخرة أخرى كانت متجهة إلى الكويت . وهنالك وجدت محمد شريف على الباخرة . فقال : جئت لأودعك ، ولأعرفك أنك إذا كتبت الكتاب الذى طلبه منك القنصل على لسان الشيخ حمد والشيخ قاسم بن مهزع ، بالصيغة التى يطلبها ، فسيسمح لك بالنزول . ولتعرف أن العرب لن يفيدوك بشىء فقلت : يامحمد شريف ، لا تتعب نفسك ، لقد رفعتم من شأنى فى عيون أهل الخليج ، وخلقتم منى بطلا بهذا النفى ، فهل من المعقول أن أنزل بنفسى إلى ماتريدون من المذلة والهوان، قل لصاحبك إن قناة هذا الشاب لا تلين ، وإن السجن فى الهند وفى مصر ، لم ينل منه شيئا، بل قوّى إرادته ، وشحذ عزيمته ، وما ربك بغافل عما يعمل الظالمون .

ثم رجعت إلى الكويت فى شهر نوفمبر سنة ١٩٢١ ، واستأنفت عملى التجارى ، وإلقاء بعض دروس فى الفقه الإسلامى، والتاريخ ، والتطور الإسلامى ، كما كنت ألقى بعض دروس وعظ فى المسجد العام ، فى الخلق الإسلامى ، ووجوب تضامن المسلمين ، والأخذ بيد الضعفاء ، وإنصافهم من طبقة المستغلين . فثارت نفوس بعض كبار تجار اللؤلؤ ، واعتبروا هذا إثارة لحفيظة الغوّاصين ، وهم الطبقة الفقيرة من العمال .

وفى صيف ١٩٢٢ اشتركت مع أحد رجال البحر : المرحوم عيسى بن فطامى فى الطواشة، وهى شراء اللؤلؤ من الغواصين ، ثم بيع مايتجمع لدينا فى البحرين وغيرها من السواحل العربية ، فكانت تجربة مفيدة لى ، أتاحت لى الفرصة فى زيارة أكثر الموانىء العربية فى الخليج ، والتعرف إلى شيوخها ، وكبار تجارها . وقد خدمنى كثيرا مسلكى الدينى،وترفعى — والحمد لله — عن الدنايا . وفى إحدى رحلاتى،اجتمعت بالصديق الوفى، عبدالرحمن القُصَيبى، وهو أحَد التجار، والسماسرة الكبار، فى تجارة اللؤلؤ، فحبّب



الملك الراحل فى شبابه عام ١٣٤٥ هـ = ١٩٢٦ م

إلىّ الـكتابة إلى سلطان نجد « عبد العزيز بن سـعود » فـكتبت إليه كتابا ضمنته ما أعتقده من وسائل الإصلاح[١] .

فأجابنى عظمته بكتاب رقيق ، ودعانى لزيارة « الرياض » فيممتها ، ومن هذا الحين بدأ اتصالى بعظمته وجلالته ، كما تراه مفصلا فى هذا الـكتاب . وترى فى خلاله تفاصيل ما قمت به من أعمال فى خدمة هذه الدولة .

---

(١) تجد نص الـكتاب فى الذيل .

تمهيـــــد

جزيرة العرب

كانت « جزيرة العرب » موضع اهتمام المؤلفين والأدباء الأقدمين ، فلا تكاد تقرأ كتابا من كتب التاريخ القديمة ، إلا وتجد فيه فصولا قيمة عن جزيرة العرب . عن تاريخها الجاهلي المملوء بالأساطير ، وعن تاريخها بعد الإسلام : من حروب وفتن ، وشعر وأدب ، وحكمة وجغرافية .

وجزيرة العرب في هذا العصر الذي نعيش فيه ، تختلف اختلافا كثيرا عما اصطلح عليه الجغرافيون من العرب في القرون الوسطى ، وكثير من أسماء البلدان والبقاع قد عفا أثره ، وإن كانت البقاع لا تزال باقية في محالها ؛ فالرمال هي الرمال ، والجبال لم تتزحزح من مكانها .

وقد بقيت الجزيرة العربية عصورا طويلة ، معدودة من البلاد التي لاتعرف السكينة ولا الأمن ، فلم يقدم على الرحلة إليها ، واختراق صحاريها من غير العرب ، إلا المتنكرون والمغامرون ، وربما كانت مئة السنة الأخيرة ، أكثر السنين للرحالة من الأوربيين ، وأكثرهم من الإنكليز . وقد نافس الأمريكيون الإنكليز في الثلاثين سنة الأخيرة ، في التأليف والرحلة ، فكتبوا عن الأقاليم والقبائل وطبيعة الأراضي الشيء الكثير ، وربما كان (البترول) في العصر الحديث (لا العلم) هو الحافز على الكتابة والتأليف .

على أن الشيء الذى يسترعى النظر ، أنك تجد كتبا كثيرة فى اللغات الأجنبية ، لا يكاد يُذكر بجانبها مايُكتب بالعربية ، ولعل الوعى العربى السياسى يكون مشجعا للمؤلفين والرحالين على الكتابة فى شئون الجزيرة العربية ، مصدر الوحى ، والنور المحمدىّ ، الذى أضاءه محمد بن عبد الله، ومبعث النهضة التى هزت العالم ، وحررت بها العقول البشرية من عبادة الأصنام والأموات .

لقد بقيت جزيرة العرب محافظة على عزلتها وعاداتها وتقاليدها عصوراً طويلة ، فلم تكن تعبأ إلا بحياتها الخاصة : بالأمطار فى مواسمها ، وبحوادثها الداخلية التى لاتكاد تنقطع . وباستثناء مدد قصيرة من التاريخ ، لم تعرف الجزيرة العربية حكومة مستقلة بالمعنى الصحيح ، تهتم بشئون العالم الخارجى ، وتوطِّد صِلاتها به ، وربما كانت أول محاولة من هذا النوع ، هى محاولة (الملك حسين) ملك الحجاز فى ثورته على الأتراك وقد ترك القياد بعد انسحابه من الحجاز إلى « جلالة الملك عبد العزيز آل سعود » ، مؤسس المملكة العربية السعودية ، وموحد شرقيِّ الجزيرة وغربيِّها .

وقد برز اسم الجزيرة العربية ومدنها بعد كشف (البترول) ، فلم يكن يعرف فى أوربا وأمريكا اسم الظهران والدَّمّام ورأس تَنُّورة والكويت وقَطَر ، وسواها من البُلدان العربية ، قبل استخراج الزيت .

وباستخراج الزيت ، أخذت البلاد تتطور تطورا سريعا يفوق التصور ، فهنالك تطور فى تخطيط المدن ، وبناء البيوت ، وشق الطرق . وهنالك تطور آخر فى وسائل النقل والمواصلات ، فالسيارة ، والطيارة ؛ والسكة الحديدية . تقوم مقام النقل بالإبل والخيل والحمير . وتطور آخر فى ربط المدن والبيوت بعضها ببعض ، باستعمال البرق والهاتف السلكى واللاسلكى . وهنالك تطور آخر فى استخدام الوسائل الحديثة فى الزراعة : المضخات والجرارات بدل الحيوان .

ويسير مع هذا التطور جنبا إلى جنب التطور العلمى ، بالإكثار من المدارس في كل مدينة وقرية ، ولابد أن يؤتى هذا التطور ثماره فى خلق جيل حديث، يشعر بما عليه من تبعات نحو وطنه .

ولقد تبع هذه التطورات تطورات أخرى فى وسائل المعيشة ، وفى الحياة العامة والمنزلية ، وفى علاقة الناس بعضهم ببعض .

لقد كان النفير العسكرى سبباً فى إثارة الإخوان النجديين على الجيش المصرى ، المرافق للمحمل المصرى فى سنة ١٩٢٦ ، والنفير العسكرى يسمع اليوم فى كل مكان ، والموسيقى العسكرية تصدح فى كل مناسبة ، وتصدح بالسلام الملكى السعودى فى كل مناسبة رسمية ، ويطول الشرح لو ذكرنا أن ما كان ينكر على الناس بالأمس ، أصبح يقابل الآن بالسكوت ، بل الرضا والارتياح .

لاشك أن أول رائد للإصلاح فى الجزيرة : هو « الملك عبد العزيز » ، فإن عقله الواسع ، وبصيرته النافذة ، وحكمته الرشيدة ، وحزمه وعزمه ، وعقيدته السليمة ، مكنته من التغلب على الجهلة المتعصبين ، والرجل كان بسبب تدينه ، تغلب عليه روح المحافظة ولكنه كان يميل دائما إلى إصلاح بلاده ، وخير رعيته .

وقد حمل مِشعل الإصلاح بعد وفاته ولده الأكبر ، « الملك سعود » ، فأخذ يقتفى آثار والده فى الإصلاح ، فأصاب فى بعض النواحى ، وأخطأ فى بعض النواحى الأخرى ، وقد كان بالإمكان تلافى هـذه الأخطاء لو وجد من مستشاريه ووزرائه النصح والإرشاد .

ونحن فى هذا الكتاب «خمسون عاما فى جزيرة العرب» نحاول أن نسجل بعض الأحداث السياسية والاجتماعية ، التى عالجها أو واجهها الملك عبد العزيز فى الثلاثين

سنة الأخيرة من حكمه ، مما لم نسجله فى كتابنا الأول « جزيرة العرب فى القرن العشرين » .

وسنلحق بها الأطوار والأحداث التى حدثت بعد انتقاله إلى رحمة بارئه ، ونذيله بعدد وفير من كتب جلالته ، الصادرة فى مناسبات مختلفة ، لتكون مرجعا لدارسى هذه الحقبة من الزمان .

١

الملك عبد العزيز

هو عبد العزيز بن عبدالرحمن بن فَيصل بن تُرْكيّ بن عبدالله بن محمد بن سُعود مؤسس الدولة السعودية .

ولد عبد العزيز فى الرياض سنة (١٢٩٧ هـ = ١٨٨٠ م) فى الوقت الذى نشب فيه النزاع بين عميه : عبد الله بن فيصل ، وسعود بن فيصل ، فلم يدرك شيئا من أيام جده العظيم الإمام فيصل ، حين كانت نجد تتمتع بالرخاء والأمن والعدل .

لقد انتهز محمد بن رشيد فرصة النزاع بين ولدى الإمام ، والأتراكُ من ورائه يذكون نار الخلاف ، وأخذ يطوى نجدا بلدا بعد آخر ، فلم تأت سنة ١٣٠٨ هـ ، حتى خضعت نجد كلها لمحمد بن رشيد ، ولم يجد عبد الرحمن بن فيصل والد الملك عبد العزيز أن بإمكانه ، وهو ابن حكام نجد السابقين ، أن يعيش فى الرياض تحت سلطة من كان عاملا لوالده بالأمس . ولم تُجْدِه مساعيه لدى الأتراك فى الأحساء وبغداد ، أن يعيَّن حاكما على الرياض من قِبل الأتراك ، فقرر أن يغادر الرياض نهائيا فى سنة ١٣٠٩ هـ ، واختار الكويت مقراً له ولأولاده وبقية أفراد أسرته ، مكتفين بستين (ليرة) تركية ، أجْرتها عليهم الحكومة التركية ، « وتلك الأيام نداولها بين الناس » .

كان عُمْر عبد العزيز إحدى عشرة سنة ، ومع أنه لم ير إلا أيام البؤس ، وأفول نجم أسرته ، ولكنّ دم الإمارة وروح الطموح ما زالا يجريان فى عروقه ، فلم يقض مالاقاه من الشدة وشظف العيش وألم الهجرة على تلك النزعة، ولا على تلك الروح الأبية .

لقد سمعت من بعض أصدقائى الكويتيين الذين عاصروه ورافقوه فى طفولته ، أن عبد العزيز كان يفوقهم نشاطا وذكاء ، وأنه كان يتزعمهم دائما فى الألعاب المألوفة لمن كان فى سنه ، وأنه كان دائما يميل إلى سماع تاريخ جده الإمام فيصل ومغامراته ، من شيوخ نجد المسنين بالكويت .

لقد ضجر عبد العزيز من حياة الكويت ، وهى حياة كلها خمول وفاقة ، ولذلك عاهد الله بينه و بين من يثق به من إخوانه وأقاربه ومخلصى خدمه ، أنه سيجاهد ليسترد ملك آبائه وأجداده ، أو يموتَ فى سبيل ذلك .

وما قيمة الحياة التى يحياها فى الكويت ؟

كان لسان حاله ينشد قول المتنبي :

وما للمرء خيرٌ فى حياةٍ إذا ما عُدّ من سَقَط المَتاعِ

وقول عنترة :

لا تَسقنى ماء الحيــاة بذلةٍ بل فاسقنى بالعزّ كأس الحنظل
ماء الحياة بذلة كجهنمٍ وجهنمٌ بالعز أطيبُ منزلِ

خرج عبد العزيز من الكويت يطوى البيد طيّا، يغزو من يعترضه من القبائل، حتى وصّل إلى الرياض ، وتم له فتحها فى مغامرة تذكّرنا بأساطير الأبطال ، وذلك فى سنة ١٣١٩ ﻫ = ١٩٠٢ م .

إذا همَّ ألقى بين عينيه عزمَهُ وَنَكّب عن ذكر العواقب جانبا

وفى تلك السنة فتح شَقْراء وثُرْمُداء والرّوضة ، وسائر مدن سُدَير ، وفى سنة ١٣٢١ ﻫ فتح عُنيزة و بُرَيدة ، وسائر مدن القَصِيم .

وفى سنة (١٣٢٢ﻫ = ١٩٠٥م) كانت معركة البُكَيرية والشّنانة المشهورتين .

وفى (١٨ صفر ١٣٢٥ = ١٤ أبريل ١٩٠٦) قتل عبدُ العزيز بن رَشيد، أكبر وأقوى خصم له ولأسرته فى جزيرة العرب .

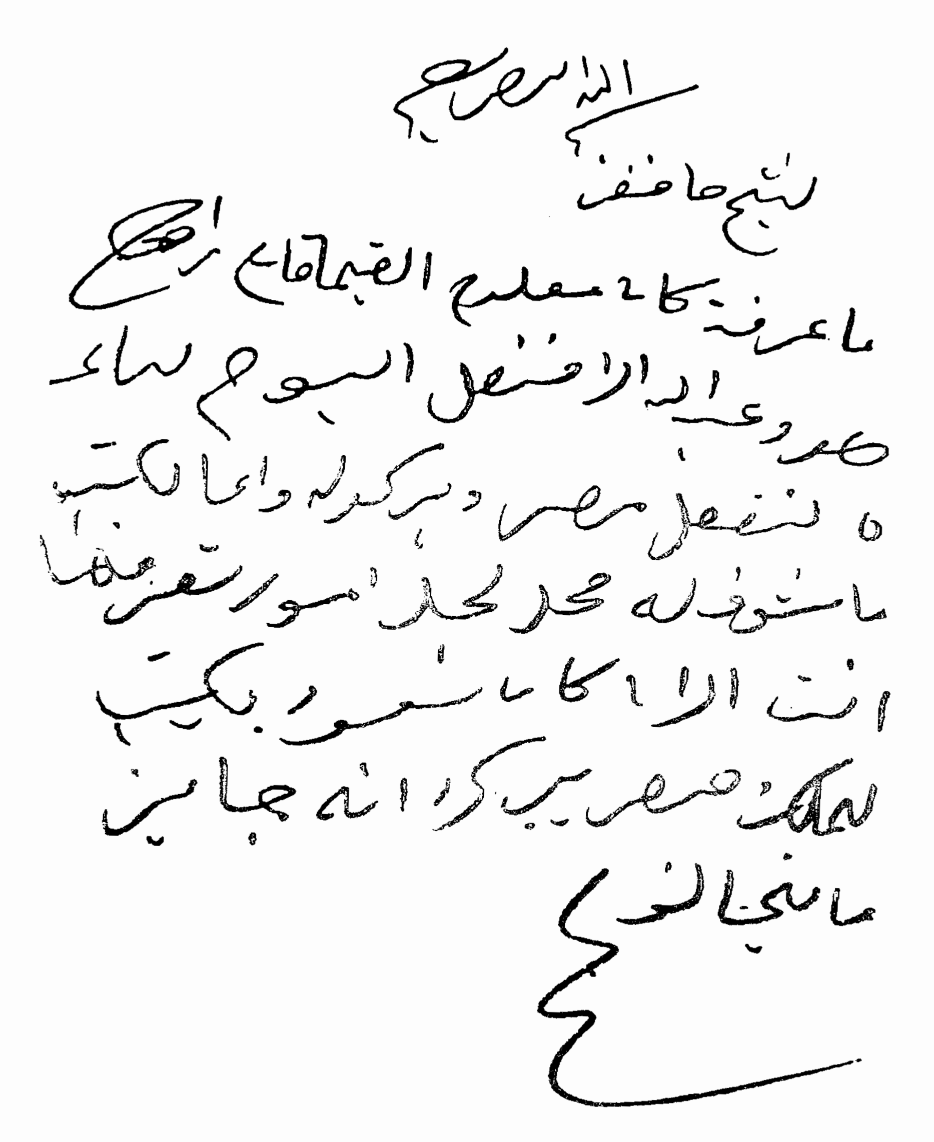
وفى (٥ جمادى الأولى من سنة ١٣٣١ = ١٢ أبريل سنة ١٩١٣ م) احتل مِنطقة الأحساء ، وفى (٢٥ شعبان سنة ١٣٣٧ هـ = ١٩١٩ م) كانت معركة (تُرَبَة) المشهورة ، التى قضى فيها على جيش الملك حسين بن على ملك الحجاز ، بقيادة ولده الأمير عبد الله بن الحسين (الملك عبد الله) .

وفى (٢٩ صفر سنة ١٣٤٠ هـ = ٢ نوفمبر سنة ١٩٢٢) سقطت «حائل» آخر معقل لابن رشيد ، وبذلك دانت نجد كلها للملك عبد العزيز .

وفى ٩ جمادى الثانية سنة ١٣٤٤ = ٥ ديسمبر سنة ١٩٢٥ تم الاستيلاء على «جُدّة» وتوحيد غربىّ الجزيرة وشرقيها، وانتهى حكم الأشراف من الحجاز. وفى ١٤ ربيع الثانى سنة ١٣٤٥ = ٢١ أكتوبر سنة ١٩٢٦ عُقدت معاهدة حماية على مقاطعة « عَسِير » . التى كان يحكمها السيد الإدريسى ، بعد أن تهددها الإمام يحيى بزحفه عليها، واستيلائه على ميناء الحُدَيِّدة . وفى نوفمبر سنة ١٩٣٢ ضُمت إمارة الإدريسى إلى المملكة العربية السعودية ، بعد أن ثبتت خيانة الإدريسىّ ، باتصاله ببعض الدول الأجنبية ، ومحاولته القيام بثورة ضدّ الحكومة ، وقد أصيب الملك عبد العزيز إصابات خطيرة، ولو أن إحدى هذه الإصابات أصابت مقتلا ما رأينا الجزيرة العربية تنعم بنعمة الأمان والرخاء والسّلم، الذى لم تعرفه منذ قرون طويلة .

لم يتعلم عبد العزيز فى طفولته ، فلم يكن بنجد أو بالكويت مدارس بالمعنى الصحيح ، ولم يكن الناس ولا سيما الحكامُ يُعنَون بالتعليم، ولم يكن للتعليم شأن يذكر إلا فى عصرنا الحاضر .

وكان عبد العزيز يصرح بذلك، معتذرا عن أخطائه الكتابية إذا كتب بنفسه ، ولكنه مع ذلك كان محدِّثا بارعا ، يخاطب كل جماعة بما يناسبها : لأهل الأمصار لغة ، ولأهل البادية لغة ، ولشيوخ العلم لغة . وكان يحفظ كثيرا من آيات القرآن ، وقسطا وافرا من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، كان يستشهد بها فى أحاديثه، وسترى فى ذيل هذا الكتاب بعض كتب جلالته إلى رجاله وكبار موظفيه .



صورة خطاب بخط جلالة الملك عبد العزيز إلى المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

الشيخ حافظ :

ماعرفت كان معلوم . القائمقام رجع هو وعبد الله الفضل اليوم من عند قنصل مصر ، وباركوا له وأما الكتاب ماأشوف له محل لأجل أمور تعرفها أنت . إلا إن كان سعود يكتب لملك مصر ، يبارك له ، فانه جايز مايخالف ؟

عبد العزيز

لايبالى بقواعدالنحو والصرف مادام يعرب عن قصده ، ومادام أمره يفهم وينفذ .

لقد كان فى أول عهده بالحجاز يكثر من الألفاظ الدارجة فى نجد ، مما لم يألفها أهل الحجاز ومصر ، وكان الحجاج المصريون والسوريون لايكادون يتفاهمون مع النجديين .

مما لاشك فيه أن اللغات العربية المحلية ، أو اللغات العامية الدارجة فى جميع البلاد العربية، يختلف بعضها عن بعض اختلافا بيِّنا ، حتى إن الشعوب العربية لا يمكن أن تتفاهم تفاهما صحيحا بغير استعمال اللغة العربية الأصيلة، فالمصرى والنجدى والعراقى لايتمكن تفاهمهم بغير استعمال اللغة العربية الأصلية للتخاطب والكتابة ، والكتب التى تكتب باللغة العامية فى بلد ، لاتروج فى بلد آخر ، بخلاف المؤلفات التى تؤلف أو تترجم باللغةالعربية الأصيلة ، فإنها تجد سوقها فى البلاد الأخرى ؛ وقد حدث هذا بالفعل فى أول اجتماع بين المرحوم الشيخ « محمد مصطفى المراغي » و «الملك عبد العزيز» فى سنة ١٩٢٥ وقد أوفد الشيخ من قبل «الملك فؤاد» للصلح بين الشريف علىّ المحاصَر فى جُدّة، و«السلطان عبد العزيز» .

فبدأ الملك عبد العزيز حديثه بالشكوى المريرة من الأشراف ، وسوء معاملتهم لأهل نجد ، وقال إن غرضه من فتح الحجاز هو استتباب الأمن فى الحجاز ، وفتح أبواب الحرمين لجميع المسلمين ، وتأمينهم على أرواحهم وأموالهم . لقد كان حديث « السلطان عبد العزيز » تغلب عليه اللهجة النجدية ، كما حوى حديثه بعض الكلمات المحلية ، التى تعذر فهمها حتى على الشيخ المراغى ، فوجد الشيخ المراغى أن من الصعب أن يجيب عن أسئلة « السلطان عبد العزيز» خشية أن يتكلم أو يتعرض لموضوع آخر لم يتناوله حديث «السلطان عبدالعزيز»، وقدقرأت الحيرة فى وجه الشيخ المراغى، فاحتلت لتأجيل الحديث إلى اليوم الثانى ، تاركا الفرصة للشيخ المراغى للتفكير.

وبعد انصرافنا قال لى الشيخ المراغى : لقد أنقذتنى من ورطة كبيرة ، لأنى وإن كنت فهمت إجمالا كلام السلطان ، ولكنى كنت غير مطمئن لفهمى ، لاختلاف لهجته عن لهجتنا ، وعن لهجة أهل السودان، فقلت له : وكذلك حال أهل نجد مع أهل مصر، فيسمون لغة المصريين رطانة ، لأنهم لايفهمونها .

وقد حدث مثل هذا تماما فى زيارة الملك السابق «فاروق» للملك عبد العزيز فى سنة ١٩٤٥ فى رَضْوَى ، قرب يَنْبُع ، فكان بعد كل حديث للملك عبد العزيز ، يقول لعبد الرحمن عزام : ترجم ياعزام .

وقد حدث فى أول عهدى بالاشتغال مع السلطان عبد العزيز، أن أملى على مذكرة طويلة ، عن بعض غزوات من عشائر العراق لعشائر نجد ، فبعد الانتهاء من الإملاء ، طلبت من عظمته أن يمهلنى مدة، كى أضع المذكرة فى قالب عربى ، فاستشاط عظمته غضبا ، وصاح فى وجهى : هل نحن عَجَم ! فأجبته على الفور ، لا يامولاى ، إنكم عرب ، ومن سادة العرب نسبا ، وهذا لايشك فيه إلا جاهل بالجزيرة وحكامها ، أما اللغة العربية التى نُزل بها القرآن ، فقد أمضيت من عمرى اثنتى عشرة سنة فى نحوها وصرفها وآدابها ، ومع ذلك فأنا لا أدعى الإحاطة بها ، ولا الوقوف على جميع أسرارها .

لقد قرأنا فى السيرة النبوية أن عمر بن الخطاب كان من أشد المشركين على المسلمين قبل إسلامه ، لقد أسلم هذا الرجل حينما سمع (طه . ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى) ... الخ .

فهل أدعى أنا أو يدعى غيرى، (وكم مرة قرأنا هذه السورة) أننا شعرنا بما شعر به عمر ، أو بواحد فى المئة مما شعر به عمر ؟ لماذا أثرت هذه الآيات فى عمر ؟ لأنه عربى، والقرآن نزل بلسان العرب ، لماذا ألفت التفاسير ؟ ولمن وضعت التفاسير ؟ وضعت

لأمثالنا ، الذين يدرسون اللغة العربية كأنها لغة أجنبية. هذا ما أردته يامولاى . فزال من عظمته الغضب ، واستبدل به ابتسامة تدل على الاقتناع والرضا ، فقال : صدقت . نحن عرب نسبا ، ولكن لغتنا بعيدة كل البعد عن لغة القرآن .

ولم يتنكر عبد العزيز لماضيه فى الكويت ، ولا لما قاساه من شَظَف العيش وقسوته فى أيامه ، بل كان يفتخر بذلك .

ولكنه صبر صبر الكرام ، حتى وصل إلى بناء هذه المملكة المترامية الأطراف، وإذا كانت نجد تفخر بـ«محمد بن سعود» مؤسس هذه الأسرة ، وفيصل العظيم جد عبد العزيز، فإن جزيرة العرب تفخر بعبد العزيز، فقد خَلَق عهدا من الأمان والطمأنينة، فى جزيرة العرب ، ولا سيما فى البلاد المقدسة ، لم تعرفه الجزيرة من قبل .

وقدمرت بعبدالعزيز ظروف عصيبة، حتى ظن الناس أن أمره قدانتهى، وأن نجمه قد أفل ، ولكن اعتماده على ربه، وتدرعه الصبر ، تغلبا على كل ماواجهه من مشكلات .

« والذينَ جاهدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنا ، وإن اللهَ لَمَعَ المحسنين » .

لقد عاداه الأتراك كما عادَوا أجداده من قبل،فانتصر عليهم فى نجد والأحساء ، وعاملهم معاملة كريمة، فأكرم قائدهم ، وأرسل جنوده إلى الحدود التركية، الحجازية أو العراقية.

وقد عاداه الأشراف ، فتغلب على رأس الأسرة الهاشمية : « الحسين بن على » بعد أن أعياه الأمر فى حل مشكلاته معه بالوسائل السلمية ، وعاداه الأقربون ، فتغلب عليهم ، وعفا عنهم ، وهو فى ذلك يتمثل بقول المتنبى :

وما قَتَلَ الأحرارَ كالعفوِ عنهمُ ومَنْ لك بالحُرّ الذى يحفظ اليَدا ؟

وقد نجح فى ذلك نجاحا عظيما ، واقتلع جذور الحَسَد والكراهية بعفوه وكرمه ؛ كما تمثل بقول الشاعر القديم :

فإن أكلوا لحمى وَفَرْتُ لُحومَهمْ وإن هدموا مجدى بنيت لهم مَجْداً

ولا أحملُ الحقدَ القديمَ عليهمُ   وليس رئيسُ القوم من يحمل الحقد

رأيناه يُدنى من كانوا أشد خصومة وعداوة له : بل صحبهم معه فى غداوته وروْحاته ، وكان يقول لمن يذكّره بماضى هؤلاء المحيطين به :

«لقد أعدت ضمائرهم إليهم ، وإنى أكاد أقرأ مايجول فى نفوسهم من أسف وندم على ماصدر منهم» .

كان عبد العزيز من أبر الناس بوالده وذوى قرباه ؛ كان يزور والده كل يوم ، ويستشيره فى مَهامّ الدولة ، ويطلعه على جميع الكتب التى يرسلها إلى حكام العرب، أو ممثلى الدولة البريطانية حيث كان اتصاله .

ولقد لاحظت مرة فى إحدى زوراتى للإمام «عبد الرحمن» والد الملك عبدالعزيز ، أنه لايقرأ الكتب التى ترسل إليه، ويردها مع الرسول كما هى، فسألته: لماذا لاتقرؤها ؟ لقدأرسلها إليكم عبد العزيز لتطلعوا عليها، ولترشدوه برأيكم إذا رأيتم فيها خطأ .

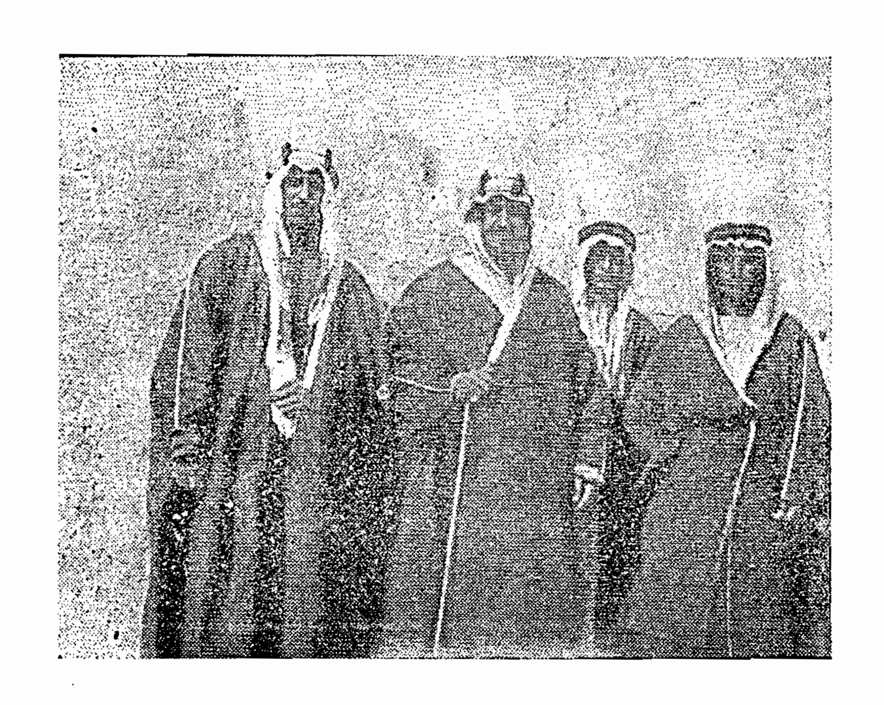
فقال : إن عبد العزيز موفق . لقد خالفناه فى آرائه كثيرا ، ولكن ظهر لنا بعد ذلك أنه هو المصيب ، ونحن المخطئون .

إن نيته مع ربه طيبة ، لايريد إلا الخير للبلاد وأهلها ، فالله يوفقه ، ويأخذ بيده ، و «إن تنصروا الله ينصركم» .

كان عبد العزيز يعمل لإسعاد شعبه ، ورخاء أسرته : يستدين لإسعاد الجميع .

يعاتبنى فى الدّين قومى وإنما   دُيونى فى أشياءَ تَكسِبهم حمدا

وكان لايضيق صدره إلا حين يقل المال فى يده، فلا يستطيع إغاثة الملهوف ، وسد حاجة المحتاجين والطامعين فى رِفده ، من البادية والحاضرة .



الملك الراحل والأمير سعود (الملك الحالى) صورة تذكارية
صورها المؤلف بنفسه عام ١٣٥٤ هـ = ١٩٣٤م

عبد العزيز القائد

كان عبد العزيز يدير معاركه بنفسه ، وكان رائده في معاركه خالد بن الوليد . كان يقسم جيشه إلى جناحين : جناح أيمن ، وجناح أيسر ، ثم يحتفظ بقسم من جنده في المؤخرة ، ليباغت به عدوه إذا اشتد القتال. وكان من عادته أن يصبح العدو بعد صلاة الفجر أو قبلها .

وقد حضرت معه أكثر من معركة ، وكان أول معركة حضرتها في «الرّغامة» ، وهي التلال الرملية المواجهة لجدة .

وكان جيشنا السعودي يتألف من الإخوان النجديين ، ومن الحضر الذين وفدوا مع جلالته من الرياض، وهم، وإن كانوا لا يحملون إلا البنادق ، فإنهم كانوا مؤمنين إيمانا صادقا ، ولهم عقيدة راسخة رسوخ الجبال ، فإما النصر ، وإمّا الشهادة في سبيل الله .

لقد استعنا ببعض المدافع التي تركها الملك حسين في مكة ، بعد مغادرته إياها هو وابنه الملك عليّ ، وأسند استعمالها إلى بعض الضباط العراقيين والسوريين والأتراك، الذين تركوا معسكر الشريف .

وكنت أشك في خبرتهم العسكرية ، ومعلوماتهم العامة تدل على أنهم لم يدخلوا حتى مدرسة ابتدائية ، ولكنهم على كل حال كانوا خير من يصلح لاستعمال المدافع ، وقد أشار جلالته ، وهو القائد والزعيم المطاع ، بوضع المدافع في العراء ، بدون حجاب يحجبها عن أنظار العدو ، نقلت لجلالته : إن هذا يعرض المدافع والضباط للخطر ،

و يجعلها هدفا ظاهرا للعدو . فنظر إلىّ جلالته نظرة استهزاء ، وسألنى : هل أنت ضابط؟ فقلت له : لا . هل تعلمت الفنون العسكرية ؟ فقلت له : لا ، ولكنى شاهدت فى حرب « البلقان » كيف يضعون المدافع فى الخنادق ، ويجعلون أمامها أكياسا كثيرة من الرمل . فقال : لا بأس من استعمال أكياس الرمل ، أما الخنادق فلا حاجة إليها ، ولكن عند ما أطلق الأعداء مدافعهم على رجال مدفعيتنا ، وقعت قنبلة على أكياس الرمل ، فمزقتها ، ونثرت الرمل فى الهواء ، وجرح أحد الضباط من شظية أصابته . وفى الحال أمر جلالته بحفر الخنادق ليلا تحت إشرافى ، فارتفعت منزلتى العسكرية عند جلالته ، وعند رجاله .

وأشهد أن جلالته بالرغم من الأخطار التى كانت تحيط به ، ما كان يتزحزح من مكانه ، لقد سقطت قنبلة أمام خيمته ، على بعد بضعة أمتار ، ولكنها لم تنفجر ، كما سقط غيرها على المخيّم فى « الرغامة » خلف تلالها ، وفى هذه المحنة سألنى جلالته وأنا بجانبه : هل أنت شجاع ؟ فقلت له : يامولاى ، لا أعلم ما الشجاعة ؟

إذا كانت الشجاعة أن أقول ما أعتقد ، فأنا شجاع ، وإذا كانت الشجاعة أن أكون بجانبك دائما ، مهما كانت الظروف ، فلا أدرى ماذا تسمون هذا ، أحياء أم شجاعة .

إن أخانا وزميلنا « يوسف ياسين » والدكتور « عبد الله الدملوجى » قد تركا المعسكر ، عندما بدأ إطلاق المدافع ، و بالطبع لم أتبعهما وان أتبعهما إن شاء الله ، ولكننى لا أخفى عليكم ، وأرجو ألا يكون ذلك ، أننى إذا فرت فصيلة من جندكم لأى سبب من الأسباب ، فقد تجدوننى كالغزال أمامها .

فقال : لن يحدث هذا إن شاء الله ، فقلت إذن صفونى بما شئتم ، فأنا معكم كالحجر ، لن يزحزحنى حادث من مكانى إن شاء الله .

عبد العزيز المجدد

لئن كان عبد العزيز لم يتعلم بالمدارس فى صغره ، لقد آتاه الله عقلا واسعا ، وعلما بأصول الدين وفهمه ؛ اكتسبه من اختلاطه بالمرحوم الشيخ العظيم عبدالله بن عبداللطيف ، شيخ علماء نجد ؛ وبسواه من العلماء ، ومن سماعه المتكرر لما يُتلى عليه من كتب الحديث والتفسير والآداب الدينية .

وله مواقف محمودة فى جميع الإصلاحات الحديثة ، التى أجراها فى المملكة العربية السعودية ، بالرغم من معارضة المشايخ وغيرهم من الإخوان النجديين ، إذ لم ير فى هذه الإصلاحات ما يتعارض مع الدين ، ولو أُعِين هذا الرجل بأمثال الشيخ «محمد عبده» من رجال الإصلاح ، لكانت بلاده المثل الذى يُحتذى فى التجديد الدينى .

لقد لاحظ جلالته فى مكة أنى لا أصلى من التراويح ، إلا ما كان يصليه النبى صلى الله عليه وسلم، كما صح عن عائشة رضى الله عنها، قالت: «ما كان رسول الله يزيد فى رمضان ولا فى غيره على إحدى عشرة ركعة . يصلى أربعا ، فلا تسل عن حسنهن وطولهن . ثم يصلى أربعا، فلا تسل عن حسنهن وطولهن . ثم يصلى ثلاثا » .

ثم قلت : إن اجتماع الناس على إمام ، لم يحدث إلا فى عهد عمر ، وعمر نفسه كان يحضر أحيانا، ويتغيب حينا آخر .

وبعد حديث طويل فى هذا الموضوع أمر جلالته ألا يُصَلَّى فى المسجد الحرام للتراويح ، أكثر مما كان يفعله النبى صلى الله عليه وسلم ، ولكنه عدل عن ذلك ، بعد أن راجعه المشايخ فى ذلك .

وقد أمر الناس أن يأتموا بإمام واحد فى الصلوات الخمس ، أيا كان مذهبه ، ولا يزال هذا جاريا حتى اليوم .

وقد كنت وضعت مشروعا لإبطال الوراثة فى وظائف المحترفين بإرشاد الحجاج (المطوفين) وإعطاء دروس فقهية لمن يريد احتراف هذه الحرفة، بحيث لا يسمح بمزاولة هذا العمل إلا لمن يحمل شهادة بذلك، ولكن المشروع توقف بعد بضعة أسابيع، إبقاء للحالة على ما كانت عليه ، فكان هذا إيذانا برجحان روح الجمود ، على روح التّجديد والإصلاح .

وأحيا جلالته كثيرا من تُراث السلف الصالح ، فأمر بطبع تفسير ابن كثير وسواه من أئمة التفسير ، كما أمر بطبع كثير من كتب السنة ، وشاهدنا فى كثير من الأمصار، انتشار كتب ابن القيِّم وابن تَيْمِيَّةَ ، ولا سيما فى بيئة الأزهر ، بعد ما كان هذان الإمامان وكتبهما من الكتب التى لا يهتم بها الأزهر شيوخه وطلابه .

ولا شك أن للإمام « محمد عبده » فضلا كبيرا فى خَلْق روح جديد من التفكير السليم .



جلالة الملك الراحل وولي عهده (الملك سعود الآن) في حفلة افتتاح
الخط الحديدي بين الدمام والرياض عام ١٣٦٩ هـ = ١٩٤٩م

عبـــد العزيز المصلح

لقد تمت عِدّة إصلاحات فى عهده ، كان بعضها مَثارَ بَلْبلة للأفكار ، وجدل بين رجال الدين ، لحلت السيارات والطيارات محـل الإبل ، وقُربت المسافات بين البُلدان، وربط البرق (اللاسلكى) البلاد بعضَها ببعض، وأجْرى الماء إلى جُدّة لأول مرة فى التاريخ ، بعد ما كان يعتمد أهلها على مياه الآبار والصهاريج غير الصحية ، فنمت جُدة ، وتضاعف سكانها ، وازدهرت اقتصادياتها ؛ ومُدّت السكة الحديدية بين ميناء الدّمام والرياض .

وبالجملة ، إن البلاد العربية السعودية قدتم بناؤها على يده ، بعدجهاد مرير ، وبعد فتن داخلية كثيرة ، وصراع بين العلم والجهل ، والتجديد والجمود . وقد أراد الله أن يقر عينيه ، فمتعه بثمرات غرسه ، فأراه الصحراء الجرداء تخرج «الذهب الأسود» ، فيعم الخير البلاد ، ويكثر العمل فى مختلف ميادين النشاط .

على أن الثروة العظيمة الطارئة ، قدصحبها كثيرمن الأخطاء ، ومن سوءالاستعمال. هنالك أيد كثيرة غيرأمينة امتدت إليها، فاكتالت منها لنفسها بغيرحق ، واغترف منها كل طامع ، لم يمنعهم خوف من الله ، أو عقوبة من سلطان .

وكنا نود ولا زلنا نأمل ، أن ينزل العقاب العادل بكل من أثرى من طريق غير مشروع ، فتحفظ ثروة البلاد للبلاد ، وتصرف فى خير وجوه الإصلاح ، والبلاد فى أشد الحاجة إلى الإصلاح .

وقد عاقب الملك عبـد العزيز بعض أولئك اللصوص من موظفى وزارة المالية ،

بعد أن دانتهم العدالة ، ولكن جلالته قد عفا عنهم أخيرا، وترك لهم الأموال المختلسة ، وهذا خطأ عظيم ، فإنه إذا جاز العفو عن العقوبة ، فإنه لايجوز بحال أن يترك مابأيديهم من مال اختلسوه ، كما لا يجوز إعادتهم إلى مناصبهم .

لقد كان هذا العفو تشجيعا غير مباشر للصوص والمختلسين والمرتشين، فإذا كان هذا جائزا فى حكومة لاتدين بالشريعة الإسلامية ، فإنه كثير على دولة دينية ، تستمد نُظُمها وأحكامها من كتاب الله ، وسنة نبيه ، وأحكام أئمة المسلمين .

فى صيف ١٩٥٤ كشفت الحكومة أن هنالك عصابة من موظفى وزارة المالية ، وبعض الشركات الصناعية الألمانية ، عقدت اتفاقا إجراميا ، لاستغلال واختلاس مال الدولة ، فألفت لجنة تحقيق من رجال لا تحوم الشكوك حول عدالتهم ، لقد دانت اللجنة هذه العصابة المتآمرة على مال الدولة ، وكشفت عن خطر المؤامرة ، فألغت الحكومة الاتفاقية التى عقدتها العصابة باسم الحكومة ، وقررت أن أية اتفاقية يكون أساسها النهب والرشوة واستغلال مال الدولة باطلة ، مهما كان مركز القائمين بأمر الاتفاق ، لأن مصلحة الدولة العامة تبطل أى اتفاق يقضى عليها .

وكانت هنالك فرصة سانحة للضرب على أيدى المستغلين لمصالح الدولة وأموالها ، من بعض طائفة الموظفين ، ولكن هؤلاء المفسدين استغلوا طيبة قلب «الملك سعود» ، فأصدر عفوه عنهم أجمعين ، وترك لهم مااستغلوه ومانهبوه من الأموال العامة . فكان ذلك مَدعاة للأسف، وصدمة لدعاة الإصلاح، الذين يحبون أن يروا فى العهد الجديد، الضرب على أيدى اللصوص والمستغلين ، ولكن لا يزال يراودنا الأمل فى أن نرى رُوح الإخاء والعدل والحق ، وألا يُترك المجال للمفسدين والمستغلين ، وأن توضع المصالح العامة للأمة ، فوق كل مصلحة شخصية ، وإن روح الإسلام وأسسه كلها تدعو إلى ذلك ، وتحض عليه ، ولا ينقصنا إلا القدوة الحسنة من الزعماء والقادة .

ولنذكر قول الله جلت قدرته : « وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة ، يأتيها رزقها رغدا من كل مكان ، فكفرت بأنعم الله ، فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون » .

وينبغى أن يضع الحكام أمام أعينهم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كلكم راع ، وكل راع مسئول عن رعيته » . وأن دماء الناس وأموالهم وموارد الدولة أمانة فى عنقهم ، هم مسئولون عنها أمام الله ، وأمام التاريخ . وأن إخلاص الحاكم لرعيته ، واعتبارهم كأبنائه ، هو أفضل صلة بين الحكام وبين الرعية ، والمحبة بين الحاكم والمحكوم هى خير الصلات وأقواها . وإذا كان يطلب من الرعية الطاعة ، فيطلب من الحكام أيضا العدل والمساواة بين الجميع ، والقرآن الكريم والسنة مملوءان بالشىء الكثير ، الجدير بالمحافظة عليه من الحاكم والمحكومين .

كان عبد العزيز يتمثل بقول الشاعر العربى القديم (الأَفْوه الأَوْدِىّ) :

تُهْدَى الأمور بأهل الرأى ماصَلَحتْ   فإن تولتْ فبالأشرار تنقادُ
لايصلح الناسُ فَوضَى لاسَراةَ لهمْ   ولا سَراةَ إذا جُهّالُهُم سادوا

وكنت كلما ذكر هذين البيتين أذكره بقسم من الحديث الشريف :
« إذا وُسِّد الأمر إلى غير أهله ، فانتظر الساعة[1] » .

وكنت أقول . إن الساعة هى ساعة الدولة ، والتاريخ أكبر شاهد على ذلك .

---

(١) قال ابن الأثير فى كتابه النهاية فى غريب الحديث : «وسد» : أى أسند ، وجعل فى غير أهله . يعنى إذا سود وشرف غير المستحق للسيادة والشرف . وقيل : هو من الوسادة ، أى إذا وضعت وسادة الملك والأمر والنهى لغير مستحقها ، وتكون « إلى » بمعنى « اللام » . اه .

وفاء عبـــــد العزيز

كان رحمه الله وفيا للصادقين المخلصين من رجاله ، لاتؤثر فيه الوشايات ، وكثيرا ما ينهَر الشاكى ، ويؤنبه أشد التأنيب ، فكثيرا ماسمعت أن بعض المبغضين لى كتبوا إليه عن أشياء نسبوها إلىّ ، أو أرسلوا إليه بعض قُصاصات الصحف التى تحتوى على أشياء يعتقدون أنها قد تُوغِرُ صدره ، فرد عليهم ردا زاجرا ، لعلهم يقلعون عن هـذه الوشايات السخيفة .

وكثيرا ما شاهدت بنفسى كثيرا من ذلك ، وقد طلبت منه مرة أن يحقّق أمر هذه الوشايات ، فإن كانت كاذبة عاقب المفترى ، وإن كانت صادقة عاقب المسىء العقوبة الرادعة . فقال : إذا حققنا هـذه المسائل ، كف الناس عن الكتابة إلينا ، ولـكنْ لنا عقول نُميز بها الصدق من الكذب، والحق من الباطل ، ونحن كثيرا ما نعرف الدافع لهـذه الوشايات .

كانت عادته فى السفر إذا حطّ الرحال للغـداء أو العشاء ، ألا يبتدئ الطعام حتى يحضر جميع رفاقه ، الذين اعتادوا حضـور مائدته ، فإذا تأخر أحدهم ، أرسل إحـدى السيارات لإحضاره ، خشية أن يكون قد أصابه عارض فى الطريق أخره .

أذكر أننا كنا فى ليلة من ليـالى الشتاء فى سنة ١٩٤٤ شديدة البرد ، فلم أشعر إلا وبخادمه الخاص «أمين» ، يدخل إلى خيمتى ، وبيده بطانيات من الكشمير الفاخر ، وبَدْرة من المال ، فقال : هذه البطانيات من جلالة الملك ، أرسلها إليك خشية عليك من البرد ،

والله يعلم أنى لم أنم حتى تلك الساعة من شدة البرد ، فشكرته طبعا على حسن صنيعه .

رحمك الله ياعبد العزيز رحمة واسعة !

وفى أيامنا الأولى قبل دخول الحجاز ، وفى السنين الأولى من دخوله ، كان يشركنا معه ، فى كل ماعنده من فاخر الطعام ، وكثيرا ما كانت تضيق صدور خدامه النجديين، بما كان يؤثرنا به ، ويشركنا فيه ، فقد كانوا يعتبروننا أجانب . أما هو فقد كان يعتبرنا من أهل الجهاد ، ومن الصادقين الصابرين .

ولم يكف عن إشراكنا معه فى الطعام ، إلا بعد أن تقدمت به السن ، ووهن منه العظم .

وكان عبد العزيز يكره الملق ، ويحب البحث والنقاش ، فى كل مايعرض عليه من الشئون الهامة ، ويكره كل الكره ما تعارف عليه الناس من قولهم (الشيوخ أبخص) : أى الحكام أعلم ، فكان يقول دائما : نحن بشر ، نخطىء ونصيب ، فإذا كنا أعلم ، فلماذا أسأل وأستفهم .

وإذا كان عبد العزيز أخطأ أحيانا فى تقديره الظروف المحيطة به ، فذلك لا يقلل من عظمته .

* كفى المرء نبلا أن تعد معايبه *

وكان من آيات عظمته ، اعترافه بالخطأ إذا أخطأ ، وكان دائما يقول : إنى لم أتعلم فى مدرسة ، بل علمتنى التجارب ، وعلمنى اختلاطى بالرجال ، وسماعى الكثير من أخبار عظماء التاريخ . لقد منحه الله عقلا كبيرا ، وبصيرة نافذة ، وزاده خبرة بالأمور ما كان يقدمه له مستشاروه من الآراء .

دخل أحد الأشراف المعروفين ، على المرحوم «الملك عبد العزيز» ، لتهنئته باغتيال «الملك عبد الله» ، فنهره وطرده من مجلسه ، وقال لايشمت بالموت إلا خسيس جبان :

إن الموت مصير كل حىّ ، وإن حادث اليوم ليكدرنى ويكدر كل عربى ؛ فإن روح الاغتيال يأباها الإسلام ، ويأباها العقل السليم ، وإن هذه الروح الخبيثة لا تنتج إلا الفوضى .

وأحيا عبد العزيز كثيرا من كتب السنة والتاريخ والفقه الإسلامى ، تلك الكتب التى ما كان يكتب لها النشر لولا رعايته وعنايته .

ورأى الناس فى عهده تأييدا للمجاهدين فى نصرة السنة ، ومحاربة البدعة ، سواء أكانوا فى بلاده ، أم فى البلاد الإسلامية الأخرى .

وكان دائما يتمثل بقول مالك رضى الله عنه : لا يُصلح هذه الأمةَ إلا ما أصلح أولها» . هذا فى عصر الإمام مالك رضى الله عنه ، فكيف بعصرنا الذى ساد فيه الجهل والفساد وانحلال الأخلاق .

أول اجتماعى بالأمير عبد العزيز

كنت حتى سنة ١٩١٠ لا يربطنى بنجد أو سكانها إلا ما يربط أى طالب بالأزهر أو مدرسة كالقضاء الشرعى ، بها دروس جغرافية عن جزيرة العرب ، لا تسمن ولا تغنى من جوع ، وبها قشور تاريخية أملتها الأغراض السياسية ، ومعلومات موجزة عن قبائل جزيرة العرب وأشجارها ونباتها وحيوانها ، لا تخرج عما دونه القالى فى أماليه ، والبكرى و ياقوت فى معجميهما ، والقاموس المحيط وغيرها من كتب الأدب واللغة .

نعم ، كانت هنالك رابطة رُوحية تربطنى بموحِّدى نجد ، قبل أن أتعرف إليهم ، هى استنكار الخرافات السائدة فى حَيِّنا وفى عصرنا ، من التبرك بالقبور ، والتمسح بأعتاب الأولياء ، والاستمساك بالعادات الموروثة القبيحة ، ويرجع الفضل فى ذلك إلى دعوة الشيخ «محمد عبده» وتلاميذه ، وإلى كتب ابن تيمية وابن القيم وغيرهما من أهل الحديث ، التى انتشرت فى أوائل هذا القرن .

لقد سمعت فى صغرى ثناء الشيخ «محمد عبده» ، وإطراءه للشيخ «محمد بن عبد الوهاب» ، ووضعه إياه فى عداد المجددين المصلحين ، كما أطرى آل سُعود الأولين ، وما طَدوه فى جزيرة العرب ، من إحياء معالم الشريعة الإسلامية ، وخلق روح جديدة .

وكان أول ما قرع سمعى عن «عبد العزيز بن سعود» ما كنت أقرؤه فى جريدة «المؤيد» عن الحروب التى كانت تدور بينه و بين خصمه ابن الرشيد ، وما كان «معروف الرصافى» الشاعر العراقى المشهور ينعاه على الفريقين ، لاشتغالهما بالحروب

فى الوقت الذى يحتاج فيه العرب إلى التعاون ، والأخذ بناصية العلم والحضارة ، والتحرر من سلطة الأتراك .

ثم دار الفلك دورته ، وقدر الله لى الهبوط على بعض السواحل العربية (الكويت)، فى سبتمبر سنة ١٩١٤،فاشتغلت بالتعليم والتهذيب والوعظ . اشتغلت بتهذيب النَّشَأ ، وتحرير العقول مما ألفته من عبادة المؤلفين وتقديس الكتب ، على غير المعتاد فى المجتمع الكويتى ، كما اهتممت بإصلاح مابين الطبقات الفقيرة والغنية ، وعلاقة الحاكم بالمحكوم ، بحسب ماتقرره شريعتنا الحنيفية ، فكانت دروس الوعظ أحيانا تغضب الحكام ، كما كانت غير مألوفة فى أسماع الأغنياء . ولكن بالرغم من ذلك ، وَجَدْت فى الكويت أصدقاء أوفياء ، وإخوانا أمناء .

وأول مرة رأيت فيها « عبدالعزيز بن سعود » وجها لوجه ، كانت فى سنة ١٩١٦ عند زيارته للكويت ، معزيا الشيخ جابر المبارك الصَّبَاح ، فى وفاة والده الشيخ مبارك الصباح، فقداجتمع كبار أهل الكويت لتحية الأمير «عبد العزيز بن سعود» ، والسلام عليه ، فكان كل حديثه أو خطابه ، تشديد النكير على الأتراك ، والحط من شأنهم ، واتهامهم بما أصاب الإسلام من ضعف ، وتأييدهم لكل بدعة ، ثم ختم حديثه بأنه لوكان فى بدنه قطرة من دم تميل إلى الأتراك ، لبذل كل وسيلة لإخراجها من جسمه .

وقد استاء أهل الكويت من تصريحاته ، لأنهم ككثير من المسلمين فى ذلك الوقت ، كانت عواطفهم مع الأتراك والألمان ، وكان الألمان منتصرين على الحلفاء فى جميع الميادين ، ولقد انصرف أعيان الكويت من مجلس ابن سعود غير راضين عن خطابه .

وقد استبقانى «الأمير عبد العزيز» فى حضرته ، فقد بلغه أنى كنت من المنتقدين لسياسة الشيخ مبارك ، وفتحه أبواب الكويت لقبائل العُجْمان ، و بيع مانهبوه من أهل « الأحساء » فى أسواق الكويت ، مع أن الفتنة التى نشبت بين العُجْمان

وابن سعود ، وقتل فيها سعد بن عبد الرحمن شقيقه ، كانت من أجل الشيخ مبارك ، فقد نهب العجمان إبلا له ولرعايا الكويت . فأخذ الرجل يطريني ويثني على في دفاعي عن الحق ، وأراد أن ينفحني بشيء من المال ، فرفضت ذلك ، وشكرته ، وقلت إن الدفاع عن الحق لا يحتاج إلى ثمن . ثم دار بيني وبينه بحث طويل ، عن المعاهدة التي عقدها حديثا مع البريطانيين . فانتقدت المعاهدة انتقادا شديدا مرا ، لأنها قللت من شأنه ، وقلت له في أثناء الحديث : إن كانت هذه المعاهدة لحمايتك من الأتراك ، فإن الأتراك والألمان إذا انتصروا في الحرب ، فلن يستطيع الإنكليز حمايتك ، وإن انكسر الألمان والأتراك ، فلست بحاجة إلى حماية البريطانيين . وبالرغم من عدم اقتناعه بوجهة نظري ، رأيت من سعة صدر الرجل وكريم خلقه ، ماحببني فيه .

وعلم بعد ذلك رحمه الله بما أصابني من حَبس وإبعاد من سُلطات الخليج ، لسبب واحد ، هو دفاعي عن الحق ، وانتقادي السياسة التي كان ينتهجها الوكلاء السياسيون في خليج فارس ، وجهادي في سبيل الإصلاح الديني والاجتماعي ، فتفضل رحمه الله وبعث إليّ بالكتاب الآتي ، جوابا عن كتاب أرسلته إليه في أواخر سنة ١٣٤١ هـ .

« (١) الرياض ٢٦ صفر ١٣٤٢ هـ

من عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل آل سعود ، إلى حضرة الأخ المكرم الأستاذ الشيخ حافظ وهبة المحترم ، حفظه الله تعالى :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، مع السؤال عن صحتكم ، وعنا ؟ بحمد الله تعالى على نعمه بخير . وبعد ، فقد أخذت كتابكم الكريم ، الدال على غَيرتكم الدينية ، وحميتكم القومية ، وعظيم اعتقادكم بنا ، فجزاك الله عنا وعن الأمة العربية خاصة ، والمسلمين عامة ، خير الجزاء .

---

(١) كان هذا الكتاب ردا على كتاب أرسلته لعظمته من البحرين ، أنصحه فيه بالاتصال بالعالم الخارجي ، والأخذ بناحية الإصلاح ، حتى تنهض البلاد إلى المستوى اللائق بها .

أيها الأستاذ ، جميع ماشرحه فضيلتكم من الآراء الصائبة فهمناه ، وهو والله الحقيقة التى أتمناها من صميم الفؤاد ، وإنا كما ذكرته حضرتكم ، فى حاجة إلى رجال عمل ، فهل تتمكن حضرتكم من القدوم علينا ، فقد عرّفتُ معتمدنا عبد الله النفيسى ، بمراجعة حضرتكم بهذا الخصوص ، فلا بد أن تبينوا له رأيكم بذلك ؛ وإذا عزمتم عليه ، فسيهيئ لكم كل ماتحتاجون إليه من لوازم السفر ، ويكون ذلك على حسب رغبتكم ، سواء على طريق الأحساء بحرا ، أو من طريق البر رأسا .

هذا مالزم بيانه ، ودمتم بحفظ الله محروسين . الختم

فلبيتُ الدعوة ، وسافرت إلى «الرياض» ، فوصلت إليها بعد أربعة عشر يوما من مغادرتنا الكويت ، بعد رحلة متعبة على الإبل وكانت أولى تجاربى فى اختراق الصحارى ، ومشاهدة البادية وأهليا ، التى قرأنا فى وصفها الشىء الكثير فى كتب الأدب .

كان أول خبر سمعناه عن «السلطان عبد العزيز» ، هو مرضه من قرحة فى شفته ، عجز عن إبرائها معالجة أهل الحى لها ، من كيّ وقراءة . ثم استعانوا بالطب الحديث بعد أن أعيتهم الحيلة ، فحضر من البحرين أحد الأطباء الأمريكانيين (الدكتور ديموند) فعالجها بالضمادات والجراحة ، فشُفى السلطان ، واستعاد صحته بعد أسبوع .

ولا شك أن هذه الحادثة وحادثة إصابته بالرمد بعد ذلك ببضعة شهور ، جعلته يؤمن بالطب الحديث ، وقد كان لذلك أثره فى تأسيس أول إدارة طبية فى «الرياض» . وفى أثناء مرض «عظمة السلطان» اجتمعت أكثر من مرة بالأمير سعود (الملك سعود الآن) والأمير فيصل ، فرأيت من تواضعهما وذكائهما وحرصهما على تتبع مايدور فى العالم الخارجى من حوادث وتطورات ، ماحببنى فى شخصيهما ، ووثّق بينى وبينهما برباط روحى قوى .

أول اجتماعي بالسلطان عبد العزيز بالرياض

كان أول اجتماع لي معه في حجرة متواضعة في قصره بالرياض. كانت الحجرة مفروشة فرشا بسيطا ، ولكن الرجل ملأها عظمة وجلالا ، وبعد أن حياني تحية كريمة قال : تكلم . فقلت :

قد سرني زيارة بلدتكم ، وسرني شغاؤكم ولقاؤكم ، ويسعدني ويسعد العرب أن نرى نجمكم يتألق في الأفق ، وأن يعرفكم الناس في خارج الجزيرة، كما عرفكم أهلها . فقال : وكيف ذلك ؟ فقلت بنشر أخبار الجزيرة في الخارج ، ونشر اختلاف جيرانكم معكم ، حتى يتعرف الناس قضاياكم ، وينصفكم الناس كما ينصفكم التاريخ . فقال : سنفعل ذلك إن شاء الله .

أريد أن تتولى هذا الأمر ، وأن تشتغل معنا ، وتعدّ نفسك واحدا منا ، وأريد أن يبتدئ عملك معنا بالاشتراك مع رجالي في مؤتمر الكويت .

فقلت يامولاي :

قدمت بلدكم زائرا لا موظفا ، وإني أشتغل بالتجارة بالكويت ، كما أشتغل بالتعليم بها ، وإني لسعيد بهذه الحياة الحرة ، فلماذا أترك الحرية إلى وظيفة تقيد حياتي ؟ فقال : ولماذا لا تضحي بشيء من حريتك في سبيل قومك ودينك . إننا لا نسعى إلى تقييد حريتك كما تتصور . وبعد تردد مني ، وإصرار من عظمته ، أجبته بالقبول ، ولكن بشروط ، فقال : وما الشروط ؟ فقلت :

الشرط الأول : أن توسع صدرك لكل ما تسمع مني ، ولك الحرية التامة في قبول ما أشير به أو رفضه .

الشرط الثاني : ألا تصرّ على أن أبدي رأيي في أية مسألة في مجتمع ما ، وإذا

رأيتني صامتا لاأبدى رأيا فى موضوع من المواضيع ، فمعنى ذلك أنى لا أريد إبداء رأيى فى ذلك المجتمع ، لسبب من الأسباب .

الشرط الثالث : ألا تعاملنى معاملة من رأيت من موظفيك . فإذا عاملتنى كصديق وجدتنى خادما ، وإذا عاملتنى كخادم وجدتنى ثائرا .

فقال على الفور : سأعاملك كأخ .

وقال : إنى فى حاجة إلى من يصارحنى ، فإن من يطربنى ويتملقنى كثيرون ، وكثيرون جدا ، وطالما ضاق صدرى من سماع قولهم (الشيوخ أبخص) : أى السلطان أعرف وأعلم .

ثم قال : لقد قبلت شروطك ، فهيا صافحنى وبايعنى . فقلت على ماذا ؟ فقال على الطاعة ، وموالاة من والانى ، ومعاداة من عادانى . فقلت : أما على الطاعة وموالاة من والاك ، فحق لاريب فيه ، وأما معاداة من عاداك ففيها نظر . لقد كان ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم ، فإن من عاداه فقد عادى الله ، أما أنت فبشر ، تخطىء وتصيب . ألا تترك لى حق البحث فى سبب العداء ؟ فقد يكون السبب وشاية واش ، وقد يكون خطأ يمكن إصلاحه ، برجوع من عاداك إلى صوابه . أليس ذلك خيرا من استمراره على عدائك ؟ إنك لست بحاجة إلى الإكثار من الأعداء ، بل أنت فى حاجة إلى الاكثار من الأصدقاء . إنى أعتقد يامولاى ، أن أول واجب علىّ وعلى رجالك ، أن نستأصل جذور الضغينة والحقد من النفوس ، وأن تصفو النفوس لك ، فإذا وجدتُ إصرارا من أحد على عدائك ، فحقك علىّ أن أناصبه العداء .

فقال : هذا حق ، وإنى لم أسمع من أحد تحليلا معقولا لهذا الموضوع كما حللت . ألهمنا الله الصواب ، وسدد خطانا .

ستكون من اليوم مستشارى الخاص . ثم أمر جلالته أن أطلع على جميع الأوراق الصادرة والواردة ، وأن أقوم بتحرير الكتب السياسية بعد استشارته .



صاحب الجلالة الملك «سعود بن عبد العزيز آل سعود»

ملك المملكة العربية السعودية



الملك الراحل بين المرحومين الدكتور سالم هنداوى

والدكتور جلال أبو السعود أطباء العيون المصريين عام ١٣٤٦ هـ = ١٩٢٦ م

عبد العزيز السياسى

لقد كان عبد العزيز سياسيا بارعا ، وكان واقعيا لا يخدعه الخيال ، ولا يتمسك بالأوهام ، ولا ينقص قدره مبالغته فى الحذر من الإنكليز .

أرسل إليه أحد كبار السياسيين السوريين كتابا مطولا(١) ، قُبيل فتح الحجاز ، يستحثه على غزو سُورية ، ويقول : إن جميع العرب ستكون بجانبه . وقد سلمنى الكتاب ، وطلب منى قراءته وإخباره برأيى . وبالطبع أبديت له رأيى بصراحة ، وقد وصف كاتب الكتاب ، بأنه لايعيش فى هذا العالم ، فهو لا يعرف وسائل مواصلاتنا ، ولا وسائل تموينا ، ولا من أين نشترى أسلحتنا ؟

فقلت له يامولاى : إن هؤلاء غرقَى ، يريدون الخلاص من حتفهم ، والغريق لايفكر فى مشاكل من سينقذه ، ولكن المنقذ هو الذى يفكر .

ولقد طلب منه السوريون المساعدات العسكرية فى أثناء ثورتهم ، فساعدهم ماليا .

وحاول بعض السوريين أن يستغلوه بترشيح الأمير فيصل لعرش سورية ، فملئوا جيوبهم بالمال ، ولكن الملك عبد العزيز كان لايفوته أن هذا كله دَجْل ، وأن الفرنسيين لن يخرجوا من سوريةَ إلا بالقوة .

واستنجد به السيد رشيد عالى فى سنة ١٩٤١ فى أثناء ثورته ، ولكنه رده ردا جميلا ، وأخبر رسوله المرحوم «ناجيا السويدى» بأن الثورة ستصاب بالخذلان .

وحاول فؤاد حمزة فى أثناء الحرب ، أن يغير موقفه الحيادىّ ، كما حاول هتلر

(١) أقرأ هذا الكتاب فى ملحق الرسائل بآخر كتابنا هذا .

وموسولينى أن يستميلاه بالوعود الكثيرة ، فلم يفلحا . لأن الرجل واقعى ، يعلم علم اليقين أن الأسطول الإنكليزى يموّن بلاده ، وإذا ضرب عليه حصارا ، أمات البلاد من الجوع . وإذا وقف الإنكليز دون وصول الحجاج ، فكيف يعيش الحجاز ؟ وقد أخفق هتلر وموسولينى وغيرهم من عاشقى الأوهام .

وقدر الإنكليز له هذا الموقف الودى ، فأعانوه منفردين مدة سنتين ، بما لا يقل عن أربعة ملايين من الجنيهات كل سنة ، ثم انضم إليهم الأمريكانيون ، فوصلت الإعانات إلى ثمانية ملايين من الجنيهات . قسم منها كان كأغذية ، من حبوب وسكر وشاى وأقمشة وأدوية ، وقسم آخر كان يرسل ذهبا . وكانت هذه المساعدات لتخفيف وطأة الحرب على الفقراء من الأهالى .

ولكن مما يؤسف له أشد الأسف : أن قسما كبيرا من هذه الإعانات قد استغلها المشرفون على المالية ، من الموظفين والمتصلين بهم من التجار ، وأن ذوى الملايين من الموظفين والتجار قد جمعوها من أقوات الشعب التاعس ، وجلالة الملك رحمه الله قد تقدمت به السن ، فلم يعد يصدّق مايبلغه من أخبار . وكثيرا ما كان جلالته يتحمل تبعة سوء تصرف موظفيه ، فيدافع عنهم أمام الإنكليز والأمريكانيين ، وكان هؤلاء يحترمونه : وإن كانوا يعرفون الحقيقة ؛ فأسواق القاهرة كان يباع بها الذهب جهارا سبائك ونقودا ، ولا شك أن تصرفات هؤلاء الموظفين أساءت كثيرا إلى جلالة الملك ، وإلى الدولة وسمعتها الدولية .

ومما يتصل بهذا الموضوع ، ما سمعته من السير فيروز نون ، وبعض أصدقاء تشرشل ، أن تشرشل ينوى بعد الحرب ، أن يكوّن من الشرق العربى مجموعة حكومات فدرالية ، يكون «ابن سعود» رئيسا لها . وقد أشار ويزمان فى مذكراته صحيفة ٥٢٤ وما بعدها إلى ذلك .

وربما كانت فكرة تكوين جامعة عربية ؛ وهى التى نادى بها إيدن سنة ١٩٤١

تمهيدا لهذه الفكرة ، ولكنها على كل حال قد ماتت بعد إسناد الوزارة البريطانية إلى وزارة العمال ، وهى معروفة بالميل إلى معاضدة الصهيونيين فى مطامعهم .

ولاينقص قدرالملك عبدالعزيز مبالغته فى الحذر من الإنكليز ، كما سترى فى الكتب المنشورة فى ذيل الكتاب ، من تردده فى نشر أول «كتاب أخضر» ، لتوضيح أوجه الخلاف بينه وبين الأشراف ، ليطلع عليها العالم الإسلامى ، وكذلك المبالغة فى مجاملتهم فى مختلف المسائل ، فقد سبق أن أنذره الإنكليز فى سنة ١٩١٩ بعد واقعة تُرَبة ، التى قضى فيها على جيش الشريف حسين ومُعَدّاته .

والرجل واقعىّ وعملىّ ، يقف عند الحد الذى تؤهله له قوته ، ولا يستمسك بالخيال ، وكان دائما يكرر القول المنسوب لعلى بن أبى طالب : « ماهلك امرؤ عرف قدر نفسه » . وكنت أردد البيت المشهور عندما يستشهد هو بهذه الحكمة :

لا يبلغ الأعداء من جاهلٍ ... ما يبلغ الجاهلُ من نفسه

وفاة عبـــد العزيز

لقـد مات عبد العزيز كما يموت كل حيّ ، ولـكن عبد العزيز حيّ في التاريخ، بما ترك من عمل خالد مشهور .

استولى عبد العزيز على الحجاز وقليل من الناس يحبه ، لأنهم لم يكونوا قد عرفوه والنفوس متأثرة بمأساة الطائف ، وما كتبه مغرضو المؤرخين عن عقائد النجديين . ومات عبد العزيز فبكاه أهل الحجاز جميعا ، لأنهم عرفوا فيه التواضع والـكرم ، وحبه للخير ، ومواسـاته للفقراء والبائسين ، فقد كان عهده على الحجاز عهد يسر وخير وبركة . تغمده الله برحمته ، وأسكنه فسيح جناته .

وقد رثاه العالم بما يستحقه ، وننشر فيما يلي رثاء مستر « كينث ماتوس » :

يؤسف الإذاعة البريطانية كل الأسف ، أن تعلن نبأ وفاة عاهل الجزيرة العربية، المغفور له جلالة الملك عبد العزيز آل سعود ، ملك المملـكة العربية السعودية .

مات عميد الأراضي الطاهرة، وشيخها الأكبر ، فمات بموته العربيّ الأول، حارس الـكعبة وقبر الرسول ، وحامي تقاليد الإسلام وتعاليمه ، وسُنن الشرع الحنيف وقوانينه. فخسر العالم العربيّ بموته زعيما من أصلب زعمائه عودا ، وأكثرهم خبرة ، وأوسعهم تجربة ، وأصدقهم فراسة ، وأعزهم ولدا ، وأكرمهم محتدا ، وأسخاهم يدا ، وأقواهم شـكيمة .

مات في الجزيرة العربية ملك أسّس ملـكه بحدّ السيف ، فحكم بحق الفتح ، معليا كلمة الحق والدين ، فانتشر في بلاده الحق ، وزهق الباطل ، وساد في ربوع ملـكه أمن وسلام ، ورخاء وطمأنينة ، يحلم بها العالم جميعا .

مات فيها رجل والرجال قليل ، رجل ضم لواء حكمه أكبر بقعة من أرض الجزيرة العربية ، حكمها رجل واحد ، منذ أيام النبي صلى الله عليه وسلم .

بدأ الراحل الكريم حياته العسكرية الناجحة وهو فى سن العشرين ، حين استولى على «الرياض» ، وهى المدينة التى أُخرج أبوه منها بالقوة ، وكان دخول عبدالعزيز تلك المدينة فى غزوة مفاجئة ، تشبه فى تفاصيلها قصص «ألف ليلة وليلة» ، لماحوته من خصال الشجاعة والفروسية والمغامرة والحظ ، ولم تمض بضع سنوات حتى مد عبد العزيز آل سعود، سلطانه على المنطقة المحيطة بتلك المدينة، وكانت تعتبر رسميا تحت سلطة الأتراك . فأثبت أنه رجل إدارى قدير ، وعمل على إقرار أتباعه فى قرى زراعية ، حتى ينشىء فى قبائل البدو الرحل روح الشعور بأنهم أفراد فى مجتمع قومى . ثم انتزع التقاليد البدوية القَبَلية ، وجعل بدلها الشريعة الإسلامية ، ودرّب جيشا ، اشترك فى العمليات الحربية ضد الأتراك سنتى ١٩١٤ ، ١٩١٥ .

وعندما سقطت الإمبراطورية العثمانية، شنّ ابن سعود سلسلة من الحملات ، لكى يوسع سلطانه فى البلاد العربية ، فدخل مكة المكرمة فى شهر ديسمبر سنة ١٩٢٤ ، ودخل المدينة المنورة بعد ذلك ببضعة أشهر .

و بعد مرور سنة نُودى به ملكا على المملكة العربية السعودية ، فى مسجد جُدَّة الجامع . فأقام نفسه ملكا مطلق السلطة ، لايسمح بأن يعارضه معارض ، ولكنه أقام من الأمن الداخلى فى البلاد، مالم تعرفه «جزيرة العرب» منذ قرون خلت ، وأتاح لأهل البلاد أن يشعروا بأن الأمور مستقرة استقرارا يرجى له الدوام .

وتعتبرمملكة الملك «عبدالعزيز آل سعود» فى نظر الغربيين ، من أبعدالبلادمتناوَلا ، ولكن الملك بقى حليفا دائما لبريطانيا ، وعاضد البريطانيين وحلفاءهم فى كلتا الحربين العالميتين . وفى أثناء الحرب الأخيرة غادر رحمه الله ملكه لأول مرة فى حياته ، متوجها إلى مصر ، حيث اجتمع بالرئيس روزفلت والمستر تشرشل ، وتباحث معهما بشأن قضية

فِلَسطين ، ونُصْرة سكانها العرب . وفى السنوات الأخيرة منح شركات النِّفط الأمريكية امتيازات فى بلاده ، وأخذ بعضُ بوادر الحضارة الأمريكية يظهر فى مدن المملكة. وكان رحمة الله غيورا حريصا على استقلال بلاده ، ولكنه انضم إلى الجامعة العربية فى نهاية الأمر ، وتعاون مع الدول العربية الأخرى فى مشكلة فِلَسطين .

كان جلالة الملك الراحل يرتدى الملابس البيضاء ، مَثَلُه فى ذلك مثل شيوخ العرب فى كل العصور ، وكان متمسكا بأهداب دينه وتعاليمه ، يقيم الصلاة فى أوقاتها ، ويؤدى الزكاة لأربابها ، ويفرض قوانين الشرع الحنيف فى غير لين أو هوادة ، فكم من يد سارق قُطعت ، وكم من قاتل أعدم جزاء وفاقا .

وكان رحمه الله إلى جانب ذلك ، مُقبلا على انتهاج سياسة الرقىّ والتقدم فى بلاده ، إذ جلب إليها كل ماتوصلت إليه المدنية من وسائل المواصلات ، كالسيارات والطائرات والقُطُر الحديدية ، فضلا عن الإذاعة ومشاريع العمران وما إلى ذلك.

مات فى الصحراء فاتح غاز ، وزالت من ربوعها شخصية قل أن يجود الزمان بمثلها. وكأن شوقى يعنى رثاء الراحل الكريم حين قال :

يموت فى الغاب أو فى غيره أَسَدٌ ... كل البلاد وِساد حين تتسد

فاللهم ارحمه رحمة واسعة ، وعَوِّض العرب والإسلام عن فقده عزاء وصبرا .

فاق المصابُ فداحة الطوفان ... فمحا الفَناءُ صحائفَ العرفانِ
وسَطَتْ على الدين الحنيف بليةٌ ... أبكت عليه سائرَ الأديانِ
يأيُّها الملك الأشمُّ بناؤُهُ ... بالله قل لى أين ذاك البانى ؟
أبكت وفاتُكَ أمةً وعشيرةً ... هزت منونُك جوهرَ التيجانِ
وبكى عليك المشرقانِ توجُّعاً ... وارتجت الأمصارُ والهرمانِ

لقد مات عبدالعزيز بعد أن أدى رسالته الخالدة ، فترك الأمانة إلى ولديه : «جلالة الملك سعود» ، وولى عهده «سمو الأمير فيصل» ، وسيكونان على عهده بهما ، محافظَين عليها ، عاملَين على ازدهارها .

٢
فتح الحجاز
والقضاء على رأس الأسرة الهاشمية

لقد ذكرنا فى كتابنا الأول «جزيرة العرب فى القرن العشرين»، تفاصيل المفاوضات التى جرت مع وفود العراق والأُردُنْ فى مؤتمر الكُوَيْت، والكتب التى كانت ترسل من الملك حسين بإيحاء الإنكليز، وكلها يدل على ما كان يُبيته الهاشميون لحاكم نجد. والملكُ حسين لا ينظر إلى «سلطان نجد» أو غيره من الحكام الآخرين، إلا كما ينظر السيد إلى تابعه. يملى شروطا على جاره، لا يمليها إلا المنتصر فى معركة حاسمة، وهو المدين ببقائه على عرشه للبريطانيين وحدهم، فهم الذين أجبروا ابن سعود على التراجع من «تُرَبة» سنة ١٩١٩، وقد كان فى إمكان جيوش ابن سعود أن تسقطه، كما أسقطته بعد ذلك بأربع سنوات، ولكن الأحوال الآن مختلفة، ولئن كان المؤتمر قد أخفق فى الوصول إلى تسوية معقولة، لقد أقنع المؤتمر «سلطان نجد» بأن جيرانه من الأشراف لا يريدون به خيرا، وأنهم أصبحوا يحيطون به من كل جانب، فهل من مصلحته أن يسكت، وأن يترك لهم الفرصة ؟

وكان الجو السياسى ملائما لابن سعود من جميع النواحى؛ فإن إعلان الملك حسين الخلافة، أغضب مسلمى الهند ومصر، وأكثرية العالم الإسلامى، فالخلافة تحتاج إلى من يحمى حوزة المسلمين، ويدافع عن مصالحهم، والملك حسين رحمه الله أضعف من أن يحمى نفسه، وقد أثبتت الحوادث ذلك. وكان الملك حسين يقف موقفا تجاه فِلَسْطين لا يُرضى بريطانيا. فعلى من يعتمد ؟ إنه كان يعتمد على أخيلة لم تحققها الأيام.

لذلك أشرت على الملك عبد العزيز، أن يضرب ضربته بالإخوان النجديين سيوف الإسلام، ولـكن ابن سعود لم ينس إنذار البريطانيين له فى سنة ١٩١٩، بعد قضائه على جيش الملك حسين فى «تُربة» ، والذى كان يقوده الشريف عبدالله (الملك عبد الله)، ولـكنى شرحت لجلالته الظروف التى تحيط بالملك حسين فى ذلك الوقت، وهى تختلف اختلافا بينا عنها فى سنة ١٩١٩ ، ففى هذه السنة كان حليفا مِطواعا لبريطانيا ، وفى سنة ١٩٢٤ أصبح مناوئا .

لقـد كان ابن سعود متهيبا أكثر منه مترددا ، وأنا أستحثه على انتهاز هـذه الفرصة ، والفُرَص لا يجود بها الزمن أكثر من مرة . إنه لم يـكن يصـدق أنه سيستولى على الحجاز ، ولم يـكن يصدق أن الملك حسينا ضعيف بالدرجة التى كنت أصورها له ، ولـكنه اقتنع أخيرا بأن يهجم على الطائف ، فإذا استولى عليها، جعلها نقطة مساومة بينه وبين الملك حسين ، فأخذت أهيئ الجو بمنشورات حماسية ، تحمل اسم الأمير فيصل ، حملت فيها على الملك حسين، فى إعلانه الخلافة بدون استشارة المسلمين ، وهو ليس بالرجل الذى يقوَى على تحمل أعباء الخلافة ، فـكان لهذه المنشورات دَوِىّ فى الهند ومصر، وسائر أنحاء العالم الإسلامى . وكذلك أهبت بالمسلمين أن يقوموا فى وجه الملك حسين ، الذى لم يستطع فى تلك السنة حماية الحجّاج ، وأن يضعوا حـدا لادعاء الأشراف حكم الحجاز، فالحجاز للمسلمين عامة ، ولا يحق لحاكم الحجاز أن يمنع مسلما من أداء فريضة الحج، وزيارة مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام. أما الاستبداد الذى يقوم به الملك حسين فى حكم الحجاز، فإنه يجافى روح الإسلام . وفى الوقت نفسه نشرنا «كتابا أخضر» لأول مرة فى التاريخ الحديث للبلاد العربية، ولا شك أن هذه الدعاية الواسعة، مع الأثر السيىء الذى تركه إعلان الملك حسين نَفْسَه خليفة للمسلمين ؛ بدون موافقة المسلمين ، كل هـذه العوامل كان لها أثرها الحسن فى موقف ابن سعود تجاه الملك حسين .

فتح الطائف ومكة

انتهز سلطان نجد (ابن سُعود) فرصة زيارة رؤساء العشائر فى عيد الأضحى سنة ١٣٤٢ ، ولا سيما عُتيبة ، وأشراف الخُرْمة ، وسواها من البلاد المتاخمة للحجاز ، فأمرهم بالاستعداد لغزو الطائف ، والوقوف عنده ، لعل الملك حسينا يرجع إلى رشده ، ولكن الإخوان دخلوا الطائف ومكة فاتحين ، بدون أن يجدوا عقبة فى سبيلهم ، بَيْدَ أنهم فى دخولهم الطائف ، أعملوا السيف فى رقاب كثير من الأبرياء ، كما أعملوا يد النهب والسلب فى كثير من أموال الناس ، فاتخذ الأشراف من ذلك وسيلة للدعاية ضد «سلطان نجد» ، فتلقيت وأنا فى الأحساء كثيراً من البرقيات ، من جمعية الخلافة الهندية وسواها من الجمعيات الإسلامية الهندية ، وأكثرها يربطنى بزعمائها رابطة أخوة وصداقة متينة ، فأجبتهم بأن ما وصلهم من الأخبار لا يخلو من مبالغة ، كما أن الحكومة مستعدة لتعويض كل من أصابه ضرر من الإخوان ، فى أثناء فتحهم الطائف ، وبذلك سكنت العاصفة التى أراد الأشراف إثارتها ضد «سلطان نجد» .

وعندما علم « سلطان نجد » باستيلاء الإخوان النجديين على الطائف ، أرسل إلى زعماء الإخوان المنشور الآتى نصه ، وإلى أهالى مكة ، لإدخال الطمأنينة إلى نفوسهم :

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل ، إلى كافة من يراه من إخواننا أهالى مكة وجُدّة ، وتابعيهما من الأشراف والأعيان ، والمجاورين والسكان ، وفقنا الله وإياهم لما يحبُّه ويرضاه . آمين .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أما بعد : فالموجب لهذا الكتاب ، هو شفقتنا على المسلمين ، لصلاح أحوالهم ،

فى أمر دينهم ودنياهم ، ولم نزل نكرر على «الحسين بن على» النصائح ، ونحرص على ما يجمع شمل العرب ، لتكون كلمتهم واحدة ، ولكن الطبع يغلب التطبع ، ولانحتاج إلى تطويل الشرح بما انطوى عليه ، لأن أكبر شاهد على ذلك ، مارأيتموه منه ، وشاهدتموه من أقواله وأفعاله ، فى هذه البُقَع المباركة ، التى هى مَهابط الوحى ، مما ينكره عقل كل مسلم ، وعلاوة على ذلك ينكره كل من يحب المسلمين ولولم يكن منهم ، فالرجل ترك مزايا الإنصاف ، وهى ماانتسبت إليه من هذا البيت الكريم ، وأهل حقوق هذه البقعة المباركة عليه ، فى عدم ركوب طريقة السلف الصالح ، التى هى شرفه وشرف المسلمين خصوصا ، وشرف العرب عموما ، ولاشك أن من ترك ما كان عليه النبى الكريم ، عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ، وخلفاؤه وأصحابه ، وهو يُسمى باسم الإسلام ، وخاصة إذا كان من أهل البيت الشريف ، وطمح إلى غيرها من الزخارف ، التى هى أكبر شؤم على الإسلام خصوصا ، وعلى العرب عموما ، فهو لاخير فيه . فمنذ دخل الحجاز جعل أكبر همه الإيقاع بنجد والنجديين ، وقد تظاهر بذلك واضحا ، منذ أن تفرد بالحكم ، وقبض على زمام الأمور فيه ، وقد بلغ منه التهور ، أن منع أهل نجد قاطبة من حج بيت الله الحرام ، وهو أحد الأركان الخمسة ، فهذا فضلا عما يأتيه هو وعماله من المظالم ، والمعاملات القاسية ، تُجاه حجاج بيت الله الحرام ، الذين يأتونه من مشارق الأرض ومغاربها . ومن هذه المدة قد تركنا التدخّل فى أمور الحجاز ، لأجل احترام هذا البيت ، ورجاء للسلم والأمان ، لكننا مع الأسف ، لم نحظ بذلك منه . وفى هذه الأيام الماضية ، فى سفره إلى الأُرْدُنّ ، بانت نياته ومقاصده للمسلمين نحونا ، حينما طلب تجزئة بلادنا ، وتشتيت شَمْلنا ، حتى لقد يئسنا من الوصول إلى حسن التفاهم معه ، لجمع كلمة العرب ، ولا والله مانعلم له شيئا من النقمة علينا ، إلا كما قال الله تعالى : « وما نقَموا منهم إلاّ أن يُؤمنوا بالله العزيز الحميد » . ولكننا ، ولله الحمد ، لسنا

متأسفين على شيء إذا سلم لنا شرفنا فى أمر ديننا ودنيانا ، فليس لنا قصد فى زخارف الحسين وأتباعه ، لا فى مُلك ولا خلافة ، ولكن غاية قصدنا وما ندعو إليه، هو أن تكون كلمة الله هى العليا ، ودينه هو الظاهر ، ويسلم شرف العرب ؛ فلذلك لحقتنا الغَيرة الإسلامية ، والحمية العربية ، أن نَفْدِى بأموالنا وأنفسنا مايقوم به دين الله ، ويُحمى به حرمه الشريف ، الذى أمر الله بتطهيره وتعظيمه واحترامه ، كما قال تعالى : « وإذْ بَوَّأنا لإبراهيم مكان البيت أنْ لاتشرك بى شيئا، وطهِّر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود » . وقد أرسلنا سَرِيَّة من المسلمين لاحتلال الطائف ، لأجل القرب والتفاهم بيننا و بين إخواننا ، فأحببت أن أعرض عليكم ماعندى ؛ فإن أجبتمونا فنعم المطلوب ، وإن أبيتم فهذا الذى يَعذِرنا عند الله وعند المسلمين . وأبرأ إلى الله أن أتجاوز شيئا مما حرمته الشريعة ، خصوصا فى هذا الحرم الشريف ، الذى قال الله تعالى فيه : «ومن يُرِد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم» . وحرمة هذا البيت معلومة ، حتى عند المشركين الأولين ، كما قال الشاعر :

إن الفُضول تعاقدوا وتعاهدوا ... أن لا يَقِرَّ ببطن مكة ظالم

وأما الأمر الذى عندى لكم، فهو أنى أقول: لكم يأهل مكة وأتباعها من الأشراف وأهل البلد عموما، والمجاورين والملتجئين من جميع الأقطار، عهدُ الله وميثاقه، أن نحافظ على أموالكم ودمائكم، وأن تحترموا بحرمة هذا البيت ، كما حرمه الله على لسان خليله إبراهيم، ومحمد، عليهما أفضل الصلاة والتسليم ، وألاَّ نعاملكم بعمل تكرهونه ، وأن لا يمضى فيكم دقيق أو جليل إلا بحكم الشرع ، لا فى عاجل الأمر ولا آجله ، وأن نبذل جِدنا وجُهدنا فيما يؤمِّن هذا الحرم الشريف وسكانَه وطرقَه للوافدين إليه، الذى جعله الله مثابة للناس وأمنا ، وأن لا نولِّىَ عليكم من تكرهونه ، وأن لا نعاملكم بمعاملة المُلْك والجبروت، بل نعاملكم بمعاملة النصح والسكينة والراحة ، وأن يكون أمر

هذين الحرمين الشريفين شُورَى بين المسلمين ، وألاّ يَمضى فيهما أمر يضرّ بهما ، أو بشرفهما ، أو بأهلهما ، إلا ماتوافق عليه المسلمون ، وأمضته الشريعة .

فهذا الكتاب شاهد لى وعلىّ عند الله ، ثم عند جميع المسلمين ، وعلى ماقلته أعلاه أيضا علىّ عهد الله وميثاقه . فهذا الذى يلزمنا ، ولابد إن شاء الله أن نفعل دائما مايسرّ خواطركم أكثر مما ذكرنا .

نرجو الله أن يَهديَنا وإياكم لما يحب ويرضى ، ويصلح بنا وبكم البلاد والعباد ، وأن يجعلنا وإياكم هُداة مهديِّين ، ويمنعنا وإياكم من سوء الفتن ، وأن ينصر دينه ، ويُعْلِيَ كلمته ، وأن يُذل أعداء دينه ، ولا حول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم ، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا .

٢٢ صفر ١٣٤٣ عبد العزيز

دخول مكة

ولم يترك الإخوان الفرصة تفلت من أيديهم ، فقد رأوا عرش الحسين ينهار بعد استيلائهم على الطائف . رأوا الملك حسينا يتنازل لولده الأمير علىّ عن الملك ، كما رأوا الفوضى أخذت تدب فى الحجاز . فزحفوا إلى «مكة» ، فلم يجدوا فى طريقهم أحدا يقف دونهم ، فدخلوا بلد الله الحرام مهلِّلين مكبرين ، لا محاربين ولا مقاتلين ، فدانت لهم الرقاب ، وفر إلى جُدة فزعا ورعبا ، كثير من سكان مكة ، وقد اختار الإخوان خالد بن لؤى حاكما (أميرا على مكة) وهو من أشراف «الخُرْمة» . وقد كان ممن عاضد الشريف حسينا فى ثورته ضد تركيا ، فى الحرب العالمية الأولى .

وعندما وصلت إلينا الأخبار عن دخول الإخوان مكة ، وقد كان دخول مكة خارجا عن الخطة المرسومة لهم ، أخبرت الملك عبد العزيز ، أن الواجب يقضى عليه أولا بمنع الإخوان من الهجوم على جُدَّة ، خشية أن يقع فى جدة ماوقع فى الطائف ، فتكون العاقبة وخيمة ، وأن الواجب يقضى عليه بأن يسافر حالا إلى الحجاز ، ليشرف بنفسه على الحالة هنالك ، وليعرِّف الناس بنفسه ، وليطمئن الحجازيين ، ويزيل من نفوسهم الأثر السيِّئ من مأساة الطائف .

الزحف على الحجاز .

غادر ابن سعود الرياض فى (١٣ ربيع الثانى ١٣٤٣ الموافق ١١ نوفمبر ١٩٢٤) على رأس جيش من الحَضَر، من خيرة المحاربين، يبلغ عددهم نحو خمسة آلاف مقاتل: فقطعنا الطريق من الرياض إلى مكة فى ٢٣ يوما، وكانت تلك الأيام من أسعد الأيام فى حياتى . كانت تذكرنا بالحياة الأولى التى كان يحياها أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم ، كنا نقضى أوقاتنا : إما فى قراءة القرآن ، أو دراسة البخارى أو مسلم ، أو سيرة ابن هشام ، وكان كل ذلك يتم ونحن نقطع الطريق على ظهور الإبل .

وفى يوم من أيام رحلتنا ، وكنا نأخذ قسطا من الراحة ،أنا وزميلى الدكتور عبد الله الدملوجى،إذا برسول من «السلطان ابن سعود» يدعونا إلى خيمته، فقلنا: خير؛ إن شاء الله، لقد وصلت إلينا الصحف من العراق، تنبىء بسقوط وزارة العمال، وتأليف البريطانيين المحافظين للوزارة الجديدة، برياسة «مستر بلدُوين» و بالطبع هذا لا يعنينا، ولكن زميلا من زملائنا أخبر «سلطان نجد» بالخبر، وأخبره أن المحافظين سيكون أول عمل من أعمالهم : المحافظة على الأشراف ؛ وأن تصريحاتى السابقة بأن الحكومة النجدية مستعدة لتعويض كل من أصابه ضرر فى الطائف، ستوقع نجدا فى ارتباك سياسى ومالى. لا يعلم مداه إلا الله ، كما فعلت الحكومة البريطانية مع مصر بعد مقتل السِّرْدار .

لقد هال السلطان هذا التفسير ، وعظمته بالرغم من كبر عقله ووزنه للأمور، لا يعرف شيئا عن المحافظين أو العمال أو الأحرار . كل ما يعرفه أن البريطانيين هددوه فى سنة ١٩١٩ بعد الاستيلاء على «تُرَبة» ، و بعد أن ضرب جيش الشريف الحسين ، وكان يقوده الأمير عبد الله (الملك عبد الله بعد ذلك) ضربة لم تقم له بعدها قائمة ، فهو فى الواقع جيش من المرتزقة ، لا تجمعهم عقيدة ، ولا دفاع عن هَدَف قومى .

أجبنا دعوة السلطان ، فوجدناه واجما مغموما ، فسألنا عظمته : هل لديكم من

أخبار هامة ؟ فأخبرته: ليس هنالك من أخبار سوى سقوط وزارة العمال، وقيام وزارة من المحافظين . فقال على الفور : هل للمحافظين تأثير فى موقفنا ؟ وهل يؤيدون الأشراف؟ فقلت له : يامولاى ، إن الإنجليز فى سياستهم الخارجية لا تختلف أحزابهم . إن أحزابهم قد تختلف فى شئونهم الداخلية وحدها: فقال : لقد أخبرنى زميلكم (فلان)[1] أن المحافظين سيكونون ضدنا . فقلت : إن هذا غير صحيح بالمرة ، وسترى عظمتكم في المستقبل القريب ، أن المحافظين فى موقفهم لا يختلفون عن العمال . إنكم تذكرون أن سعد زغلول باشا كان يعتقد أن «رمزى ماكدونالد» زعيم حزب العمال، سيحل معه قضية مصر، على فلجان[1] من القهوة ، ولكن «سعد زغلول» وجد «رمزى ماكدونالد» لا يختلف عن «كرزن أو ملنر» . إن الذين يضعون السياسة البريطانية دائمون ، والأحزاب على اختلافها تنفذ مايضعه الموظفون الدائمون . نعم إن وزير الخارجية أو رئيس الحكومة ، قد يضع توجيها أو شيئا من التعديل للسياسة المرسومة ، ولكنهم قلما يغيرون تغييرا تاما، تلك السياسة التى يضعها الموظفون الدائمون ، فهى سياسة مبنية على دراسة وافية ، من لجان واقفة على سياسة العالم . فقال عظمته : هل أنت متحقق مما تقول ؟ فقلت كل التحقق .

وحينما قرأت فى محياه بوادر من الشك والتردد ، قلت له : يامولاى ، إذا كنت فى شك من أمرك ، فخير لك أن ترجع إلى بلدك ؛ وإن كنت واثقا بالله الذى وعد المؤمنين الظفر والتأييد ، فسر فى طريقك ولا تتردد . لا تشغل بالك يامولاى بهذه الشكوك . إن بريطانيا لا يهمها إلا المحافظة على رعاياها ومصالحها ، وسيان عندها الشريف حسين أو ابن سعود . لقد كانت لها آمال كبيرة فى الملك حسين ، فأنذرتك

---

(١) لقد كان من دأب هذا الزميل بلبلة أفكار السلطان عبد العزيز ، لقد بلبل أفكاره قبل ذلك لنشر الكتاب الأخضر (والكتاب المذكور لايحوى سوى مراسلات بين الإنكليز والملك عبد العزيز والملك حسين) ، وبلبل أفكاره عندما أبرقت لجماعة الخلافة الهندية عن مأساة الطائف، كما أشرت إلى ذلك آنفا) .

(٢) فى « تاج العروس شرح القاموس: فلج » : الفلج بالكسر : مكيال. قال: قلت ومن هنا يؤخذ قولهم للظرف المعد لشرب القهوة وغيرها: فنجان . والعامة تقول : فلجان ، وفنجان ولا يصحان. اه.

فى سنة ١٩١٩ ، أما الآن فقد تغيرت الحال ، وخابت جميع آمالها فيه ، فسر على بركة الله ولا تتردد ، « إن الله مع الذين اتَّقَوا والذين هُمْ مُحْسِنون » . فقال : توكلنا على الله ، ولعنة الله على فلان (زميلنا) ، الذى بلبل أفكارى ، وأسلمنى إلى الشك والتردد .

و بعد أربعة أيام من هذه الحادثة ، وصل إلينا بريد الحجاز ، يحمل كتبا من قناصل الدول جميعا ، يعلنون فيها حياد دولهم فى الحرب القائمة فى الحجاز ، و يحمِّلون الفريقين مسئولية مايقع على رعاياهم من ضرر أو تعدّ ، فكان لهذا البريد وقع حسن ، و بشارة خير للمستقبل .

وتحقق السلطان (ابن سعود) أن الحوادث تتطور بجانبه ، وأن كل شىء يتوقف على حكمته ، وكبح شكيمة الإخوان النجديين .

وفى مساء ذلك اليوم قرّر عظمته إرسالنا إلى مكة كطليعة لدراسة الأحوال فيها ، ولإدخال الطمأنينة على من بقى من أهلها ، فقد فر كثير من أهلها إلى جُدَّة ، خوف أن يصيبهم ما أصاب إخوانهم فى الطائف .

وكان وفدنا يتألف من كاتب هذه السطور ، والدكتور عبدالله الدملوجى ، والشيخ عبد الله آل سليمان (وزير المالية السابق) ، وكان يشغل وظيفة السكرتير الخاص لسلطان نجد ، وقد وصلنا إلى مكة قبل وصول الركب السلطانى بثلاثة أيام ، وقد أمضينا هذه المدة فى الدراسة ، والاجتماع بكبار أهل مكة ، من علماء وتجار وموظفين وقد ألقيت عدة خطب قبل وصول عظمة السلطان وبعده ، أؤكد فيها إصلاح ما أفسد الأشراف ، والرجوع إلى العالم الإسلامى ، فى تنظيم شئون الحجاز والحرمين الشريفين ، ولقد كان لهذه الخطب أثرها الحسن فى أهل الحجاز ، وإدخال روح الطمأنينة عليهم ، كما كان لها أثرها فى مصر والهند والمجاورة وغيرها . وقد وصل إلىّ الكتاب الآتى ، من ناظر التكية المصرية ؛ وكان حاضرا أول خطبة ألقيتها على أعيان مكة ، وهذا نصه :

حضرة سيدى الأستاذ الفاضل :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد ، فليس من غرضى أن أقول لك فى كتابى هذا : أحسنت كل الإحسان ، فيما أبنته بلسان حسان ، فى اجتماع اليوم ، فإن هذا شهد به قبلى ومعى وفى وقت واحد ، كل الذين شاركونى فى لذة الإنصات إليك ، والإقبال عليك ، لأن كلمة الحق تؤثر فى كل نفس ، وتحرك كل قلب ، حتى نفس المجرم وقلب الخائن . ولكننى أردت أن استرعى نظرك وقد جمعتنا أواصر واحدة ، إلى شيء واحد ، هو أن تُعْمل مالك من قوة ، وتستخدم مالك من نفوذ وتأثير ، لأخذ الناس بالحسنى وبالرحمة ، قبل أن يأخذوهم بالعدل . فكلهم ضعفاء بائسون ، وليس لهم حول ولا طول ولا حيلة ، وكلهم فى جنب الله ؛ وقد وقعوا كما تعلمون تحت تأثير ظروف صعبة ، وصدمات متتالية ، وفى أدوار متعاقبة ، آخذ بعضها برقاب بعض .

هذه كلمتى التى رغبت فى تسجيلها على نفسى أمام الله ، وأنا ضيف راحل ، وليس لى فى هذه البلاد ناقة ولا جمل ، ولا والد ولا ولد ، ولكن لى ما لكل مسلم ، وعلىّ ما على كل مسلم .

والسلام عليكم ورحمة الله .

أول ديسمبر ١٩٢٤

أخوك المخلص

ناظر التكية المصرية

أحمد صابر

* * *

لقد كنت أحمل للحجاز وأهله آمالا كبارا أملتها على تربيتى الدينية . كنت آمل أن يكون للعالم الإسلامى أثر ظاهر فى إصلاح الحجاز ، وخَلْق نهضة اجتماعية لسكانه : بدوهم وحضرهم .

إن الحجاز فقير قليل الموارد ، يعجز عن القيام بجميع النواحى الإصلاحية ، التى يتوق المسلمون إلى تحقيقها فى أحب البلاد إليهم ، والحجاز فى ذلك الوقت (سنة ١٩٢٤) بالرغم

من قداسته ، يقل شأناً عن كثير من الحواضر الإسلامية ، لا طرق معبدة ، ولا إدارة صحية منظمة ، ولا مياه صحية للشرب ، والبعوض يعكر صفو الراحة .

لقد كانت أكبر أمانيّ أن نبرهن لأوربا أن بلاد الشرق إذا استقلت ، فإنها تستطيع أن تنهض وتصلح من شأنها ، ولكن شتانَ بين الأمل والعمل .

لقد كانت مكة وقت دخولنا إليها ، من المدن المتأخرة فى تخطيطها وطرقها ، وحياة أهلها ، لقد كانت ولا تزال تحتاج إلى عناية عظيمة ، لما لها من الإجلال والقدسية فى نفوس المسلمين ، ولا غرابة ولا عجب إذا رجعت طوائف كثيرة من الحجاج المتعلمين والمثقَّفين ، غير راضين عما شاهدوه فى الحجاز ، مما لم يكونوا ينتظرونه[1] .

ولقد وصل عظمة السلطان إلى مكة ، وعسكر فى الشهداء ، إحدى الضواحى ، وأمضى نحو أسبوعين فى الاجتماع مع أهالى مكة ، وشيوخ قبائلها ، فسحر الجميع بتواضعه وكرمه ، الذى عم القاصى والدانى .

وقد رفض عظمته جميع عروض الصلح التى قدمت إليه : رفض العَرْض الذى قدَّمه الكاتب المشهور «أمين الريحانى» بواسطة الحاج حسين العوينى (وزير الخارجية لبنانية بعدئذ) ، كما رفض العرض الذى قدمه السيد «طالب النقيب» ، و« فِلبى» قبل سلامه ، وقد أُرسلا من قبل الملك فيصل الأول ملك العراق ؛ كما رفض بعد ذلك توسط الإنكليز وملك مصر .

(١) هذا ما كان بالأمس ، أما اليوم فقد بدأ إصلاح الطرق وتعبيدها ، وتوسعة الحرم المكي والمدنى . ونرجو أن يكون ذلك فاتحة خير لعهد الإصلاح الذى ينشده العرب والمسلمون .

الحكومة المؤقتة

كان لابد أن يتولى «السلطان عبدالعزيز» قيادة الجيوش بنفسه ، لكى يكبح جماح الإخوان النجديين المحاصرين لجدة ، وكان لابد أن يترك أحدا من المدنيين بجانب خالد بن لؤى ، أحد زعماء الإخوان ، فرأى أن يسند هذه المهمة إلىّ وإلى الدكتور عبد الله الدملوجى بالتناوب ، ثم رأى بعد ذلك أن يبقى الدكتور عبد الله الدملوجى بجانبه ، وأن أنفرد أنا بالإدارة المدنية ، أشرف عليها أنا ، أما الإدارة العسكرية ، أو مشاكل الإخوان النجديين، فيتولاها خالد بن لؤى .

وكنت بين آونة وأخرى أزورعظمته فىالمعسكر السلطانى «بالرّغامة» ، لأطلعه على مايجرى من الأمور ، وأسترشد بإرشاداته ، وقد رأينا من الحكمة إسناد بلدية مكة إلى رجل من خيرة أهليا ، هو المرحوم الشيخ أحمد الشّبَحى ؛ يساعده عدد من أعيان أهل مكة ، كما رأينا من الحكمة تأسيس مجلس شُورَى متواضع، برياسة الشيخ عبدالقادر الشَّيبى ، أمين مفتاح الكعبة ، فكان هذا المجلس المتواضع نواة لمجلس الشورى ، الذى كنا نود له كل نمو وازدهار ، وأن يكون خير مساعد للحكومة فى تحمل الأعباء .

وبقى الحال على هذا النَّمَط إلى وقت تسليم جُدّة ، حين تولى الأمير فيصل الإدارة ، ولقب بالنائب العام ، وعُيِّن ثلاثة من المستشارين لسموه ، وبقيت مساعدا لسموه ، ومستشارا لجلالة الملك عبدالعزيز ، وأُلّف مجلس شُورَى آخر يحل محل المجلس الأول . وكنا نرجو أن يتطور المجلس القديم إلى مجلس آخر ، يساعد السلطة التنفيذية ، ويقوم بإرشادها إلى خير السُبُل : الكفيلة بإرساء قواعد العدل .

على أن المجلس قد أدى كما نفصله فى موضعه إن شاء الله ؛ خدمات عظيمة الأهمية فى أكثر النُّظُم الإدارية التى وضعتها الحكومة .

لقد كنت فى المدة التى بقى فيها الشريف خالد بن لؤى أحد الفاتحين لمكة ، رئيسا للادارة العسكرية فى نزاع مستمر بينى و بينه ؛ لاختلاف عقليتينا الحضرية والبدوية . هو يريد مصادرة جميع البيوت ، والاستيلاء على مافيها ، بحجة فرار أهلها إلى جُدّة ، وأنا أحاول المحافظة على هذه البيوت ، لأن أهلها لم يفروا إلا خوفا على حياتهم وقد نجحتُ فى كثير من الأحوال ، وأخفقت فى بعض الأحوال الأخرى .

كما كان النزاع دائما على موضوع الدُّخان : خالد يستعمل الشدة مع الناس ، وأنا أحاول أخذ الناس بالرفق ، لأن فِطام الناس عن الدخان يحتاج إلى وقت طويل ، والأخذ بالشدة يُوغر الصدور ، وليس من المعقول أن تَجبى الحكومة ضريبة على الدخان ويُضربَ الناس على التدخين ، ولكن هذا هو الواقع ، و بالطبع إن الإخوان ، وهم جماعة من البدو ، لا يدركون هذا .

لقد طال حصار جُدّة وقرب موسم الحج ، فأراد «الملك عبد العزيز» أن يلفت نظر العالم الإسلامى إلى أن سبل الحج ميسورة ، وأن هنالك موانئ غيرَ جدّة مفتوحة ، فأرسل النداء الآتى إلى البلاد المختلفة ، وهاك نص النداء :

نداء عام إلى جميع المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها

مكة المكرمة ١ شعبان سنة ١٣٤٣   ٢٥ فبراير سنة ١٩٢٥

بسم الله الرحمن الرحيم

من سلطان نجد عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل ال سعود ، إلى كافة إخواننا المسلمين ، فى أقاصى الأرض وأدانيها .

نحمد إليكم الله الذى لا إله إلا هو ، ونصلى ونسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ، ونستفتح بالذى هو خير .

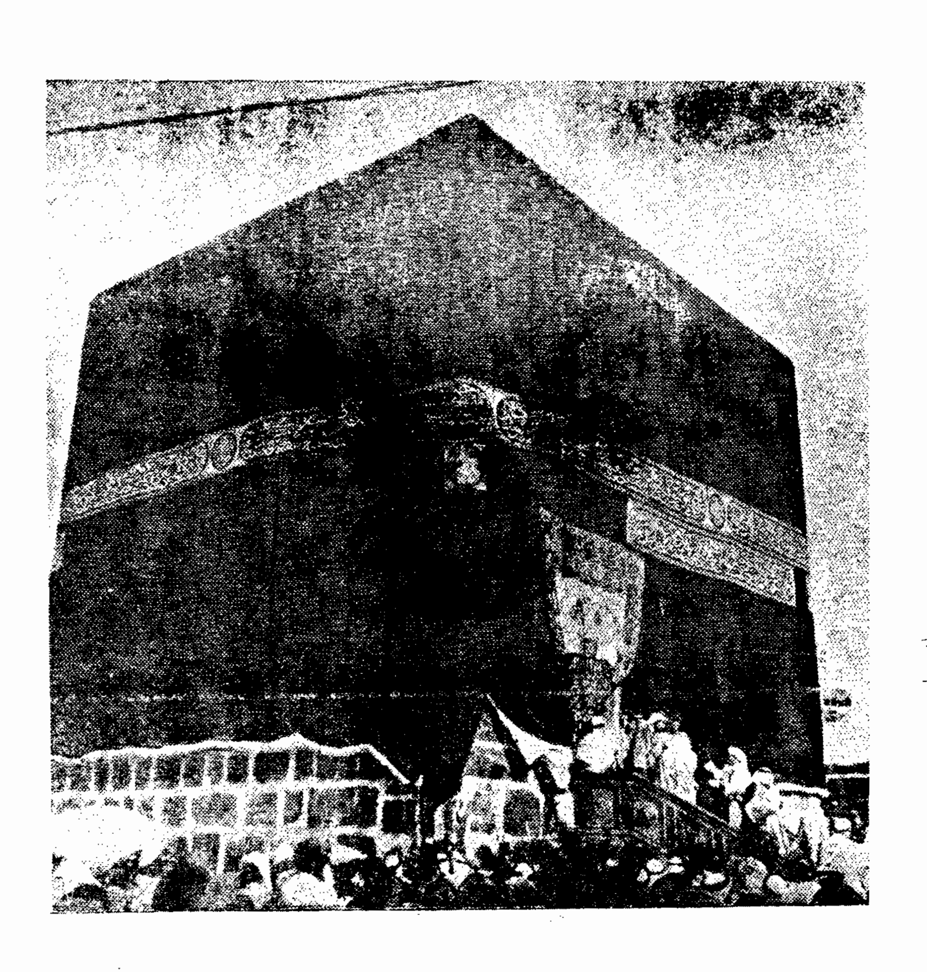
وبعد ، فقد من الله علينا ، وأمدّنا بعنايته فى دخول هذه البلاد المقدسة ، وتفضل علينا ، ومكننا من طرد الحسين وأولاده ، الفئة الباغية ، من هذه الديار المطهرة . وبذلك زالت ، والحمد الله ، دولة الظلم والجبروت ، وحلت الشريعة السّمحة محل الأغراض والأهواء ، وتَزَعّ العدل بين الناس ، سواء فى ذلك الصغير والكبير ، والشريف والوضيع ، فساد النظام فى البلدة المطهرة ، وفى سائر أنحاء البلاد ، واستتب الأمن ، وعمت السكينة والطُّمأنينة سائر الأرجاء ، بصورة لم تُعْهد من قبل ، « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم » وهذا مصداق لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تزال طائفة من أمتى على الحق منصورة ، لا يضرهم من خذلهم ، حتى يأتى أمر الله تبارك وتعالى » .

هذه هى الحقيقة الراهنة فى البلاد . ولكن الحسين وأولاده وأشياعهم ، قعدوا فى الخارج يخلقون الأراجيف ، ويشيعون الأكاذيب عن الموقف الحربى فى الحجاز ، وعما يمكن أن يئول إليه موسم الحج فى هذا العام ، تضليلا للأفكار ، وتشويها للحقائق .

ولما كان من أجلّ مقاصدنا خدمةُ الإسلام والعالم الإسلامى ، وهو المبدأ الذى اتخذناه عند الشروع فى هذه القضية العظيمة الشأن ، رأيت الواجب يدعونى لأبين للمسلمين عامة ما يأتى :

١ — أن جندنا قد حصر « علىّ بن الحسين » وجنده وقواه فى بلدة جُدّة ، التى أحاطها بالأسلاك والحصون ، وضَيّق عليه تضييقا عظيما ، وسنخرجه منها فى وقت قريب ، إن شاء الله تعالى .

٢ — أننا نرحب ونبتهج بقدوم وفود حجاج بيت الله الحرام ، من كافة المسلمين ، فى موسم هذه السنة ، ونتكفل بحول الله بتأمين راحتهم ، والمحافظة على جميع حقوقهم ، وتسهيل أمر سفرهم إلى مكة المكرمة ، من إحدى الموانى التى ينزلون إليها ، وهى رابغ ،



يوم غسل الكعبة المشرفة برئاسة جلالة الملك المعظم

أو الليث، أو القنفدة ، وقد أحكم فيها النظام، واستتب الأمن استتبابا تاما ، منذ دخلتها جيوشنا ، وسنتخذ من التدابير فى هذه المراكز ، جميع الوسائل التى تكفل تأمين راحة الحجاج ، إن شاء الله تعالى .

٣ — أعلن إخواننا المسلمين كافة ، أنه لم يبق أثر للمشاكل والعراقيل التى كان يضعها الحسين ضد المشاريع الخيرية والاقتصادية ، وأن أبواب الحجاز مفتوحة لجميع من يريد القيام بأى عمل خيرى أو اقتصادى ، وأن الحكومة المحلية مستعدة للقيام بجميع التسهيلات الممكنة ، لتنشيط من يريد القيام بهذه المشاريع الخيرية والاقتصادية .

هذا ما أردنا إعلانه للناس كافة ، ليحيط الجميع علما به ، سائلا الله تعالى أن يوفقنا إلى ما يحبه ويرضاه، ويهدينا وإياكم إلى سبيل الرشاد ، إنه ولىّ التوفيق ، وهو نعم المولى ونعم النصير ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

سلطان نجد

عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل آل سعود

وقد لبى الدعوة عدد قليل من مسلمى الهند، جاءوا من طريق «رابغ» ، وهذا كان أول حجة لسلطان نجد. وقد أراد «الشريف علىّ» أن ينتهز فرصة انسحاب بعض الجنود من ساحة الحرب إلى مكة ، لأداء فريضة الحج ، فهجم على الجنود المخيمة لحماية الطريق إلى مكة ، هجمة اليائس ، ولكن الجنود ردته على أعقابه خاسرا .

الملك حسين ، والملك عبدالعزيز بن سعود

كلاهما قدلاقى ربه، وأصبح فى ذمة التاريخ ، وللتاريخ وحده أن يسجِّل أعمالهما ؛ وكلاهما بشر ، يخطىء ويصيب ، ويطمع أو يقنع .

ليس الخلاف بين الأشراف وآل سعود بحديث ، فهو فى الحقيقة يرجع إلى بدء الدعوة الإصلاحية ؛ التى قام بنشرها الشيخ «محمدبن عبدالوهاب» فى نجد ، فورث الملك حسين من أسلافه هذه الكراهية ، كما ورثها من سبقه من الأشراف .

أما الملك حسين : فنضلا عن كراهيته التاريخية ، فقد ظهرت مطامعه ومطامحه فى أول قدومه للحجاز سنة ١٩٠٨ ، من تدخله فى شئون القبائل ، وبعض الحكام الصغار الثائرين على الأتراك ، بسبب سوء سياستهم ، (أعنى الأتراك) .

لقد تجلت هذه الأطماع فى ثورته على الأتراك فى الحرب العالمية الأولى ، وهى الثورة التى يطلق عليها الهاشميون : «النهضة العربية الكبرى» .

ولقد أخفق فيما كان يهدف إليه من إنشاء مملكة عربية متحدة ، يضع تاجها على رأسه ، ولكنه خرج صفر اليدين ، بفقدد تاج الحجاز .

أما السبب فى هذا الإخفاق ، فهو عدم استعانته بقادة الفكر من رجال العرب ؛ واحتقاره لأمراء العرب المجاورين ، مع أنهم قوة لا يُستهان بها . ولم يُصْغِ إلا إلى جماعة من المنافقين ، الذين يؤمِّنون على كل رأى يراه ؛ ويزينون له كل خطأ ؛ مهما كانت عواقبه ، كما وضع ثقته التى لا تحد فى بريطانيا ؛ معتقدا أنها ستوصله إلى أى هدف يريد الوصول إليه .

يتضح ذلك من البرقية الآتية التى أرسلها لولده فيصل (الملك فيصل فيما بعد) الذى أوفَدَه إلى مؤتمر الصلح بباريس .

حليفتنا الوفية بريطانيا ترغب فى حضورك نائبا ، تعرب عن مصالح العرب ، وكل ما يكون أساسا لحياتهم ، سواء ما يتعلق بالحدود أو الإدارة ، مما هو معلوم لديك ، فى مجتمع سيعقد فى باريس فى ٢٤ نوفمبر الجارى ، فإنفاذا لرأى عظمتها ، توَجَّهْ بكل سرعة ممكنة لباريس ، بعد مذاكرتك لفخامة القائد العام ، فى كيفية سفرك وطريقته ، وبعد ما تقررون ماترونه لحالات البلاد وإدارتها فى مدة غيابك ؛ الذى لايتجاوز شهرا تقريبا. وحيث إن رابطتنا الوحيدة هى العظمة البريطانية ، وأن لاعلاقة ولامناسبة لنا مع سواها فى أساساتنا السياسية ، فكل ملاحظاتك وما تراه فى الموضوع ، تبديه لنوابها وعظمائها الأماجد ، إن كانوا زملاءك فى المجتمع ، أو معتمديها السياسيين ؛ وما يكلفونك إياه من قول أو عمل ، إن كان فى المجتمع أو فى سواه ، تعمل به ، وتجنب كل ما سوى ذلك.

هذه درجة مأذونيتك عما يختص بالمجتمع ، وما سوى ذلك من كل ما يتعلق بالحسيات العالية ، والمجتمعات الأدبية ، والمعاملات الأخلاقية ، ففى نجابتك ما يغنى عن كل بيان ، وإن أمكنك خذ زيدا معك ، وخبر الأهالى بالمصلحة والقصد ، والله يتولاك . انتهى .

لقد كانت أول صدمة لمطامعه ، عدم موافقة الحلفاء وجيرانه العرب على ما اتخذه لنفسه من لقب جديد : (ملك العرب) ، وأجبر أن يكتفى بلقب «ملك الحجاز» ، وهو اللقب الذى استمر يلقب به إلى أن تنازل عن العرش لولده الملك علىّ فى ١٣٤٣ = ١٩٢٥

لو أوتى الملك حسين حظا من كبر العقل ، وسعة الحيلة ، وبعد النظر ، للعب دورا عظيما فى السياسة العالمية والعربية . ولكنه كان مغرورا عنيدا .

لم يستمع لنصائح البريطانيين ، فى تحسين صلاته مع جيرانه ، وعلى الأخص «ابن سعود» ، وهو يعلم علم اليقين أن قوام جيشه وعتاده كان بريطانيا ، ولم تسقط قلاع مكة والطائف فى حرب الملك حسين مع الأتراك ، فى الحرب العظمى الأولى إلا بالمدفعية المصرية . ولم يقف ابن سعود سنة ١٩١٩ عن الزحف على الطائف ومكة ، بعد معركة تُرَبة ، إلا البريطانيون .

فما القوة التى كان يعتمد عليها لتحقيق أحلامه ؟ لاشىء سوى الغرور ، لقد كان الملك حسين مجموع متناقضات ، فبينما هو يتحدى جيرانه ، ويمنعهم من الحج ، أو يحدّد عددهم ، أو يضع قيودا فى طريقهم ، إذا به يقدم استقالته للبريطانيين ، كأنه موظف فى حكومتهم .

اقرأ الكتاب الآتى المرسل من المعتمد البريطانى بجدة ، الميجر مارشال ، والمؤرخ فى (١٩٢١/٩/٢٥)

حضرة صاحب الجلالة الهاشمية ، والسيادة العظمى ، جلالة الملك المعظم :

بعد بيان مايجب بيانه من التوقير .

تسلمت خطاب جلالتكم (رقم ٢٠/١/٤٠) الخاص بالنقود الموجودة بالعراق ، و بما أن هذه النقود هى من أوقاف الحرمين . فإن الأمر لايتعلق بحكومة جلالة الملك . ولو أن أى مساعدة يمكننى القيام بها لإرسال هذه النقود ، تكون طوع إرادة جلالتكم .

لا يتمكننى أن أفهم معنى إشارة جلالتكم عن تعيين خَلَف فى برقيتكم للعراق ، و بما أن الحجاز مملكة مستقلة ، فإن هذا أيضا لا يتعلق بحكومة جلالة ملك بريطانيا ، على أنى شخصيا سأكون آسفا بعد صداقتنا الطويلة ، إذا قررتم جلالتكم التنازل عن العرش ، ولكن هذا الأمر سيتعلق كلية بجلالتكم وبالأمة .

وتفضلوا بقبول جزيل أشواقى .

ولقد تكرر هذا الإنذار أو الرغبة من الملك حسين ، ولكن لماذا يقدم هذا الطلب لبريطانيا ؟ إن السر فى ذلك لايعلمه إلا الملك حسين نفسه ، على أن الملك حسينا لم يكن جادا على مايظهر ، إلا بعد احتلال الإخوان النجديين الطائف ، وتهديدهم لمكة ، فقد تخلى فى ذلك الوقت عن الملك ، لنجله الملك على . الذى أرسل بدوره البرقية الآتية ؛ لطلب الصلح من الملك عبد العزيز .

صورة البرقية الواردة من جُدة :

عظمة السلطان « عبد العزيز بن سعود » . بحرين :

من بعد السلام والاحترام :

أعلم عظمتكم أن أصحاب الحجاز العربى المحب للسلام، ودفع الشقاق بين العرب، نظرا لثقته التامة على المبادئ الموافقة لمبادئه ، قد بدّل شكل حكومته ، وأقامنى ملكا عليه . وبما أن أمانة الملك تودعت لشخصى ، فعلىّ بعد اليمين ، إيفاء واجبات هذه الأمانة بكل شرف ، فعليه انقيادا لأوامر الخالق عز وجل ، وحبا باتحادنا ، وكراهية لسفك الدماء بين أمة واحدة ، وحبا لرأى العالم الإسلامى، والمراجعات الواردة علىّ من الأقطار العربية ، قد قررت أن أتوسل بجميع مايمكن ، لعقد صلح شريف ، يزيل جميع الموانع والمشاكل الموجودة بين الطرفين ، وللدخول فى عهد جديد ، يؤمّن مصلحة المسلمين عامة، والعرب خاصة . لذلك انسحبت من «مكة» بدون حرب ، لحفظ بيت الله الحرام من الخراب ، ولمنع تكرير فظائع الطائف ، ولانتظار مراجعتى الأولى لعظمتكم فى جُدة . وبما أن الجواب لم يأت إلى الآن ، ولم أجد أحدا يرأس جيشكم يمكن المفاوضة معه ؛ تربصت إلى أن أراجعكم ثانيا بالبرق، وانشروا مراجعتى هذه أيضا بين جميع المسلمين.

وأبلغ عظمتكم أن البلاد قد أصبحت بحالة عسكرية ، تمكنها من أن تسترجع جميع ماأضاعت بالأمس بإذن الله ، فإذا ماوافقتم على هذا التكليف الأخير ، أرجو لحين المباشرة بالمفاوضة ، أن تبلغوا قائد جيشكم بمكة برفع ممنوعة أداء فريضة الدين، من قبل الأئمة الثلاثة حالا ، والآن خوفا من مضايقة سكان بلد الكعبة فى المعيشة ، قد أذنت لمن يريد العودة إلى مكة من سكانها المهاجرين ، وسمحت بدوام سير القوافل ، رحمة بالفقراء والمساكين ؛ وانتظار جواب عظمتكم الأخير ، ولى الأمل بأن تعاملونى على حسن نياتى ، وإلا فسترونى وشعبى متكلين على الله، وقائمين بجميع مايترتب إتيانه من واجب الأسلاف ، وحفظ الأمانة ، لمقاومة تعرضات جيشكم للدفاع عن البلاد.

وتخليصها ، ورد الأذى والتعدى عنها ، وتبعة دماء الأبرياء ستقع على عاتق المتسبب . وهو الفعال لما يريد .

أخوكم الملك على ٢٨ ربيع أول ١٣٤٣

جواب :

من عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل ، إلى الشريف « على بن الحسين » :

تعلمون أن الحرمين الشريفين ليسا ملكا لأحد ، ولكن الأشراف وعلى الأخص والدكم ، قد اعتبر الحجاز ملكا خاصا . ولقد عانى المسلمون جميعا وأهل نجد خاصة ، الأمرّين من سوء معاملته .

نحن لانريد إلا تحرير الحجاز للمسلمين . وللعالم الإسلامى ، الكلمة الأخيرة فى أمر الحجاز ومستقبله ، فإن أردت السلامة فاترك الأمر للمسلمين ، والله يُسدد خُطانا ، ويؤيد دينه ، ويعلى كلمته . عبد العزيز

٩ ربيع الثانى

انظر إلى الصّلَف الذى كان يحمله الملك حسين ، والذى كان يعامل به جاره فى نجد ، تجد ذلك واضحا فى كتاب «السير ريجنالد ونجت» ، المندوب السامى بمصر ، فهو دليل واضح على مايحمله الملك حسين من غُرور . وهذا هو الكتاب

مصر القاهرة فى ٥ نوفمبر ١٩١٨

حضرة صاحب الجلالة الهاشمية « الحسين بن على » ملك الحجاز ، وشريف مكة المكرمة ، نصره الله .

إن برقيتنا المؤرخة فى ١٦ أكتوبر ، والمنقولة إلى مكة المكرمة ، بطريق المعتمد البريطانى فى جدة ، من طى تحريره « نمرة «١/٧/١١» فى التاريخ ذاته ، تشرفت فيها بإحاطة جلالتكم علما بالآتى :

(١) بأن الكتاب الذى تعهدتم بإرساله إلى الأمير ابن سعود ؛ طبقا لاقتراح الحكومة البريطانية ، لم يصل إليه .

و(٢) كما أن الكتاب الذى أرسله إلى جلالتكم ، بناء على اقتراح الحكومة البريطانية أيضا ، لم يصل إلى جلالتكم . وهذا علمناه من المعلومات التى وردت إلى أولياء الأمر فى العراق . بمعنى أن جلالتكم رفضتم استلام التحرير المرسل من « الأمير ابن سعود » ، بأسلوب غير دقيق ، ولم تطلعوا على ما جاء فيه .

أما بشأن رد ناظر خارجية مكة المكرمة (نمره ١٥٢ رقم ١٨ اكتوبر) على برقيتنا المشار إليها ، فلم يمكننا أن ندرك منه مآل كتابكم ، الذى بعثتم به إلى الأمير ابن سعود ، ولا تاريخ إرساله من مكة المكرمة . كما أننى لاأزال جاهلا الظروف المنوه بها فى تقرير أولياء الأمر فى العراق ، عما يتعلق بأسلوب استقبال جلالتكم رسالة «الأمير ابن سعود» ؛ وعليه أرى أنه لا مناص لى من أن أخاطبكم مباشرة ، وذلك ليس لكونى أريد التدخل فى أقل الأمور اختصاصا بك ، إن غرضى الوقوف على جلية الأمر ، والغرض المقصود من ذلك .

لقد جاء فى إحدى رسالات جلالتكم مايأتى : (ولا من منافع البلاد حدوث قلاقل واضطرابات بين مكة وسائر مراكز مثل أمثال حضرته) . وهذا كما لايخفى على جلالتكم ، رأى حكومة جلالة ملك بريطانيا ، فإنها نظرا إلى عنايتها بمصالح العرب الجوهرية ؛ تقف إزاء اشتعال نيران الحرب فى جزيرة العرب، موقف القلق المضطرب ؛ خصوصا لكون حدوث ذلك يؤثر على المقررات السياسية ، التى سيتفق عليها قريبا .

ثم إنه يجب ألا يخامر جلالتكم أقل ريب فى وفاء الحكومة البريطانية نحوكم ؛ التى تحتم عليها عدم اتخاذ جانب «ابن سعود» أو غيره فيما يضر بمصالح جلالتكم ؛ غير أن جلالتكم لا تجهلون شروط المعاهدة الحالية بين الحكومة البريطانية وابن سعود ؛ الضامنة حقوقه داخل حدود بلاده ، إلا أنها بلغته بصفة رسمية بأنها تنظر إلى كل عمل

يأتى به خارج بلاده بعين السخط ، بل رفضت طلبه زيادة الذخائر والمهمات الحربية ، زد على هذا أنها طلبت منه وَقْفَ الحركات العدائية ضد «ابن رشيد» صديق الترك ، التى كان قد شرع بها ، بناء على طلب الحكومة البريطانية نفسها .

إننى لا أذكر هذا إلا لغرض وقوف جلالتكم على حقيقة الحال ، ولكى تقدروا حق التقدير ، البواعث التى حملت الحكومة البريطانية على الإشارة لجلالتكم بالوقوف عند حد معلوم ، فيما يتعلق بمسألة «الخرمة» وغيرها من شئون القبائل ، والتى سيمن البارى بحلها بالتدبر والتأنى .

هذا ونظرا إلى ماسبق ذكره ، وماتكرر وروده فى كتب جلالتكم الكريمة ، يصعب علىَّ تصديق الخبر الذى جاءنى ، وهو أن جلالتكم رغبتم فى قطع العلاقات الودية مع «ابن سعود» ، مما يكنى عنه بإرجاعكم رسوله ، ورفضكم كتابه .

إننى أرجومنكم أعظم الرجاء ، أن تجتهدوا لمنع كل البواعث الجوهرية ، التى تؤدى إلى سوء التفاهم مع الأمير المشار إليه ، بشأن سياستكم نحوه ، فإنه و إن كان أقل درجة من جلالتكم ، وأضعف موردا ، لاينكر أنه ذو تأثير وأهمية فى السياسة العربية .

إننى لا أعتبر أن اتباع جلالتكم سياسة كهذه ، مما يحط قدركم ، لا سمح الله ، وعلى الأخص بعد تقلص ظل الأتراك من جزيرة العرب ، ونجاح النهضة بالأكثر على يدى جلالتكم ، نجاحا باهرا ، اعترف به الصديق والعدو .

فى الختام ، أسأله تعالى أن يطيل عمر الجلالة كحاكم مستقل ، حتى تساعدوا على إحياء العنصر العربى ، وتجديد حيثيته ، وتعضدوه بنصائحكم الرشيدة فى حل المشكلات الكثيرة ، التى لابد من أن تعترض كل مشروع خطير مثل عمل جلالتكم ، هذا الذى لاتقدر قيمته ، والله يتولاكم .

السير رجنالد ونجت

نائب جلالة الملك بمصر

وفى الوقت الذى تلفظ فيه مملكة الحسين أنفاسها الأخيرة ، يفكر الملك حسين فى الخلافة ، بعد أن تخلى عنها الأتراك ، ويحفزه إلى ذلك بعض منافقى فلسطين وسورية فيجلب بذلك سخط العالم الإسلامى ؛ (وقد نشرنا فى ذيل هذا الكتاب بعض الكتب التى وجدناها فى مخلفات الملك حسين) ، ولا يقف عند هذا الحد ، لا يفكر فى إصلاح حاله مع جيرانه ، وعلى الأخص سلطان نجد ، بل يرنو ببصره إلى الإدريسى ، وإلى اليمن وبعض المحميات ، وقد يكون من المفيد أن ننشر هنا بعض أحلام الملك حسين فى هذا الموضوع .

فمن أحلام الملك حسين فى ذلك العهد ، رغبته فى الاستيلاء على «عَسِير» والإمارات الشافعية باليمن .

ففى اللحظات الأخيرة ، قُبيل زوال حكم الأشراف من الحجاز : تنبهت أطماع «الملك حسين» إلى «إمارة الأدارسة» فى «عَسِير» ؛ وأراد أن يضمها إلى الحجاز ، قبل أن يسبق إمام اليمن وابن سعود إلى اقتسامها بينهما . وتمهيداً لذلك وضع مشروع معاهدة بينه وبين الأدارسة . ولكن تيار الحوادث كان أسرع من تفكير أصحاب المشروع . إذ هجم الإخوان النجديون المرابطون على الحدود بين الحجاز ونجد ، على الحجاز ، واستولوا على الطائف ومكة . ثم زحف جيش «السلطان عبد العزيز بن سعود» بقيادته من الرياض ؛ لفتح الحجاز كله . فكانت معارك وأحداث انتهت بزوال ملك الشريف وأولاده من الحجاز ، قبل أن يتحقق حلم الملك حسين .

وهذه نصوص تلك المعاهدة ، ننشرها هنا للتاريخ والذكرى .

الإمارة الشافعية

حدود هذه الإمارة :

أول الحدود الداخلية الحد الطبيعى ، الفاصل بين البلاد المأهولة بالزيدية . والمأهولة بالشوافع . وهو المسمى : «نقيل سمارة» . وهو جبل شاهق ، وحد طبيعى من القديم .

أما من جهة الأدارسة. فأول الحدود هى الحدود الحاضرة، الفاصلة بين هذه البلدان والبلاد التى يحكمها الإدريسى . وتعتبر من أول « بيت الفقيه » وهو قضاء مخا للزرانيق . وهو الآن موجود تحت حكم الإدريسى فى الوقت الحاضر ، وتعد من تهامة .

أما من جهة إمارة لَحَج . فالحدود تكون لغاية أول مرحلة من بلاد الحواشب ، كما هى الحدود الحالية الفاصلة بين هذه الحكومة الآن للامام يحيى ، وبين سلطنة لَحَج. وهى حدود طبيعية لا تتغير . وقد كانت الحكومة العثمانية ارتضتها من القديم حدودا لفصل البلاد الداخلية التى تحكمها ، عن البلاد الموضوعة تحت الحماية البريطانية ، بناء على قرار وتخطيط هيئة الحدود ، وقد قبلها حكومتا بريطانيا والباب العالى . وللحدود علامات ثابتة حتى الآن .

أما من جهة البحر الأحمر فحدودها قضاء « مخا » الذى سيكون مرفأ تجاريا لها ، ومنفذا على البحر ، كما هو الآن : وجميع هذه الأقضية مع قبيلة الزرانيق ، ومرفأ مخا كان مربوطا بمتصرفية « تَعِزّ » المأهولة كلها بالشوافع .

شىء عن حالة البلاد: جميع هذه الأقضية المار ذكرها معمورة ، وأبنيتها جيدة، وفيها مبان رسمية . وتَعِزّ العاصمة: فيها أبنية للمدارس والمستشفيات والثكنات الكبيرة والحدائق ، من رسمية وخصوصية للشعب ، وأهل البلاد يحسنون الرماية، متدربون على الجندية والأسلحة ، والذخيرة عندهم بكثرة . أما وارد إيرادها من جمارك داخلية وخارجية وضرائب وأعشار ، فيبلغ ثلاثة أرباع مليون جنيه فى العام . ويكثر فى الأهلين

الاستنارة لاسيما أهالى تعز وزبيدومخا وآب وماوية . وفى البلاد حركة تجارية حسنة جدا وكثير من الطرقات معبد ومناخها جيد بالإجمال ، وجميعها تحتوى على البرق .

تدرب الأهلون فى هذه البلاد على النظام والمعاملات المدنية والإدارية . وكلهم يحترم النظام والعلم ، ولهم تعلق عظيم الشأن بالبيت الهاشمى الرفيع العماد .

وفى هذه الأقضية كثير ممن هاجروا إلى الخارج ، مثل أستراليا وكندا والصين وزنجبار وجاوة وغيرها ، مثل مصر وبور سعيد . وقد جلبوا ثروة كبيرة ، وآبوا بعقلية حسنة .

أما زراعة هذه البلاد ، فهى حياة اليمن ، فأراضيها خصبة جدا ، وسهولها كبيرة . وفيها كثير من الأدغال والمواشى . وليس للبلاد إحصاء رسمى ثابت للآن . ولكنه على وجه التقريب لا يقل عن مليونين . وفى البلاد آثار قديمة ، وعاديات مهمة جدا . وفى بعض جبالها الفحم الحجرى ومنابع للبترول ، كما ثبت ذلك بتقارير الباحثين من الأجانب . حتى إنه يشاع أن فى بعض جهاتها مناجم للذهب .

مواد مشروع المعاهدة

١ — تشكل إمارة شافعية تكون مدينة « تعز » عاصمة لها ، وتؤلف هذه الإمارة من الأقضية والنواحي التي كانت تابعة على زمن الحكومة التركية ، ومربوطة بمدينة تعز ، والتي كانت تؤلف منها المتصرفية المذكورة .

٢ — تتبع الإمارات والقبائل والعشائر الآتي ذكرها ، بصورة قطعية وترتبط بارتباط تام بالإمارة الجديدة ، وهي الإمارات الآتية :

يافع العليا . يافع السفلى . الضالع . قبيلة عَلَوىّ . صبيحة .

٣ — تكون حدود هذه الامارة ، كما هو محرر بالمذكرة المرفقة بهذه البنود .

٤ — تتبع سلطنتي لَحَج ، وحضرموت ، وإمارة أَبْيَن شُقْرة . وإمارة العوالق ، وما جاورها من الإمارات والمشيخات ، في جميع أمورها السياسية ومعاملاتها ... هذه الإمارة ، بدلا من الحكومة الحامية .

٥ — تشكل سلطنة لَحَج في المستقبل من البُلْدان التابعة لها في الوقت الحاضر ، ومن إمارة شُقْرة أَبْيَن ، وإمارة العوالق وما جاورها من القبائل والعشائر والمشيخات ، وترتبط هذه الإمارات بما فيها إمارة الحواشب وقبيلة قطيب وقبيلة الضابر ، بهذه السلطنة.

٦ — تكون حدود سلطنة لَحَج كما هي في الوقت الحاضر ، من جهة إمارة الحواشب ، وتمتد إلى حدود سلطنة حضرموت ، وهي الحدود الطبيعية المعروفة من القديم .

٨ — يُحترم استقلال سلطنتي لَحَج وحضرموت ، ويشكَّل مجلس خاص ، كما سيأتي بيانه ، للنظر في الشئون الهامة المحلية ، والمتكون بين الإمارات المذكورة .

٨ — يَعرِض تعيين السلطان على الإمارتين المذكورتين، مجلس الحلف العربى ، ويصدِّق على هذا التعيين جلالة ملك العرب ، ويصدُر بذلك مرسوم ملكى .

٩ — تعين إمارة الشافعية قاضى القضاة على كل من الإمارتين لحَج وحضرموت، ويصدق على هذا التعيين جلالة ملك العرب .

١٠ — توحَّد تعريفة الجمارك فى هذه الإمارات لحج وحضرموت والإمارة الجديدة .

١١ — تشترك هاتان الإمارتان لحج وحضرموت فى مجلس الحلف العربى ، وترسل وفودها مع وفد الإمارة الشافعية الجديدة .

١٢ — تعترف هاتان الإمارتان لحج وحضرموت ، بجلالة ملك الحجاز ملكا على العرب كافة ، ويتابع جلالته فى المستقبل بمقام الخلافة الاسلامية ، إذا أقرها الحلف العربى .

١٣ — تتعهد الإمارتان المذكورتان بتنفيذ جميع القرارات والخطط التى رسمها أمير الإمارة الجديدة ، فيما يتعلق بنهضة البلاد ورقيها .

١٤ — يقرر مبدأ اقتصادى عام بين الإمارات المذكورة ، يكون كدستور تعاون على كل ما من شأنه إنهاض البلاد اقتصاديا .

١٥ — توافق وتتعهد إمارة لَحَج والإمارة الجديدة ، على قبول مد السكة الحديدية الحالية فى عدن ولحج، إلى داخلية بلادها، وتتولى شركة ذات أسهم إدارة الخط المذكور، وتكون الشروط اقتصادية بحتة فى صالح البلاد ، وليس لها علاقة بالاستعمار أو النفوذ الأجنبى مطلقا ، وأن يكون للإمارات الثلاث وللأهلين سهام مناسبة فى هذه الشركة .

١٦ — يُعترف بالعلَم العربى الحالى علما عربيا عاما ، وتلغى الرايات الحاضرة .

١٧ — توحد العملة والمسكوكات ، وتضرب باسم جلالة ملك العرب ، حسبما يُقرر فيما بعد .

١٨ — لا يجوز لكلتا الإمارتين لحج وحضرموت مخابرة أمير من أمراء الجزيرة ، فى شأن من الشئون السياسية ، أو فيما يتعلق بإدارة البلاد ، ويكون المرجع فى مثل هذه الأمور أميرالإمارة الجديدة ، فإذا وقع اختلاف بينهم و بينه ، ترفع المسألة للأعتاب الهاشمية ، أو مجلس الحلف العربى فى المستقبل .

١٩ — توحد الجندية والتعليم والزينة الوطنية والاقتصاد العام .

٢٠ — تقرأ خطبة الجمعة فى مساجد الإمارتين باسم جلالة ملك العرب ، فى مدن وأمصار هذه الإمارات كافة .

٢١ — يكون ثغر (عدن) كما فى الحاضر ، مدينه تجارية ، ومركزاً لإقامة المندوب السامى البريطانى ، وتحل مشكلة عدن وما جاورها مثل الشيخ عثمان ، فى مجلس الحلف العربى .

٢٢ — تتفق الإمارة الجديدة مع مملكة الإدريسى ، وتوحد الجندية بينهما ، وكذلك الاقتصاديات .

٢٣ — يؤلف مجلس خاص يسمَّى فيما بعد ، ويشكل من هيئات رسمية معينة من قبل إمارة لحج وحضرموت ، ويرسل إلى عاصمة الإمارة الجديدة للنظر فى الأمور المحلية ، والمشاكل والعلاقات الخارجية، عن صلاحية مجلس الحلف العربى ؛ ويعقد اجتماعا سنويا ، مدته تقرر فيما بعد .

٢٤ — على الإمارة الجديدة والإمارتين لحج وحضرموت ، تنفيذ قرارات مجلس الحلف العربى .

٢٥ — يحق للإمارة الجديدة قبول قناصل الدول الأجنبية التجاريين فقط ، فى تعز ومخا .

٢٦ — توافق الإمارات الثلاث على حصر الوراثة فى عائلة الأمير الجديد .

٢٧ — يوحَّد البريد ، وتستعمل طوابع الحجاز .

° ° °

لقد كانت هذه الأطماع التى لاحد لها، سببا فى سقوط الملك حسين، والقضاء عليه ؛ ويصدق عليه قول الشاعر العربى القديم :

لايبلغ الأعداء من جاهل ... مايبلغ الجاهل من نفسه[1]

وقول علىّ رضى الله عنه : ماهلك أمرؤ عرف قدر نفسه .

الملك عبد العزيز وبريطانيا

كان الملك عبدالعزيز حتى سنة ١٩١٥ فى عزلة تامة عن العالم الخارجىّ ، فكان كل همه القضاء على خصمه العنيد ابن رَشيد ، ولكن استرداده للأحساء والقطيف ، جعله يشرف على الخليج العربى ، ويتصل بالبريطانيين الذين حالوا دون محاولة الأتراك استرداد الأحساء .

وقد حاول أكثر من مرة أن يقف البريطانيون فى سبيل مساعدة الأتراك لابن رَشيد ، وإمداده بالسلاح والعتاد ، فلم ينجح فى ذلك ، فقد كانت سياسة الحكومة البريطانية قبل الحرب العالمية الأولى ، البعد عن التدخل فى شئون الجزيرة العربية .

وفى ٢ يناير ١٩١٥ عقَدَ الملك أول معاهدة مع بريطانيا ، وهى معاهدة تضعه تحت الحماية البريطانية كسائر أمراء الخليج، فكانت كل اتصالاته برئيس الخليج العربى الذى كان يقيم عادة فى (بوشهر) على الساحل الفارسىّ .

وبعد استيلائه على مكة ، ومحاصرته جُدة والمدينة وغيرها من المدن الحجازية ، أرسلت إليه الحكومة البريطانية الجنرال كِليتون ، لحل المسائل المعلّقة ، التى أخفق

---

(١) المراد بالجاهل فى البيت : الأحمق .

مؤتمر الكويت فى حلها . لقد كان يشغل بال الملك عبد العزيز « قريّات الملح » التى احتلتها قوات الأردُنّ سنة ١٩٢٣، والأردن تحت الانتداب البريطانى، فأى اشتباك مع قواتها قد يوقعه فى مشاكل مع بريطانيا ، وهو مايتحاشاه .

لقد كان جلالته متشائما من إيفاد كِلَيتون سنة ١٩٢٥ لأنه معروف بصداقته للأشراف ، ولكنى هدّأت خاطره ، بأن البريطانيين لايهمهم إلا مصالحهم ، والصداقة الشخصية مهما قويت لاتؤثر على المصالح الأساسية ، والأوربيون عامة لايعملون إلا لمصالح بلادهم ، والصداقة الشخصية يُضَحَّى بها فى سبيل الوصول إلى الغاية التى يرمون إليها .

وبالفعل توصلنا بعد مفاوضات استمرت أسبوعين، إلى عقد معاهدة « حِراء » التى حُددت بموجبها الحدود بين نجد وشرقىّ الأردن .

وقد استعادت نجد « قُريات الملح » التى استولى عليها الأردنُ بدون حق ، كما اتُّفق على وضع ترتيبات خاصة للقبائل النجدية والعراقية .

وبعد إنهاء المفاوضات رجع الملك عبد العزيز إلى « مكة » ؛ وبقيت أنا والشيخ يوسف ياسين مع كليتون ، حتى أرافقه إلى قرب جُدة المحاصَرة .

وفى تلك الليلة جرى بينى وبين كليتون حديث طويل استهله بقوله : إنى أكاد لاأصدق نفسى أننا وصلنا إلى تفاهم ، فعندما علمت أنك هنا كنت أعتقد أننا مُخفِقون، فإنك فى القائمة السوداء ، عدو لنا فى كل مكان تطرقه ، ولكنى عجبت من سلوكك فى المفاوضات ، ودفاعك عن مصالح الملك ، وسعيك للتوفيق دائما . كما لاحظنا من اختلاطنا معك طَوال هذه المدة ، أنك رجل لطيف المعشر ، وديع الخلق ، ولا أدرى كيف وضعوك فى القائمة السوداء ؟

فقلت له : إنى مصرى كما تعلم ، وأنتم محتلون لبلادنا ، ومن واجب كل مصرى

التخلص من احتلالكم . تصور أن الألمان احتلوا بلادكم ، أفلا تعملون أضعاف ما يعمله المصريون للتخلص من احتلال الألمان ؟

لقد سمعت عنك وأنت ضابط فى السودان ، وسمعت عنك أيام الحرب ، سمعت أنك رجل حر ، تميل إلى الحرية ، ولذلك أكبرتك حينما تركت وظيفتك فى وزارة الداخلية المصرية كمستشار، بعد الاتفاق الذى تم بينكم وبين ثروت باشا .

فأنا فى مصر وطنى قد أكون متطرفا أو معتدلا ، أما هنا فأنا أمين على ما يكله إلى الملك «عبد العزيز» ، لا أنظر إلا لمصلحته فقط، وإن مصلحته تقضى أن يكون صديقا لكم ، فأنتم محيطون به من كل جانب .

لقد قرأت جميع المكاتبات ، واطلعت على الدور الذى قامت به الحكومة البريطانية ، للتقريب بين الملك عبد العزيز والملك حسين ، وهو دور يقدره لكم التاريخ .

لقد كان الملك عبد العزيز يعتقد أن المفاوضات سيكون مآلها الإخفاق ، لأنكم عُرِفتم بصداقتكم للأشراف ، ولكنى خالفت جلالته فى هذا الشأن ، لأن المصالح البريطانية هى أساس تعاملكم ، والصداقة الشخصية لا يمكن أن تتقدم على مصالحكم، وقد برهنت المفاوضات على صدق ظنى .

فعقّبت على هذا الحديث بوجوب عقد معاهدة جديدة ، تحل محل معاهدة الحماية القديمة ، لأن الظروف قد تغيرت ، فالملك عبد العزيز سيدين له الحجاز قريبا ، فقوات الأشراف تذوب سريعا ، والعالم الإسلامى قابلَ غزو الحجاز واستخلاصه من الأشراف بفرح واغتباط ، وسرور لا يعادله سرور ، وأنتم تعرفون هذا أكثر منا ، فأنتم متصلون بالعالم الخارجىَ أكثرمنا، فمن الخير لكم أن يكون الملك عبدالعزيز صديقا مستقلا.

فأجاب كِلَيتون بأنه يوافقنى على كثير من آرائى ، وسينقلها إلى حكومته ، وقد

رفع كليتون بالفعل تقريرا إلى حكومته بما حدث ، واقتنعت الحكومة البريطانية بوجوب إحلال معاهدة جديدة ، محل المعاهدة القديمة ، التى لا تتفق مع تطور الحالة السياسية للحجاز .

وقد اعترفت الحكومة البريطانية بعد استسلام جُدة وباقى المدن الحجازية، بابن سعود ملكا على الحجاز ، ودعت الأمير فيصلا لزيارة لندن فى صيف سنة ١٩٢٦ ، وقد صحبه فى هذه الزيارة الدكتور عبد الله الدملوجى ، ومستر جوردان وكيل القنصل البريطانى .

وفى يوم من أيام أكتوبر ١٩٢٦ أخبرنى جلالة الملك، بأن الحكومة البريطانية قد اعتزمت القيام بمفاوضات جديدة ، لعقد معاهدة صداقة ، تحل محل معاهدة «العُقَير» : وأن مستر جوردان سيكون المندوب البريطانى فى هذه المفاوضات ، وسيساعده الأستاذ جورج أنطونيوس ، وقد قام بمساعدة كليتون فى الترجمة إلى العربية ، وتحضير المذكرات مترجمة إلى اللغة العربية .

فقلت له ياجلالة الملك ، وهل تتولَّون المفاوضات أنتم كالعادة ؟ فقال : طبعا . فقلت : إن هذا حطٌّ لشأنكم لا أرضاه . لقد كان يتولى المفاوضات معكم رجال لهم منزلتهم فى الحكومة البريطانية ، من خدمة طويلة ، وتجارب عظيمة ، كان يفاوضكم السير «برسى كوكس» ، والجنرال كلايتون، فماذا حدث؟ إن هذا خطأ كبير من زميلنا الدملوجى ، ويجب تصحيح الوضع . فقال جلالته : ولكنى قبلت ، وكلهم إنكليز على كل حال . فقلت: إن هذا غيرصحيح، والمفاوِض وإن كان يحمل تعليمات من حكومته، ولكن لشخصيته ومركزه فى حكومته أثر الاينكر، ثم قلت لجلالته : إن ولائى وحبى لجلالتكم يفرض على ألا أشترك فى هذه المفاوضات . التى سيكتب لها الإخفاق . فجوردان شاب لم يشغل من المناصب السياسية مايؤهله لمثل هذه المفاوضات .

فأجاب جلالته بحدة : هل تُخفِق المفاوضات لأنك لاتريد الاشتراك فيها ؟ فقلت

لجلالته على الفور: لم يبلغ بي الغرور هذا المبلغ. ثم استأذنت جلالته في السفر إلى الكُويت، لمعالجة بعض مشاكل البادية. فأذن لي جلالته بذلك.

وقد صدق حَدْسي، فإن المفاوضات التي كانت تُجرَى في وادي العقيق، قرب المدينة المنورة، قد باءت بالخيبة، لضيق عقل المفاوض البريطاني. وقد اشترك في هذه المفاوضات لأول مرة، الزميل الراحل فؤاد حمزة، فقد قدمه السيد شكري القوتلي لجلالة الملك عبد العزيز، باعتباره من الشبان المجاهدين، ولكن فؤاد حمزة أخيرا، كان حربا على شكري القوتلي، وعونا للفرنسيين في سنة ١٩٤٥.

وقد أوفدت الحكومة البريطانية الجنرال كلايتون بعد ذلك في أثناء سنة ١٩٢٧، فبعد مفاوضات استمرت نحو أسبوعين، تم الاتفاق على المعاهدة التي سُميت في ذلك الوقت بمعاهدة جُدة. أما المسائل التي كانت موضع الخلاف فهي:

أولا — محاكمة الأجانب.

ثانيا — مسألة الرقيق.

ثالثا — مسألة مَعان والعقبة.

فأما المسألة الأولى فقد تنازلت عنها الحكومة البريطانية، بعد أن اقتنعت بأن البلاد المقدسة يجب ألا يكون للأجانب أي تدخل في شئونها، ويمكن حل أي مسألة تتعلق بالأجانب، بالوسائل السياسية.

أما مسائل الرقيق ومَعان والعقبة، فقد حذفت من المعاهدة، وتبودلت بشأنها كتب خاصة؛ وبذلك نجح الجنرال كليتون فيما أخفق فيه مستر جوردان.

على أن الجنرال قد أخفق فيما حاوله من حل المسائل المعلقة في ذلك الوقت بين العراق ونجد. كانت العُقدة هي عدم استعداد العراق لتسليم الغزاة من العشائر، إذا لجئوا إليها، مع اتفاق الفريقين على اعتبار الغزو جريمة يعاقَب عليها القائمون بها، سواء كان القائم بها فردا أو جماعة، وكان ابن سعود يظهر استعداده لمعاقبة المجرمين، على

شرط أن يتعهد العراق بتسليمهم إذا لجئوا إلى أراضيهم . وقد كثرت غارات «الدُّوَيش» على بادية العراق؛ فى غضون السنوات الأربع، من سنة ١٩٢٥ ـ سنة ١٩٢٩، وقد استمرأ الدويش الغنائم ، والملك عبد العزيز كان ينصحه وينهاه ، ولكن جلالته لم يحاول تأديبه ، لأن ذلك قد يؤدى إلى فتنة داخلية ، كما حدث بالفعل . وقد كان قلم المخابرات البريطانية يتوقع هذا ، فقد سئلتُ كما سئل غيرى من بعض ضباط المخابرات فى بغداد والبصرة ومصر وسواها من المدن العربية ، وكان السؤال : هل يستطيع ابن سعود أن يتغلب على عشائر مُطَير وعُتَيبة والعجمان ، إن هذه العشائر هى أقوى عشائر جزيرة العرب ؛ وهم يقطنون شرقى الجزيرة وغربيها ووسطها .

لقد كان جوابى : نعم . سيتغلب عليهم مجتمعين . ولكن لن يكون ذلك بسهولة . إن ابن سعود حاكم حضرى يدين له الحضر بالولاء والمحبة ؛ وقد ازدهرت التجارة فى أيامه ، بسبب الأمن الذى ساد الجزيرة . إنه كحاكم حضرى يعالج المشاكل بالأناة والصبر والحكمة . أما البدوىّ فنظره لا يتعدى البعير والشاة ؛ وابن سعود يحترم أموال الناس وممتلكاتهم . أما البدو فدأبهم القتل والنهب، وقد أثبتت الحوادث صدق حَدْسى .

فى هذه الفترة التى كثرت فيها الغارات على بادية العراق ، رأت الحكومة العراقية ، وكانت تحت الانتداب البريطانى ، أن تقوم ببناء سلسلة مخافر على الحدود . اعتبر الملك عبد العزيز هذه المخافر حصونا أمامية فى الصحراء ، لتكون مراكز لغزو بلاده فى المستقبل .

فكان أمام المملكة العربية السعودية مشكلتان :

الأولى : وجوب إزالة هذه المخافر أو الحصون. والثانية وقف غارات الدويش على الحدود . وكلا الأمرين مرتبط بالآخر .

وفى خريف ١٩٢٧ هجم الدويش على أحد المخافر ؛ وقتل من فيه من الحامية

فحال هذا العمل دون إرسال ممثل للعراق إلى الكويت ؛ للاجتماع معنا لحل مشا كل المنهوبات

لقد وصلتُ إلى الكويت فى الموعد المحدد ، فأخبرنى الوكيل السياسى بالكويت (ميجر مور) أن الحكومة العراقية لاتنوى إرسال مندوب عنها ، بسبب الحوادث الأخيرة ، وإذا رأيت المرور ببغداد فى طريقك للقاهرة ، فالمندوب السامى بها (السير هنرى دوبس) يسره أن يراك . فرأيت أن من حسن السياسة الاجتماع به ، ولا سيما أن هنالك بعض مسائل أخرى تختص بالرعايا السعوديين المقيمين فى البصرة والزُّبير .

وصلت إلى بغداد يوم ١٢ رجب ١٣٤٦ الموافق ٥ يناير ١٩٢٨ . وفى ثانى يوم زرت (الكبتن هالت) السكرتير الشرقى ، وقدمنى (للميجر برودلين) المستشار لدار المندوب السامى ، وقد دار بينى وبينه حديث طويل عن :

(١) النجديين المقيمين بالعراق .

(٢) الحالة الحاضرة على الحدود ، وبناء المخافر .

وفى (١٤ رجب ١٣٤٦ = ٧ يناير ١٩٢٨) قابلت المندوب السامى البريطانى وهو (السير هنرى دوبس) فدار بينى وبينه حديث طويل .

السير هنرى دوبس بعد هجوم الدويش على المخفر ، وقتل رجاله ، طلب من وزارة المستعمرات أن تفرض حصارا على بلاد ابن سعود ، حتى يقوم بتأديب المعتدين ، ودفع تعويضات لأهل المقتولين . ولكن وزارة المستعمرات ، لم توافق على هذا الاقتراح . فاقترحت اقتراحا آخر ، وهو أن تقوم الطائرات بإلقاء منشورات على البادية ، كى يبتعدوا عن الحدود العراقية ، بمسافة لاتقل عن ٤٠٠ ميل . فإن لم يمتثلوا أجبرناهم بإلقاء القنابل عليهم . وقد وافقت وزارة المستعمرات على هذا الاقتراح ، وسنقوم بالعمل بعد خمسة أيام .

فقلت يافخامة المندوب :

أولا — هل تعتقد أن البدو جميعا يعرفون القراءة ؟ إن الأمية تغلب عليهم . وهل تعتقد أن البدو فى الصحراء يعرفون الأميال بالضبط ، أو على سبيل التقريب ؟ لقد قرأت بعض كتب فى البادية مضى على تاريخ كتابتها نحو ثلاثة أشهر أو أكثر ، لأن صاحب الكتاب لم يصادف أحدا فى الصحراء يقرأ له كتابه . فالنتيجة المحتومة هى إلقاء القنابل على بدونا فى أرضنا ، وسيترتب على هذا استفزاز العشائر ، بدلا من هدوئهم ، سيثورون عليكم ، وستقوم كل قبيلة بمساعدة الأخرى ، التى سيقع عليها الاعتداء ، ومادمنا لم نتفق على تسليم المجرمين من رجال البادية ، فإن ابن سعود لا يستطيع أن يقوم بتأديب أحد ، لا الدويش ولا غيره .

ثانيا — يجب أن تحيطوا ابن سعود علما بما تحاولون القيام به ، والمدة التى أخبرتنى بها فخامتكم قصيرة ، يجب أن تمتد المدة إلى عشرة أيام على الأقل . ومع ذلك فأنتم لا حقّ لكم أن تتصلوا برعايانا رأسا ، ولا حق لطائراتكم فى الطيران فوق أراضينا ؛ فأنا باسم جلالة الملك ، أقدم لكم احتجاجى على هذا التصرف ، وأرجو منكم أن تحيطوا الحكومة البريطانية بهذا الاحتجاج .

فأجاب السير هنرى دوبس : إنك فى بغداد ليست لك أية صفة تخولك الاحتجاج . فأجبته : إذا كان الأمر كما ذكرتم ، فلماذا اقترحتم فخامتكم زيارتى إياكم ؟ وعلى كل حال فإننا لا نعدم وسيلة لإيصال احتجاجنا إلى لندن ، والمستقبل كفيل بإظهار خطأ هذه الخطوة التى ستخطونها .

ثم قال : إن هذه المخافر لم تُبن إلا بعد درس طويل مع وزارة المستعمرات، ولا يمكن هدمها أبدا ، وهى بعيدة عن حدودكم بنحو ثمانين ميلا .

فقلت : إذا كنتم تُصرون على رأيكم فى بقائها ، ونحن نصر على رأينا فى وجوب هدمها ، أفلا يكون من المستحسن ، اختيار هيئة للتحكيم ، وعلى كل حال فهو اقتراح شخصى. فقال: سأعرض هذا الاقتراح على الحكومة فى لندن، وأنت من جانبك تعرضه

على جلالة الملك ، فإذا وافقت الحكومتان على التحكيم ، يمكن البحث فى المحكمين .
وقد انتهى الاجتماع عند ذلك .

وفى (١٥ رجب الموافق ٨ يناير) غادرتُ بغداد إلى القاهرة . وفى اليوم التالى اجتمعت باللورد لويد المندوب السامى بمصر ، فأخبرته بما دار بينى و بين المندوب السامى فى العراق ، ورجوت منه أن يحيط لندن علما بالأمر. فقال: أنا لا أشك أن المندوب السامى فى العراق سيرسل تقريرا مفصلا بحديثك معه ، وسأرسل أنا بصورة خاصة لوزارة الخارجية البريطانية ، لأن العراق خارج عن منطقة عملى .

لقد بدأت الطائرات أولا بإلقاء المنشورات ، فاستغرب الناس ذلك ، ثم بدأت بإلقاء القنابل على أطراف الحدود ، فهدمت بعض البيوت و بعض المساجد فى الجهات الجنوبية . ولكن الناس لم يصبهم ذعر ، بل على العكس قامت العشائر على جميع الحدود العراقية بغاراتها الثأرية ، وأسقطت بعض الطائرات .

وقد استلمت برقية من جلالة الملك عبد العزيز من طريق البحرين ، بتاريخ ٢٤ فبراير ، تنبئنى بخطورة الحالة ، ونص البرقية :

الحالة فى نجد مضطربة ، لأن العهود نُقضت من قبل العراق . الطائرات ضربت الحدود فى الشرق والغرب ، الإنسانية لم تحترم ، الحالة خطرة جدا ، والهمة مبذولة لتسكين الأحوال ، والنتيجة مجهولة .

وقد جرت عدة اتصالات بينى و بين المندوب السامى فى مصر فى هذا الموضوع ، بعضها بطريق مباشر ، و بعضها بواسطة مستر سمّارت المستشار الشرقى فى الدار ، كما أن الحكومة البريطانية كانت تكتب للملك عبد العزيز فى هذا الموضوع نفسه ، بواسطة رآسة الخليج ، لأنها أقرب الطرق للرياض .

الحكومة البريطانية تطلب من الملك عبد العزيز تهدئة الحالة ، وتأديب رجال البادية ، وابن سعود يصر على هدم المخافر ، والاتفاق على تسليم المجرمين إذا لجئوا إلى العراق .

وفى (٢٠ رمضان ١٣٥٦ الموافق ١٢ مارس) أخبرنى مستر سمارت أن الحكومة البريطانية وضعت المسائل المختلف عليها ومطالبكم موضع العناية، وهى تبحثها بدقة، وهى ترى أن أفضل وسيلة لحلها هو عقد مؤتمر فى جُدة، يكون فيه السير جلبرت كلايتون، المندوب المفوض عن الحكومة البريطانية. وقد تقرر بعد ذلك عقد المؤتمر فى الأسبوع الأول من مايو، ووافق جلالة الملك على ذلك، وخرج من الرياض إلى البادية، واجتمع برؤساء العشائر، وأمرهم بالهدوء والتزام السكينة، ريثما يجتمع مع البريطانيين، ويتفق معهم على مايتفق مع مصلحتنا.

وفى هذه الفترة علمت بصورة سرية، بأن المندوب السامى سيحال إلى التقاعد من أول مايو، وأن السير جلبرت كلايتون سيعين مندوبا ساميا فى العراق، خَلَفا للسير هنرى دوبس، كما أُجرىَ بعض تنقلات تناولت بعض موظفى الاستخبارات، فكان هذا نصرا للسياسة الحكيمة، التى اتبعها جلالة الملك عبد العزيز، رحمه الله.

وقد وافق العراق على ذلك بعد اجتماع المرحومين الملك عبد العزيز، والملك فيصل فى الخليج العربى، وتوطدت العلائق بين البلدين بعد هذا الاجتماع، وتم هذا بعد تسليم الحكومة البريطانية الثائر المعروف «فيصل الدويش»، شيخ مُطَير ومن معه من رؤساء العشائر الأخرى، وقد دعمت الحكومة البريطانية صداقتها بهذا التسليم مع ابن سعود، ولكن هذا لا يعنى أنه لم يحدث أزمات حادة بين الحكومتين، ولكن فى كل أزمة وقعت، كان جلالته يعالجها بحكمته و بعد نظره، حتى يخرج منها رافع الرأس.

أزمة مع رئيس الخليج الكولونيل بيسكو

كان «الكولونيل بيسكو» المفاوض البريطانى، الذى تولى تسليم الدويش ورفقاءه، بعد مفاوضة دامت أسبوعين ، وبعد أن تعهد الملك عبد العزيز أنه لا يقتله ، ولكن لا بأس من اعتقاله ، بعد أن قام بثورته الشائنة على إمامه الذى حاطه برعايته ، وقدمه على كثير من رؤساء العشائر ، ولكن النفوس الخبيثة تأبى إلا أن تسىء إلى من أحسن إليها .

وبعد أن انتهت المفاوضات بما حقّق رغبة الفريقين ، من دفع تعويضات لمن أصابهم ضرر من عشائر الكويت والعراق ، وتسليم الدويش ومن معه إلى ابن سعود، كان الاجتماع ناجحا . وقد انصرف « الكولونيل بيسكو » مسرورا من نجاحه وتوفيقه لحل هذه المعضلة ، كما وُفق فى تمهيد السبيل لاجتماع الملكين عبد العزيز بن سعود والملك فيصل .

لقد انتهى اجتماع الملكين بالتعارف ، والتفاهم على مختلف الشئون العربية ، وكان مقررا أن يرجع جلالة الملك عبدالعزيز إلى «رأس تَنُّورة» ، ولكن الجو كان عاصفا : فأخبرنا قبطان الباخرة ، أنه لا يمكنه إنزالنا فى رأس تنورة ، وهو يقترح إنزالنا فى البحرين ، فوافق جلالة الملك عبد العزيز على ذلك ، ولم يكن يسعه غير ذلك .

ومن فورنا أمر جلالته بإرسال برقيات إلى شيوخ البحرين ، وإلى الشيخ عيسى بن علىّ شيخ البحرين ، وكان قد نُحى عن المشيخة ، لتقدمه فى السن ، وكان لا يزال حيا ، وبعد نصف ساعة أخبرنى قبطان الباخرة ، أن رئيس الخليج (الكولونيل بيسكو) لا يوافق على نزول الملك إلى البحرين ، لأنه يجب أن يقابَل بما يليق بجلالته من حفاوة واستقبال ، وليس هنالك متسع من الوقت ، فاثنتا عشرة ساعة غير كافية لمثل ذلك ، فلما عرضت الأمر على جلالة الملك ، تكدر كثيرا وقال : أخبرهم أنى لم

أطلب النزول إلى البحرين ، ولم أكن أرغب، ولكن العاصفة أرغمتنا على ذلك، ومع ذلك فنحن سننزل فى الزوارق البخارية ، ونسير رأسا إلى بلادنا .

وفى الصباح ألقت الباخرة مراسيها فى مياه البحرين ، وخرج شيوخ البحرين وأعيانها للسلام على الملك عبد العزيز ، وأصروا على نزوله إلى البلد ، فنادانى جلالته ، وسألنى رأيى فى هذا الموضوع ، فقلت له على الفور : هؤلاء أهل البلاد وأصحابها ، يدعونكم لزيارة بلدهم ، والإجابة مستحبة ، وعار عليهم أن تصلوا إلى هنا، وتمتطوا الزوارق التى ستسير محاذية لشواطىء البحرين ، ولا تجيبوا دعوتهم . فقال جلالته : توكلنا على الله . ثم نزل من الباخرة ، وهنالك على الساحل ، وجدنا الجموع الغفيرة محتشدة للسلام على الملك عبد العزيز ، ولو كان هنالك ترتيب سابق ، ما اجتمع الناس بهذه الكثرة ، ولكن المحبة جمعتهم . وقد زار جلالته البحرين زيارة رسمية فى سنة ١٩٣٩ : فلم يكن استقباله بها أروع ولا أكبر من ذلك الاستقبال المفاجىء . وما أنس فلا أنسى كلمة الشيخ عيسى بن على آل خليفة : ياعبد العزيز : لقد أخبرونى فى الليل أنك لن تنزل إلى بلدك البحرين ، فلم أصدق ذلك ، وقد حاولوا إحباط عزمى اليوم صباحا ، ولكننى كنت ممتلئا يقينا بأنى سأراك اليوم ، وستقرُّ عينى بك . لقد كان هذا أجل أمنيتى من زمان طويل ، وإنى لا آسف على موتى بعد الآن ، فقد امتلأ قلبى بسرور وغبطة لا يعدلهما سرور .

فأجابه الملك عبد العزيز : لقد حاولوا إحباط عزمى عن النزول ، ولكن يأبى الله إلا ما أراد ، ولا رادلأمره . لقد أراد الله أن أنزل إلى البحرين ، وأن تقرّ عينى برؤيتك ، فالحمد لله على ذلك .

ولقد ترك تصرف «الكولونيل بيسكو» أثرا سيئا فى نفس جلالة الملك عبد العزيز ، وقد رفض أن يقابله بعد ذلك ، ولكن الحكومة البريطانية اعتذرت عن تصرفه ، وأمرته أن يعتذر لجلالته عند مقابلته له : ففعل .



المرحوم الشيخ حمد شيخ البحرين



جلالة الملك الراحل والكولونيل بيسكو عام ١٣٥٠ هـ = ١٩٣٠ م

أزمة أخرى مع الوزير البريطانى السير « أندرو رايان »

كان « السير أندرو رايان » أول وزير مفوض للحكومة البريطانية فى سنة ١٩٣٠ وقد سبق له أن أمضى مدة طويلة فى استانبول ، حذق فى خلالها الدسائس التى كانت تحاك ضد الشرق والمسلمين . وفى اجتماع له مع جلالة الملك عبد العزيز ، وكان البحث يدور حول تسليم بعض الملتجئين من عصابة الدويش ، الذين التجئوا إلى العراق ، وتسليم القسط الثانى من النقود، التى تعهد بدفعها جلالة الملك عبد العزيز تعويضا عن المنهوبات الخاصة بالعراق والكويت، والتى سبق لفيصل الدويش أن نهبها فى غاراته على العشائر الخاضعة لكل من الكويت والعراق . فقال جلالة الملك عبد العزيز فى أثناء حديثه ، وكان (السير أندرو رايان) يتكلم كثيرا عن الملك فيصل الأول ملك العراق ، فقال له الملك عبد العزيز : إننى لا أعرف فيصلا ولا غيره ، أنتم الذين تفاوضتم واتفقتم معى ، فلا أعرف غيركم . فأجابه (السير أندرو رايان) بعجرفة خالية من كل أدب ، إذا كنت لا تعرف الملك فيصلا الذى أتكلم أنا الآن باسمه ، فأنت تعيش فى عالم من الخيال . فقطع الملك الحديث ، وأجّل الجلسة إلى وقت آخر ، وقال لنا : لولا أنى أخشى المشاكل لقطعت رأس الملعون . ويظهر أن هذا الرجل لا يعرف طبيعة العرب ، كما أنه لا يعرف الأدب .

وفى سنة ١٩٣١ فى حديث له مع جلالة الملك ، لإرسال مندوب من قبل المملكة العربية السعودية إلى حدود الأردن، للتعاون مع مندوب الأردن، للمحافظة على الحدود ، وتبادل المعلومات ، لوقف حركات البادية من الجانبين ، وكانت الحكومة العربية السعودية فى ذلك الوقت تعوزها السيارات الكافية للقيام بهذه الرحلة ، من جُدة إلى حدود الأردن ، فى أرض وعرة ، ليس فيها أى طريق معبد ، فكانت تعمل جهد طاقتها لإصلاح مالديها من السيارات القديمة الموجودة لديها ، ولكن (السير أندرو رايان)

الذى يجهل حالة المملكة العربية السعودية فى ذلك الوقت ، والأزمة المالية التى كانت تعانيها ، ظن أن التأخير الذى حدث إنما هو مؤامرة يدبرها الملك ضد عشائر الأردن ، وقد صارح الملكَ بذلك ، فغضب جلالته غضبا شديدا لهذه الإهانات المتكررة ، وقدمتُ باسمه احتجاجا للحكومة البريطانية ، كان من نتيجته توبيخ الوزير المفوض البريطانى ، وامتنع الملك بعد ذلك مدة طويلة عن إجراء أى حديث مع الوزير البريطانى ، بناء على نصيحة قدمتها لجلالته ، مؤداها ألاّ يتفاوض بنفسه .

وفى سنة ١٩٣٢ حدث بين المملكة العربية السعودية و بين بريطانيا أزمة حادة بسبب الرقيق، ولم تكن فى الحقيقة أول أزمة من هذا النوع، فقد كانت المعاهدة البريطانية السعودية تقضى بتحرير الرقيق الذى يلجأ إلى القنصلية أو المفوضية البريطانية ، وقد كان هذا جاريا أيام الأشراف والأتراك . أما الأزمة الأخيرة فكانت تختص بأحد العبيد الذى أُهدِى لجلالة الملك ، ولكن لسبب ما ، ولعله سوء معاملة العبيد القدماء له ، لجأ إلى الهرب، ثم التجأ إلى المفوضية البريطانية .

وقد طلبتْ الحكومة العربية السعودية إعادته،فأبت المفوضية تسليمه ، وأحضرت سفينة حربية إلى جُدة ،خشية أن تحاول الحكومة العربية انتزاعه بالقوة ، وقد كان من رأيى فى كل هذه المسائل الخاصة بالرقّ ،أن تكون الحكومة العربية أكثر تساهلا،وأميل إلى تحرير العبيد من الحكومة البريطانية ، وفى مسائل الرقّ لا يوجد نصير للحكومة العربية ، لا فى الشرق ولا فى الغرب . وهذه المسألة على الخصوص عند ما أبرقتُ إلى الحكومة العربية فى هذا الموضوع ، اقترحت أن يقال : إن هذا العبد لا يخُص جلالة الملك ، ولا نعرفه ، فقد يكون مدعيا صفة العبودية ، لغرض فى نفسه .

ولكن الحكومة العربية رفضت هذا الاقتراح ، و بدلا من أن تنتهى المسألة عند هذا الحد ، تلقيت البرقية الآتية ، بتاريخ ٥ فبراير سنة ١٩٣٢ ، من الأمير فيصل بوصفه وزيرا للخارجية : « أبلغوا ترجمة المذكرة الآتية حرفيا إلى

(السير جون سيمون) وزير الخارجية : عهد إلىّ صاحب السمو الملكى وزير الخارجية ، بأن أبلغ حكومة معاليكم ، أنه بالرغم من الغاية النبيلة التى دعت حكومتينا إلى تبادل التمثيل السياسى المعتاد بينهما ، فإن حكومتى تأسف من أن (السير أندرو رايان) شرع منذ قدومه إلى الحجاز ، فى وضع العراقيل فى سبيل العلاقات الحسنة بين البلاد ، وفى المجازفة فى كثير من الأمور التى تؤثر على علاقات الجانبين . وقد بلغ به الأمر أنه فى عدة مرات تجاوز حده فى التصرف مع شخص جلالة الملك نفسه ، وفى التكلم مع جلالته بلهجة غير مألوفة ، فإنه فى أثناء حديثه مع جلالة الملك، بعد تقديم أوراق اعتماده ببضعة أيام ، اتهم جلالة الملك ، بحضور بعض وزرائه ، أنه يعيش فى عالم الأوهام والخيال . وفى حديثه معه فى مارس الماضى، بشأن الموقف على الحدود فى شرقىّ الأردن ، اتهم جلالته بأنه شخصيا يعكر صفو السلام على الحدود ، ويشجع الغزو والقلق . وفى حديثه مع وكيل الخارجية عن قضية الرقيق قال: إنه يحمد الله أن المستر (هوب جيل) كان معه فى الجلسة ، ليشهد على مايدور من الحديث ، خوفا من أنه فى حالة موته ، تزور على لسانه أشياء لم يقلها ، كما تزور الآن على لسان كلايتون المتوفى . وقد كان صاحب الجلالة الملك عبد العزيز وحكومته يغضون الطرف عن إساءته ، ومقابلته بالإساءة ، إكراما لخاطر حكومته ، ولكن الآن لم يعد بالإمكان الصبر أكثر مما مضى ، والسير «أندرو» لم يخدم حسن العلاقات ، بل إنه على العكس لم يزد العلاقات الحسنة إلا تباعدا بين الفريقين ، وأصبحنا فى شك من حقيقة الموقف ، وهل هو يعمل كل ذلك من نفسه أو بموافقة حكومته ؟ إن آخر أعمال المذكور المسيئة ، قضية عبدجلالة الملك ، التجأ إلى المفوضية ، فأبلغته وزارة الخارجية : أن العبد من عبيد صاحب الجلالة ، الذى يجب عدم التجائه بموجب الاتفاق الذى حصل بين صاحب الجلالة و بين الحكومة البريطانية ، ولكن السير أندرو تجاوز عن ذلك ، وداس كرامة كلمة «الملك» ، وأهان

السلطات المحلية ، وحقر الحكومة جبارا ، بأن استحضر البارجة الحربية «بيزانس» ، ونقل العبد إليها ، وأساء بذلك إلى كرامة الحكومة ، محتقرا سلطاتها ؛ وفي الحقيقة أنه لولا الأوامر الملكية التي وصلت في آخر لحظة ، بعدم استعمال القوة ، في منع إركاب العبد المذكور ، لكانت نشأت عن تهور السير أندرو رايان حادثة خطيرة ، لا يمكن التكهن بمعرفة نتائجها .

والظاهر أن السير «أندرو» استعد لإحداث الفتنة داخل مدينة جدة : ليحقق الغرض الذي يريده ، ثم لإحداث مشكلات عويصة بين الحكومتين . إن حكومة صاحب الجلالة الملك ، تحتج على تصرف السير « أندرو رايان» غير اللائق بكرامتها ، وترى أن بقاءه واسطة بينها وبين الحكومة البريطانية ، لا يكون منه إلا تفاقم المشاكل بين الجانبين ، وهذا على كل حال ، لا يرضى صاحب الجلالة الملك عبد العزيز ، ولا الحكومة البريطانية ، وليس من مصلحتها الاستمرار فيه . إن حكومة صاحب الجلالة الملك عبد العزيز تنتظر الجواب السريع الحاسم ، لكيلا يتسع الخلاف ، وتتورط الحكومتان في مشاكل ، بسبب السير أندرو هما في غنى عنها .

لم يكن من رأيي تقديم هذه المذكرة للحكومة البريطانية ، لأنها تتضمن بعض المسائل التي سبق حلها مع الحكومة البريطانية ، ولم تكن هنالك مسألة أخرى أثارت هذه المذكرة ، إلا مسألة العبد «مخيت» الأخيرة ، وقد كنت أفضل أن يترك الموضوع برمته إلى فرصة أخرى ، يكون فيها أحد الأمراء في لندن ، وتثار طريقة معالجة السير أندرو رايان للمشاكل ، وروح العجرفة الذي يصاحبه دائما في أحاديثه مع المسئولين السعوديين ، ولكن الحكومة أصرت على تقديم المذكرة كما هي ، فرأيت أن أفضل طريقة لمعالجة هذا الموضوع الشائك ، أن أسافر إلى جنيف ، لحضور مؤتمر تخفيض السلاح ، وكنت ممثلا للحكومة ، وأن يقوم القائم بالأعمال بتقديم المذكرة في أثناء غيابي ، ففعل ، فكان

لهذه المذكرة أسوأ الأثر فى وزارة الخارجية البريطانية ، فبعد رجوعى من جنيف ، أخبرنى وكيل وزارة الخارجية البريطانية (السير لانسلوت أوليفانت) أن الحكومة البريطانية أصيبت بصدمة لم تكن تتوقعها من الحكومة العربية السعودية ، وأنها قد استدعت (السير أندرو رايان) إلى لندن، وقد كان فى عُمان يعمل لحل بعض المشاكل بين حكومة شرق الأردن والمملكة العربية السعودية ، وأن الحكومة البريطانية لن تجيب عن المذكرة بالسرعة التى طلبتها الحكومة العربية السعودية .

و بعد بضعة أيام تسلمت المذكرة الآتى نصها فى ٢١ مارس سنة ١٩٣٢ .

سيدى :

١ — استلمت عند عودتى من جنيف مذكرتكم رقم ٨ فبراير ، وفيها بلغتمونى حسب التعليمات التى تلقيتموها من حكومتكم ، شكاوى من موقف وزير صاحب الجلالة الحالى بالحجاز ونجد ، منذ وصوله إلى جُدة فى سنة ١٩٣٠ .

٢ — والسير أندرو رايان لما له من خبرة ثلاثين سنة بوظائف الحكومة ، ولما استحقه طول خدمته من رضا واحترام تام، من وزراء الخارجية المختلفين ، اختير لمنصب وزير صاحب الجلالة بجدة ، لكونه أنسب موظف لتوثيق العلاقات السعيدة الموجودة إلى ذلك الحين ، بين حكومة صاحب الجلالة ، وحكومة الملك عبدالعزيز ، فى هذه الظروف لا أخفى عليكم دهشتى من أن حكومتكم رأت من اللائق أن تبلغنى الادعاءات المدرجة فى مذكرتكم ، ضد هذا الموظف الموثوق به من قِبَل حكومة صاحب الجلالة .

٣ — وقد حظيت الآن باستلام ملاحظات (السير أندرو رايان) على التهم المختلفة المقدمة ضده ، وأرجو منكم أن تسمحوا لى بالرد عليها واحدة فواحدة .

(١) إنه لايذكر أنه قال فى أى وقت كان : إن جلالة الملك عبد العزيز يعيش

فى عالم الأوهام والخيال . وهو يقول : إن استعمال مثل هـذا الـكلام يتنافى كلية مع موقف الاحترام ، الذى يحافظ عليه دائما، حتى عندالمناقشة مع صاحب الجلالة فى أصعب المسائل .

(٢) السير أندرو رايان يبين أنه عند ماتناقش فى مسألة حدود شرقىّ الأردن مع الملك فى ٢ مارس من السنة الماضية ، حسب تعليمات وزير الخارجية ، أشار إلى الاعتقاد الشائع على جانبى الحدود، من أن الغارات من جهة الحجاز ونجد، برضا صاحب الجلالة، وهو إنما ذكر ذلك كدليل على خطورة الموقف ، وأكد أنه لايشرك حكومته ولا نفسه فى الرأى الشائع على الحدود بخصوص موقف الملك .

(٣) والسير أندرو رايان يعترف أنه فى حديث له مع فؤاد بك حمزة فى ٢ يناير الماضى ، عبّر عن سروره لحضور شاهد فى شخص المستر (هوب جيل) ، وهو إنمـا قال ذلك ، لأن فؤاد بك حمزة كان قد اعترض على تصرفه فى إيوائه بالمفوضية شخصا اسمه هارون ، ادعى أنه عبد ، مع أنه أحد الرعايا البريطانيين ، ثم بعد ذلك أنـكر أنه وقف ذلك الموقف الذى لامبرر له. والسير أندرو رايان يؤكد أنه لم يتهم فى وقت من الأوقات حكومة الحجاز بتزوير أى شىء ، ونسبته إلى المرحوم السير جلبرت كلايتون .

(٤) وآخر تهمة ضد السير أندرو رايان تتعلق بتصرفه فى مسألة العبـد المحرر «بخيت»، وهو يلاحظ أنه فى بدء محادثاته فى هذا الموضوع، بين بوضوح لفؤاد بك حمزة، أنه إذا كانت الحـكومة الحجازية لا ترى سبيلا للموافقة على تحرير «بخيت»، وإعادته إلى وطنه ، فليس أمامه إلا أن يحيل الأمر علىّ، لإصدار تعليماتى ، وأن التصرف الذى اتخذه فى النهاية ، بعد مابذل كل جهد لإنهاء المسألة وديا ، كان طبقا للتعليمات التى تلقاها منى .

(٥) وعلاوة على ذلك ، أريد أن أسجل أن (السير أندرو رايان) بهـذه

المناسبة، لم يقم بأى عمـل فى المسألة، إلا بتعليمات مباشرة منى شخصيا، أتحمل أنا جميع تَبِعتها.

(٦) وإنى أقبل هذه الإيضاحات من (السير أندرو رايان) باستعداد أكبر، لـكونها تتفق اتفاقا تاما مع التقارير التى أرسلها فى وقتها، إلى المستر هندرسون و إلىّ، بخصوص جميع هذه المسائل، كلما ظهر له أن المحادثات من الأهمية بحيث ينبغى تدوينها.

ويجب أن أعتبر التهمة العامة بأنه يسعى لتسوىء العلاقات بين الحـكومتين، والتهمة التى هى أسوأ أثرا حتى من هذه، ألا وهى أنه قد اتخذ كغرض له إحداث الفتنة فى مدينة جُدة، غير قائمتين على برهان.

(٧) وفى هذه الظروف أثق أن حكومتـكم سترى من اللياقة سحب هــذه المذكرة، التى يظهر أنها كتبت عن خطأ، وفى الحقيقة يمكننى أن أزيد على ذلك، أنى أؤمل بشدة، أن تؤخذ هذه الخطوة الودية، لأنه فى حالة عدم ذلك، أكون مع أعظم الأسف مضطرا لأن أزيد على ماتقدم، أنه إذا لم يستأنف (السير أندرو رايان) عمله، كوزير صاحب الجلالة فى جُدة، فإن حكومة صاحب الجلالة، لا يمكنها أن تعين محله أى وزير آخر، فى خدمة صاحب الجلالة.

ولى الشرف أن أكون ياسيدى مع فائق الاحترام

خادمكم المطيع

جون سيمون

لقد أثارت هذه المذكرة شكوك الملك عبد العزيز، واعتقد أن صداقته مع بريطانيا اعتراها شىء من الضعف، وهو يعمل ألف حساب لخصومه من الهاشميين فى العراق والأردن، فأرسل إلىّ برقية مطولة، تـكاد تنطق بالجو السائد فى البلاد العربية السعودية. ولقد علمت أن سخطه على محرر المذكرة فؤاد حمزة — الذى كان يشغل فى ذلك الوقت وكالة الخارجية، كان شديدا، ولـكننى كنت أرى أن سحب المذكرة (بالرغم من أنى لم أكن

راضيا عنها، وعن سحبها) يضعنى فى موضع لا أرضاه لنفسى ، وفى الوقت نفسه لا أريد أن أتنحى عن واجبى ، فى إزالة ماهنالك من جفاء بين الحكومتين ، فرأيت أن أزور وكيل الخارجية ، وهو صديق قديم ، وتكلمت معه كلاما طويلا ، يختص بالمذكرة المقدمة من « السير جون سيمون » ، عن شدة لهجتها ، وهو مالم نكن ننتظره ، والآن أصبحت فى مركز يخولنى أن أنهى الموضوع ، بطريقة سيقبلها جلالة الملك عبد العزيز ، وأرجو أن تكون مقبولة عندكم ، وإنى لا أحب كثرة المراجعات والجدل . وقد وضعت صيغة جوابية ، سأعرضها عليه (أى على وكيل الخارجية) وأرجو أن تكون فاصلة فى الموضوع .

فقال : إن هذا غريب ، فلم يسبق لى فى خدماتى الطويلة ، أن أبدى رأيى فى مذكرة ، قبل أن تعرض علينا ، وأخشى أن أبدى رأيى فى شىء ربما لا يوافق عليه السير «جون سيمون» ، والرجل ، كما تعلم، شديد فى الرق هو وزوجته ، ولزوجته كتاب فى موضوع (الرق فى جزيرة العرب) .

فقلت له : لقد اطلعت على الكتاب ، ورددت على بعض فصوله ، قبل أن يتولى السير «جون سيمون» وزارة الخارجية؛ ولكنى لا أختلف معه فى كراهيتى للرق ، وأنه بصورته الحاضرة لا يتفق مع أصول الإسلام ، الذى دعا إلى التحرير فى كثير من آيات القرآن ، ثم عرضت عليه المذكرة ، فقرأها ، واقترح إدخال جملة أو جملتين ، وقال : سأعرضها على السير «جون سيمون» ، وأرجو أن تضع هذه المذكرة حدا للموضوع كله . وفى اليوم الثانى أخبرنى وكيل الخارجية أن السير «جون سيمون» سيعتبر المذكرة منهية للموضوع .

وفيما يلي نص المذكرة :

فى ٢٨ ذى القعدة سنة ١٣٥٠ الموافق ٥ مارس سنه ١٩٣٢ .

حضرة صاحب المعالى وزير الخارجية البريطانية :

بعد التحية :

تلقيت مذكرتكم رقم ٢١ مارس ، وأرى من واجبى إزالة لما حصل من سوء التفاهم، أن أضع أمامكم البيانات الآتية :

(١) إن مذكرة حكومتى رقم ٨ فبراير ، لم يقصد منها إلا زيادة توثيق العلاقات الحسنة مع الحكومة البريطانية ، وأنها من قبيل ما يجب على الصديق المخلص فى صداقته لصديقه ، لإزالة كل ما يخشى من تعكيره لصفو هذه الصداقة .

(٢) إن تاريخ علاقات جلالة الملك ابن سعود بالحكومة البريطانية ، مفعم بالبراهين التى تثبت صحة ما تقدم ، وأن حرص جلالة الملك على تقوية علاقاته مع الحكومة البريطانية ، هو الذى دفعه للإلحاح فى تبادل الوزراء المفوضين بين البلدين ، قبل التفكير فى ذلك مع أية دولة أخرى ، وحتى الآن ليس لحكومة صاحب الجلالة وزير مفوض فى غير بريطانيا .

(٣) إن الحكومة البريطانية تذكر ولا شك ، ما كان من التعاضد والتعاون بين صاحب الجلالة وبين رجال الحكومة البريطانية السابقين ، وقد كان يقع شيء من سوء التفاهم فى بعض الأحيان ، ولكن نظرا لحسن الود من الجانبين ، كان سوء التفاهم الواقع ينسى ويزول أثره ، ولا توجد حكومة بذلنا من أجل ودها، وحسن العلاقات بها ، مثل ما بذلنا مع الحكومة البريطانة ، ومواقف جلالة الملك السابقة وصداقته ، كلها معروفة للحكومة البريطانية .

(٤) أما بخصوص السير أندرو رايان، فقد عهد إلىّ أن أؤكد للحكومة البريطانية

بأنه ليس لنا أى غرض فى شخصه ، وليس بيننا وبينه أى عداوة شخصية ، وليس بين حكومتى وبينه إلا ما أخبرتنا به حكومة بريطانيا ، وإن ما جاء بمذكرتنا هو كما قدمنا من باب شكوى الصديق لصديقه فحسب ، وعودة السير أندرو كممثل لدى حكومتنا ، أمر يرجع لحكومة بريطانيا نفسها ، ونحن لا نمانع فيه ونقبله : وليس لنا مقصد إلا ثلاثة أمور : الأول : حفظ شرفنا . والثانى : حفظ استقلالنا . والثالث : توثيق العلاقات الحسنة مع الحكومة البريطانية .

فأما وقد عُلِم موقف حكومتى من البيانات المتقدمة ، فحكومتى تثق أنه عند عودة السير أندرو إلى وظيفته ، لا تكون العلاقات بين البلدين ودية كما كانت إلى الآن فحسب ، بل تصبح أكثر توثقا لفائدة الطرفين .

وتفضلوا ياصاحب المعالى بقبول خالص احتراماتى .

وزير الحجاز ونجد للفوض

وبهذا الكتاب انتهت الأزمة التى حدثت فى الحقيقة بسبب فرار أحد العبيد إلى المفوضية البريطانية ، ولكن بالرغم من انتهائها ، قد تركت أثرا سيئا فى الحكومة العربية السعودية ، وفى نفس السير أندرو رايان .

• • •

وفى مايو من سنة ١٩٣٢ وصل سمو الأمير «فيصل» إلى لندن فى زيارة خاصة ، وقد سعى فى أثناء إقامته فى عقد قرض من الحكومة البريطانية ، أو من أحد البنوك البريطانية ، فلم ينجح . كما بذل عِدَّة محاولات لدى شركات البترول البريطانية ، لإقناعها بشراء امتياز البترول فى منطقة الأحساء ، وهى المنطقة التى يستثمرها الأمريكيون الآن ، فلم يوفق أيضا .

وكانت الأزمة المالية فى البلاد العربية السعودية ، تكاد تأخذ بالخناق ، وقامت فى تلك الفترة أيضا ثورة «ابن رفادة» فى شمال الحجاز ، بتحريض من الشريف عبد الله ،

وتأييد الخديو عباس الثانى لها بالمال ، فكانت ضِغثا على إبالة .

ولكن عزم الملك عبد العزيز وحزمه ، قد تغلبا على هذه الثورة ، وما كادت البلاد تتنفس ، حتى وقعت ثورة أخرى فى بلاد الأدارسة ، و بعدها بقليل نشِبت الحرب بين اليمن وبين البلاد العربية . وقد تغلب الملك عبد العزيز بعقله الكبير ، وبصيرته النافذة على خصومه . وخرج من هذه الفتن والثورات ظافرا منتصرا .

غير أن هذه الثورات والحروب قد أصابت البلاد بأزمة مالية ، أثرت فى اقتصاديات البلاد ، يضاف إلى ذلك بعض تصرفات شاذة من وزارة المالية ، كان لها أثرها السيء فى الأسواق المالية .

وقد لوحظ فى السنوات السبع من سنة ١٩٣٢ إلى سنة ١٩٣٨ ابتعاد كثير عن السياسة البريطانية ، خلافا للسياسة التقليدية للملك عبد العزيز .

يرجع هذا للسياسة التى اتبعها الزميل فؤاد حمزة ، فقد ظهر ميله بوضوح إلى «موسولينى» وسياسة إيطاليا ، وقدتكررت زيارته لإيطاليا ، ويقول بعض الإيطاليين الذين زاروا البلاد العربية السعودية : إن فؤاد حمزة أخبر «موسولينى» أنه يتمتع بنفوذ فى البلاد العربية السعودية ، لايقل عن نفوذ موسولينى فى إيطاليا .

حقًّا أن فؤاد حمزة كان يتمتع بثقة لدى الملك عبد العزيز ، وكان لآرائه وزن كبير ، أما فى البلاد فلم يكن له أو لسواه أى نفوذ ، والوزراء والمستشارون لا يستمدون نفوذهم إلا من رضا الملك عبد العزيز .

ولقد اتهمت الحكومة البريطانية الزميل فؤاد حمزة ، بأنه تناول مبالغ كبيرة من إيطاليا ، وكان هذا على أثر حديث بينى و بين المستر « جورج رندل » رئيس القسم الشرقى فى وزارة الخارجية البريطانية . كان الحديث على أثر كثرة تنقلات نورى السعيد إلى القدس ،فأراد الملك عبد العزيز أن يوفد فؤاد حمزة إلى القدس ، لاستطلاع رأى السيد

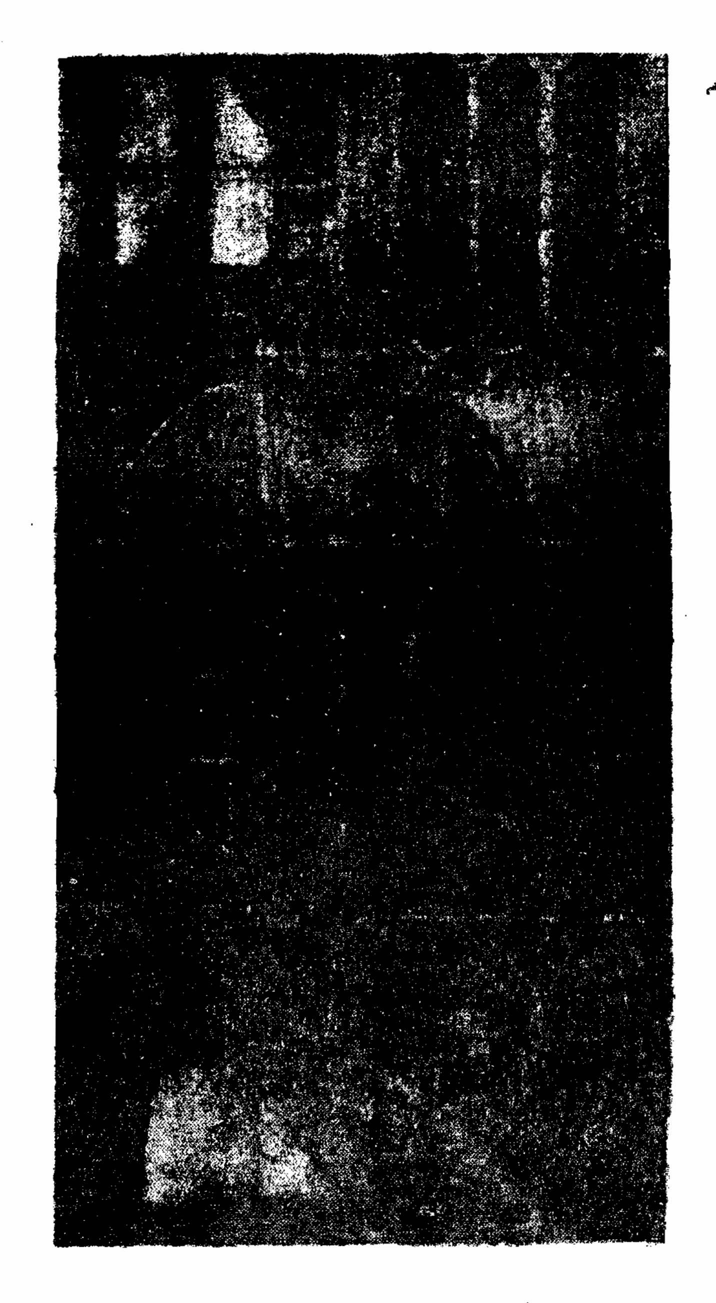
«أمين الحسينى» فى أثناء ثورة فلسطين، ولكن الحكومة البريطانية رفضت السماح لفؤاد حمزة أكثر من مرة ؛ وحين ألححت : لماذا يُسمح لنورى ، ولا يسمح لفؤاد حمزه ؟ فأخبرنى مستر «رندل» بالسبب .

وفى اليوم التالى دعانى السير «لانسوت إليفانت» إلى وزارة الخارجية ، وأخبرنى بأنه ليس من عادتنا التدخل فى شئون الغير ؛ ولكن بما أن مستر «رندل» قد زل فى إخبارك ، فأنا أؤيده ، وإذا أراد جلالة الملك تفصيلا أكثر ، فالسير «ريد بولارد» الوزير البريطانى سيخبر جلالته بالتفاصيل .

ومن الغريب أن مسألة فؤاد حمزه قد انتشرت فى الشرق الأدنى ، فقبل أن أبدأ بإخبار جلالة الملك بما سمعت ، أخبرنى هو بالموضوع ، نقلا عن السيد حسين العُوَينى والشيخ كامل القصاب .

وقد زار مستر «رندل» البلاد العربية السعودية فى شتاء ١٩٣٧ هو وزوجته ، وقد أشار من طرف خفى إلى موضوع فؤاد حمزة ، وأن وضعه أصبح خطرا على العلاقات الودية وبدأت العلاقات تتحسن بعد هذه الزيارة ، وبعد زيارة «الإيرل أُفْ أَثْلُون» خال «الملك جورج» ، وزوجته الأميرة «أليس» فى شتاء ١٩٣٨ وقد تجلى ذلك ببيع كمية كبيرة من الأسلحة بثمن اسمى ، ولكن الملك عبد العزيز قد أخطأ بتعيين فؤاد حمزة فى الوفد الذى يرأسه الأمير «فيصل» فى مؤتمر فلسطين ، الذى عقد سنة ١٩٣٩ .

فقد اعترضت على تعيينه ، بالنظر إلى سخط زعماء فلسطين عليه ، وقد علمت فيما بعد أن الحكومة البريطانية أيضا اعترضت على هذا التعيين ، وما اتهمته الحكومة البريطانية به قبل سنتين . وقد قدمت استقالتى من منصبى احتجاجا على هذا التعيين ، قبل أن أعرف احتجاج الحكومة البريطانية ، ولكن انتهت الأزمة بسحب الاستقالة ، وقبول فؤاد حمزة ، على شرط ألا يكون له دور رئيسى فى المفاوضات .



جلالة الملك الراحل عام ١٣٥٨ هـ = ١٩٣٨ م



الإيرل ا ف اثلون (خال الملك جورج) والأميرة أليس زوجته وابن أخيهما والمؤلف

... زيارتهم للمملكة العربية السعودية عام ١٣٥٨هـ ١٩٣٨م



جلالة الملك الراحل عام ١٣٥٩ هـ = ١٩٣٩ م

وقد أرسل إلىّ جلالته بالبرقية الآتية :

إن ما ذكرته عن إخلاصك ، فهـذا لا يخامرنا فيه شك . أما محبتك ومقامك عندي ؛ فهذا أمر أنت أعرف به ، وأما الزلل فلا معصوم إلا محمـد صلى الله عليه وسلم ، ولم يحصل إلا سوء تفاهم بسيط ؛ ومقامك عندي وغلاك فأنت تخبُره ، وقد انتهت الأزمة مع الحكومة البريطانية بسبب اختيار فؤاد . ونحن نذكر مسعاك في إنهاء الموضوع ، وهو ليس بكثير عليك ، بارك الله فيك ؛ ووفقك لما فيه الخير .

وقد عين فؤاد حمزة بعد ذلك في سنة ١٩٣٩ وزيرا مفوضا في باريس ، إرضاء لبريطانيا ؛ فعادت العلاقات الودية إلى سابق عهدها .

وفي أوائل سنة ١٩٤٠ سافرت إلى الحجاز كعادتي : لقضاء فصل الشتاء فيـه ؛ فعلمت من بعض أصدقائي أن جلالة الملك عبدالعزيز ؛ قد قرر نقلي من لندن ، لأني عكّرت عليه سياسة بريطانيا ، فجميع مايطلبه من المندوب البريطاني ، كان يقابل بالاعتذار ، وإني شخصيا لا أعلم ماذا طلب من بريطانيا؟ وهل ماطلبه كان قبل إعلان الحرب أو بعده .

° ° °

الدكتور جروبا : لقد طلب «هتلر» من صديقه «موسوليني» أن يتوسط لدى جلالة الملك عبد العزيز ، في قبول الدكتور «جروبا» الوزير المفوض في الحجاز ؛ ليجعل مركزه في جُدة ؛ بعد أن أُغلقت المفوضية الألمانية في بغداد ؛ وتعهد موسوليني بإرسال طائرة خاصة تحمله إلى جُدة .

لقد وصلت إلى جُدة يوم الاثنين ٦ الحجة (١٥ يناير ١٩٤٠) وأخبرني الوزير البريطاني بها عن قلقه من وجود الدكتور «جروبا» بجدة ، وأن وجوده سيكون سببا لخلق المشاكل ، فليس لألمانيا مصالح في البلاد العربية السعودية ؛ فأجبته : سأدرس الموضوع ، وسأشير على الجهات المختصة بما يتفق مع المصلحة .

لقد استشار جلالته البريطانيين ، فأخبروه شفويّا برأيهم ، وهو أنهم لا يرحبون بقدوم الدكتور «جروبا» ؛ ولـكن جلالته حائر فيما يصنع !.

لقد جمع جلالة الملك مستشاريه : سمو الأمير «فيصل» وعبدالله السليمان، والشيخ يوسف ياسين ، وخالد القرقنى ، وبشير السعداوى ، وأنا ، ودار البحث حول موضوع الدكتور «جروبا» ، فكان الجميع لسانا واحدا : نحن محايدون ، ولا حق للبريطانيين فى التدخل فى هذا الأمر .

لننظر إلى تركيا : إن الحلفاء يتملقونها ويمدونها بالمال ، ولم يجرؤ أحد أن يقول لها شيئا ، ثم التفت إلىّ جلالته وقال : وأنت ماتقول ؟

فقلت: إن رأى الجماعة صحيح من وجهة نظر القانون الدولىّ، ولكن هل لى أن أسأل : لماذا استشار جلالتُكم البريطانيين ؟ ولماذا أطلعتهم جلالتكم على الموضوع قبل البت فيه؟ لابدأن السبب فى ذلك هو مايشعر به جلالتكم من الصداقة نحو البريطانيين، وما يربط مصالحكم بهم، وأن جلالتكم فى هذه الظروف الحرجة ، تفضلون الإبقاء على صداقتهم . وإذا كان الأمر كذلك ، فنحن ننظر إلى هذا الموضوع من هذه الناحية ، أى ناحية المصلحة والمستقبل فقط .

١ — لماذا لم يطلب الدكتور « جروبا » القدوم إلى جُدة بعد إخراجه من بغداد مباشرة ؟

٢ — إن الدكتور «جروبا» لم يؤسس هنا مفوضية ، ولم يترك أى موظف يقوم بالأعمال فى أثناء غيابه . لاشك أنه يقصد بقدومه إلى الحجاز إنشاء مركز للدعاية ضد الحلفاء .

٣ — إن بلاد الحجاز بلاد إسلامية ، تقضى مصالحها بالمحافظة على الصداقة مع الحلفاء ، ولا أستبعد أن يعمد الحلفاء للتضييق علينا، إذا وجدوا بلادنا أصبحت مسرحا للدعاية ضدهم. فماالفائدة التى سنجنيها من المحور، فقاطعنى الشيخ يوسف ياسين، وقال: إن هذا الموقف سيحط شأننا كدولة مستقلة . فأجبته : إن المسئلة مسألة مصلحة ، إن

هنالك مسائل معلقة مع الإنكليز ومع العراق والكويت ، فكيف تريدون حلها إذا لم نسلك طريق المودة . إن الحرب طويلة ، والسفن الإنكليزية هى التى تنقل لكم حاجاتكم الضرورية ، يجب أن نكون بعيدى النظر .

فقال جلالة الملك : اترك يوسف وكلامه ، وأخبرنا برأيك .

فقلت : الرأى عندى يامولاى ، أن ترسل عبدالله السليمان إلى السفير الإيطالى ، ليرسل باسمكم رسالة خاصة إلى موسولينى ، تبلغونه فيها تحياتكم ، وتعتذرون بعدم إمكان قبول الدكتور «جروبا» فى الوقت الحاضر ، فبريطانيا يحيط بنا أعوانها من كل جانب . ونخشى أن يصيبنا ضررمنها ، ولكن إذا تغيرميزان الحرب ، فستعيدون النظر فى الموضوع .

وترسلون الشيخ يوسف للوزير البريطانى ، لإخباره بهذا الرأى ، وتمهيد الطريق معه لحل المسائل المالية المعلقة . فقال جلالته : يجب أن تذهب أنت إلى الوزير البريطانى غدا ، وعبد الله السليمان إلى الإيطالى .

وفى يوم السبت ٢٠ يناير (١١ الحجة) قابلت جلالته قبل سفرى إلى جُدة ، فقال : إنى أحمدالله على وصولك إلينا ، فى وقت نحن فى أشد الحاجة فيه إليك . يعلم الله أنى كنت أفكر فى نفس الحل ، ولكننى كنت أفضل أن يأتى الحل من أحد مستشارىّ ، وفقك الله .

وصلت جُدة ضحى اليوم ، وتغديت مع الوزير البريطانى ، وأخبرته برأى جلالة الملك ، وأن جلالته سيخبره بنفسه بعد بضعة أيام .

ثم تحادثت معه طويلا فى الموضوعات المالية ، وفى حالة الحجاز ، وماينتظر من تدهور الحالة الاقتصادية ، وأن مساعدة الحجاز سيكون لها أثرها الحسن فى نفوس المسلمين . ولقد أعانت الحكومة البريطانية الحجاز فى الحرب الأولى ، قبل إعلان الحسين الحرب على الأتراك ، كما أعانته بعد ذلك بالمواد الغذائية ، و بالسماح بالحج لقسم من الجيش الهندى ، مكافأة لهم على بسالتهم .

وقد تمكن الوزير المفوض بعد مراجعة حكومته ، من الحصول على مبلغ ٤٠٠ ألف جنيه مساعدة لحكومة الحجاز وأهلها الذين أصابهم ضرر ، بسبب قلة الحجاج ، وقد زاد هذا المبلغ تدريجيا، حتى وصل إلى أربعة ملايين جنيه ، وقد اشتركت الولايات المتحدة بعدذلك بمساعدة البلادالعربية السعودية بالسيارات ، والمواد الغذائية ، والذهب وغيره . ولكن الشيء الذى يؤسف له ، أن هذه الإعانات قد لعبت بها الأيدى وأساءت استعمالها ، فكثير من موظفى المالية ، ومن اتصل بهم من التجار ، قداستغلها استغلالا يأباه الدين والشرف والكرامة ، فالذهب كان يُتجر به فى الهند والقاهرة ، و بعض القضايا التى اطلعت عليها بسبب وظيفتى ، كان يخجل منها الجبين، وجلالة الملك المرحوم برىء منها كلها ، ولكن خطأه أنه وضع الأمانة فى غير موضعها ، وقد استغل هؤلاء ثقته بهم ، ودفاعه أحيانا عنهم ، فخانوا الأمانة ، وأسرفوا فى الخيانة ، وما كان يجوز أن يسكت عنهم ، ولكن العرب دأبوا على الصفح والعفو والإغضاء ، بل العطف على من اتصل بهم بالخدمة أو النسب ، وكثيرا مايتجاوز التعصب إلى العناد ، وجل من لايخطىء ، والكمال لله وحده .

لقد توطدت العلاقات مع البريطانيين فى أثناء الحرب ، بفضل حكمة الملك عبد العزيز، ونفاذ بصيرته ، بالرغم من المحاولات والمناورات التى كان يقوم بها فؤاد حمزة من جنيف .

كانت سنة ١٩٤١ من أحلك السنين على بريطانيا : انسحاب فى كل ميدان ، انسحاب من اليونان، ومن كريت ، وانسحاب من بنى غازى إلى مرسى مطروح، وقيام رشيد عالى بثورته . لقد استدعانى مستر إيدن إلى وزارة الخارجية ، وسألنى : إننا نثق بتدبيرك للأمور ، و بتجاربك ، ومعرفتك بالعقلية العربية ، فهل تظن الملك عبدالعزيز يقف ضدنا ؟ وهل تعتقد أن أحدا يؤثر عليه فى الرياض أو أوربا ؟ فأجبته بمايلى : لو أن الملك عبدالعزيز كان أوربيا فربما وقف منكم موقف موسولينى ، ولكن الملك رجل عربى

وشرقى ، للصداقة عنده قيمة كبيرة ، إذا لم يستطع أن يساعد أصدقاءه فى وقت الشدة ، فمن المستحيل أن يطعنهم فى ظهورهم . ولا أعتقد أنه فى مثل هذه الظروف يمكن أن يغير موقفه أحد ، من قريب أو بعيد ؛ فالرجل يصرّف أموره بعقله. وأحب أن أخبرك بهذه المناسبة ؛ وإن كان ذلك يمسنا ، ولكنه الحقيقة . أن جلالة الملك عبدالعزيز ، هو كل شيء فى مملكته ، وكل مانسمع من ألقاب ، فهى ألقاب جوفاء كالطبل ؛ وقد أثبتت للحوادث حدْسى .

وعلمت فيما بعد أن فؤادحمزة اجتمع مع الدكتور «جروبا» فى جنيف، وحمل فؤاد حمزة رسالة من هتلر يحرض جلالته فيها على القيام بحركة ضد الإنكليز ، وأن هتلر سيجعل منه ملكا على العرب جميعهم . فأجابه الملك عبد العزيز ببرقية شديدة اللهجة ، وأمره بالرجوع إلى فيشى ، ثم نقله بعد ذلك إلى أنقرة ، إرضاء للبريطانيين .

مشكلة الحدود

فى سنة ١٩٢٢ حُددت الحدود بين الكويت ونجد ، كما حددت الحدود بين العراق وَنجد ، وفى سنة ١٩٢٥ حددت الحدود بين نجد وشرقى الأردن ، وفى سنة ١٩٢٧ حُدِّد الحدود بين الحجاز وشرقى الأردن، كما عقدت معاهدة الصداقة بين بريطانيا والمملكة السعودية ، التى حلت محل معاهدة الحماية ، التى عقدت سنة ١٩١٥ ، أما حدود المملكة من الجهة الشرقية والشرقية الجنوبية ، فلم يجر بشأنها أى بحث ، ولم يُثَر بشأنها أى نزاع .

لقد نص فى المادة الأولى فى معاهدة سنة ١٩١٥ :

أن الحكومة البريطانية تعترف وتقبل أن نجدا والأحساء والقطيف وجبيل وملحقاتها ، التى تعين هنا ، والمرافىء التابعة على سواحل خليج العجم، كل هذه المقاطعات هى تابعة للأمير «ابن سعود» وآبائه من قبل ، وهى تعترف بابن سعود حاكما مستقلا على هذه الأراضى ، ورئيسا مطلقا على جميع القبائل الموجودة فيها .

وفى المادة السادسة :

يتعهد « ابن سعود » كما تعهد والده من قبـل ، بأن يمتنع عن كل تجاوز وتدخل فى أرض الـكويت والبحرين ، وأراضى مشايخ قَطَرٍ وعُمانَ وسواحلها ، وكل المشايخ الموجودين تحت حماية إنجلترا والذين لهم معاهدات معها .

وتنص المادة السابعة والأخيرة :

الحـكومة البريطانية و«ابن سعود» يتفقان فيما بعد بمعاهدة ؛ على التفصيلات التى تتعلق بهذه المعاهدة .

وفى سنة ١٩٢٧ عقدت معاهـدة صداقة جوار بين الحـكومة البريطانية وبين الحـكومة العربية السعودية ، وقد نُصّ فى المادة السادسة منها على مايلى :

يتعهد صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها ، بالمحافظة على علاقات الود والسـلم مع الـكويت والبحرين ومشايخ قَطَر والساحل العُمانى ؛ الذين لهم معاهدات خاصة مع حكومة صاحب الجلالة البريطانية .

ولم تُثَر مسألة الحـدود الخاصة بمشايخ قَطَر والساحل العمانى . كما أن معاهدات الحماية التى عقدتها الحـكومة البريطانية مع هؤلاء المشايخ ، لم تتعرض للحدود . والسبب فى ذلك أن الحـكومة البريطانية لم تكن تهتم إلا بتأمين الملاحة فى الخليج العربى ، كما يدل على ذلك الوثائق الرسمية العديدة . إن المملـكة العربية السعودية الحالية ، ماهى إلا امتداد لحـكم « آل سعود » ، الذى كان له الفضل الأكبر فى إحياء الروح الدينى الصحيح ؛ ومحاربة البدع والخرافات ، التى انتشرت فى بلاد المسلمين ، وبين المسلمين ، وقد قضت عليها قضاء مبرما فى «جزيرة العرب» ، كما أن هذه الدولة فى جميع أدوارها ، كان لها الفضل الأكبر فى تأمين الطرق ، وسيادة الأمن فى البادية والحاضرة ، وذلك بفضل اتباع تعاليم الإسـلام ، وتنفيذ أوامره بلا هوادة وبلا محاباة ، وأن المشايخ المشمولين بالحماية

البريطانية لم يتعد نفوذهم بلادهم الساحلية ، ولم يمتد نفوذهم إلى الداخل أكثر من بضعة أميال .

أول مرة أثارت فيها الحكومة البريطانية موضوع الحدود الشرقية ، والشرقية الجنوبية ، كان فى سنة ١٩٣٤ أى بعد مضىّ سبع سنوات من معاهدات جُدَّة ، وبعد مضى سنة من منح امتياز البترول الشركة الأمريكية . ولقد جرت مفاوضات ومراسلات بين الحكومتين : مرة فى جدة ، وأخرى فى لندن ، لم تسفر عن نتيجة .

وآخر مفاوضات فى هذا الموضوع قام بها صاحب السمو الملكى الأمير «فيصل» ، كان فى صيف سنة ١٩٥١ ثم استؤنفت المفاوضات مرة أخرى فى الدَّمام ، فى أوائل سنة ١٩٥٢ ، كان البَوْن فيها شاسعا بين الطرفين المتفاوضين . وفى آخر جلسة من جلسات المؤتمر صرح «السير روبرت هاى» المقيم البريطانى فى الخليج ، بأن الموضوع لايمكن حله بهذه الطريقة ، وأن الأفضل إحالته لتحكيم ، ومن هنا نبتت فكرة التحكيم ، وعند انتهاء المؤتمرين بالخيبة ، تعهد الفريقان بأن لايقوما بأى نشاط فى المناطق المختلف عليها ، وألا يشجعا شركات الزيت فى القيام بأى بحث أو تنقيب .

غير أنه حدث مالم يكن فى الُحسبان ، فإن بعض أمراء ومشايخ «البُرَيمى» ، طلبوا من جلالة الملك عبد العزيز إرسال أمير وقاض ، يقوم بالفصل فى القضايا والمخاصمات التى تقع بين الناس . فأرسل جلالته تركى بن عُطَيشان ومعه أربعون نفرا ، ما بين جندى وكاتب وطباخ ، فأثار هذا التصرف حفيظة الإنكليز ، واحتجوا على هذا التصرف ، وعدُّوه خرقا للعهد الذى قطعه الفريقان . ولقد تطورت الأمور بعد ذلك بين مدّ وجزْر . لقد اقترحت الحكومة البريطانية أكثر من مرة سحب ابن عُطَيشان ، وإبقاء الحالة على ما كانت عليه ؛ ولكن الحكومة العربية السعودية رفضت .

وأخيرا اتفق الفريقان على أن يبدل بالجنود خمسة عشر شُرْطيا ، وعلى أن تشكل هيئة تحكيم ، للفصل فى هذه القضية .

لقد توفى الملك عبد العزيز فى ٩ نوفمبر ١٩٥٣ تاركا المشكلة كما كانت ، ولكن بعد أن اتفق الفريقان على أسس التحكيم ، وأن يستبدل بالجنود خمسة عشر شُرْطيا لكل فريق ، ليحلوا محل قوات الفريقين . وفى اليوم التاسع والعشرين من شهر ذى القعدة ١٣٧٣ الموافق ٣٠ يوليو ١٩٥٤ وقع الاتفاقية بالنيابة عن الحكومة العربية السعودية سمو الأمير (فيصل) وعن بريطانيا (مستر ج . س . بلهام) السفير البريطانى بجدة .

وفى سبتمبر ١٩٥٥ أمرت الحكومة البريطانية (السير ريدر بولارد) بالانسحاب من هيئة التحكيم ، بدعوى اتهام الحكومة العربية السعودية بأنها خالفت اتفاقية التحكيم برشوة بعض الحكام والسكان ، مع أن هذا الادعاء كان مقدما للمحكمة ، وللمحكمة وحدها حق الفصل فى هذا الموضوع وسواه . وفى أكتوبر سنة ١٩٥٥ احتلت الجنود البريطانية منطقة «البُرَيْمى» ، وتلا هذا الاحتلال بيان من السير «أنطونى إيدن» رئيس الوزارة البريطانية كله سفسطة ومغالطة ، فقد بُرِّر هذا الاحتلال بمثل ما يبرِّر به كل قوى معتز بقوته ، حقه فى الاعتداء على الغير .

لقد كنا نظن أن بريطانيا فى القرن العشرين (عصر الأمم المتحدة) . وعصر الوعى والحضارة ، واتصال الأمم بعضها ببعض ، غير بريطانيا فى القرن الثامن عشر والتاسع عشر ، ولكن بريطانيا فى عصر (إيدن) كانت هى بريطانيا فى عصر (فيكتوريا) . إن عصر القوة لن يدوم ، ولا يدوم إلا عصر الأخوة والتعاون . وقدرت الحكومة العربية السعودية سحب سفيرها من لندن احتجاجا على هذا الاعتداء الصارخ ، ورفض جلالة الملك قبول السفير الجديد . وبعد بضعة أشهر وصلت بعثة من بريطانيا ، يرأسها مستر «باركر» مساعد وزير الدولة البريطانى لشئون الخارجية ، ولكن هذه البعثة باءت بالخيبة : ما عدا قبول

السفير البريطانى الجديد الذى قدم أوراق إعتماده . أما مسألة (البريمى) فقد أبى الوفد البريطانى أن يبحثها ، وقد رفض أن يشار إليها فى البلاغ الرسمى ، فرفضت الحكومة العربية السعودية إصدار أى بلاغ لا يشار فيه إلى قضية (البُرَيمى) .

وفى أكتوبر سنة ١٩٥٦ بعد الاعتداء على بور سعيد ، رأت الحكومة العربية السعودية قطع علاقاتها مع الحكومة البريطانية ، تضامنا مع شقيقتها مصر . وقد جرت عدة محاولات فى بريطانيا وأمريكا وسويسرا باءت كلها بالخيبة ، و بدلا من أن يعمد البريطانيون لإصلاح خطئهم ، احتلوا خُور العديد فى صيف ١٩٥٨ ، و بنوا بها مراكز ادعوا أنها مراكز للشُّرطة ، لفض النزاع بين صيادى الأسماك ، وهو ادعاء غريب ، فخور العديد لم يبن به بيت منذ أكثر من سبعين سنة ، والغريب أن احتلال هذه المنطقة كان باسم (أبو ظبى) ، تلك القرية الساحلية الصغيرة التى لا يتجاوز سكانها بضعة آلاف نسمة ، والمنطقة المختلف عليها ببدوها وحضرها ، تدين بالأمن الذى سادها للمرحوم «عبد الله بن جَلَوى» ، وولده أمير المنطقة الشرقية الحالى ، الأمير «سعود ابن جلوى» .

و إن شيخ (أبو ظبى) نفسه ، الذى تحاول الحكومة البريطانية أن تضم إلى أراضيه أراض يعجز عن حمايتها ، بل عن حماية نفسه فى بلده ؛ يعرف هذه الحقائق كل من عرف الخليج وشيوخه ، وكل من وقف على تاريخ الخليج وصلته بنجد فى المئتى سنة الماضية . أصلح الله حال العرب والمسلمين ، و بصرهم بمصالحهم ؛ إن خيرهم فى تعاونهم ، وقوتهم فى اجتماعهم ، والله يهدى من يشاء إلى سواء السبيل .

لقد كان ابن سعود صديقا وفيا لبريطانيا ، لم تزعزع صداقته أحداث الزمان ، بل بقى ثابتا كالطود ، ولا سيما فى الأيام السود التى مرت على بريطانيا فى الحرب الثانية ، ولكن بريطانيا لم تراع هذه الصداقة ، ولم تترك مجالا لأصدقاء الفريقين لتقريب شقة

الخلاف ، وصداقة الدولة السعودية خير ألف مرة من صداقة شيخ (أبو ظبى) ، ولعلنا نجد من بعض رجال بريطانيا ، أمثال كوكس ، ولانسلوت أوليفانت ، وكلايتون ، وجورج رندل ، ممن حباهم الله بعد النظر والحكمة ، من يعالج مشكلة الحدود ، فقد تغلب هؤلاء على مشاكل كان يُظن أنها مستعصية ، وغير قابلة للحل .

ولقد طلبت الحكومة العربية السعودية من سكرتير هيئة الأمم المتحدة (مستر همرشولد) أن يبذل جهده لتقريب شقة الخلاف بين الفريقين المختلفين ، وهما من أعضاء الأمم المتحدة ، حتى يسود السلام والأمن فى هذه المنطقة ، ونرجو أن تكلل مساعيه بالنجاح ، وتعود صلات المودة بين الحكومة العربية السعودية وبريطانيا ، تلك المودة التى كان يرعاها ويحافظ عليها الملك الراحل ، عبد العزيز العظيم ، والتى حاول الملك سعود أن يسير فيها على خُطا والده ، ولكن مستر «إيدن» بتصرفه غير الحكيم : قضى على الأسس المتينة التى قوتها السنون ، كما قضى على الشعور الطيب الذى لبريطانيا فى الشرق الأوسط ، بالاشتراك مع إسرائيل عدو العرب والمسلمين ، فى الاعتداء على بور سعيد .

٣

العلاقات الخارجية

المملكة العربية السعودية والعراق

لم تكن هنالك حدود بالمعنى الدولى المتعارف ، بين نجد والعراق ، فعشائر نجد يرتادون بادية العراق إذا قل المطر فى ديارهم ، وكذلك العشائر الساكنة فى العراق ترتاد بادية نجد ، وتمتار من مدن العراق المتاخمة لها . وفى الحقيقة إن أكثر العشائر المعروفة اليوم فى العراق ، هى عشائر نجدية، رحلت إلى العراق وسُورية ونجد كعنَزَة ، وبعضها يسكن العراق وشمال نجد كشَمَّر .

والحدود النجدية تمتد أوتقصر بقوة الحاكم ، وامتداد سيطرته . يقول المرحوم الملك «عبدالعزيز»: إن السير «برسى كوكس» فى أول اجتماع معه فى العُقَير ، حاول أن يغريه بإعلان الحرب على الأتراك، وأن بريطانيا تساعده بالمال والسلاح ، ولكنه اعتذر عن ذلك ، بأنه مادام «ابن رَشيد» فى نجد ، فإنه لايستطيع أن يقوم بدور فعال ، ولكن الشريف حسينا يمكن أن يقوم بهذا العمل ، ولا سيما أن أبناءه عليًّا وفيصلا وعبد الله ، كانوا متصلين بالعالم الخارجى، وسأكفيكم أنا «ابن رشيد» ، فإنه سينضم إلى الأتراك لامحالة ، نوافق السير «برسى كوكس» على ذلك ، ويقول المرحوم الملك « عبد العزيز » : إن «كوكس» قد أعطانى القمر بيد ، والشمس بيد أخرى .

ولذلك كانت دهشته عظيمة عند اطلاعه على معاهدة المُحَمَّرة ، وهى المعاهدة التى

قام بالمفاوضة فيها الدكتور عبد الله الدملوجى وأحمد الثنيان .

لقد كان السلطان «عبد العزيز» يعتقد أن حدوده تمتد إلى الفرات ، لأن الفرات هو الحد الطبيعى للبادية ، ولذا غضب على مندوبيه ، وأخبر الحكومة البريطانية بأنه لا يوافق على هذه المعاهدة ، وأنه يعتبرها نقضا لما تعهد له به السير «برسى كوكس» .

بإزاء ذلك رأت الحكومة البريطانية أن توفد إليه السير « برسى كوكس » . فوصل إلى العُقَير فى أواخر نوفمبر سنة ١٩٢٢ ، ومعه من العراق صُبيح بك نشأت وزير المواصلات والأشغال العامة ، وفَهْد بن هذال شيخ عَنَزَة ، إحدى العشائر التى كان يطالب بها ابن سعود ، و بعد مفاوضات طويلة ، وضع الفريقان ملحقين لاتفاقية المُحَمِّرة ، فيهما بعض التعديل ، وأخذ ببعض وجهات نظر ابن سعود ، وقد سمى هذان الملحقان ببروتوكولى العُقَير ، أمضيا فى ٢ ديسمبر ١٩٢٢ .

أمضى ابن سعود هذين الملحقين : إرضاء للانكليز : لأنه لا يريد أن يخسر صداقتهم ، وقد ازداد الأشراف قوة بتعيين فيصل ملكا على العراق ، وعبد الله أميرا للأردن .

وفى نفس هذا المؤتمر حددت الحدود بين الكويت ، ونجد أيضا ، وقد أرضى البريطانيون « ابن سعود » بضم قرية إلى حدود نجد ؛ وقد كان يطالب بها شيخ الكويت . وقد نشرت هذه المعاهدات مع غيرها من المعاهدات فى كتيِّب طبع بمكة .

غير أن الأمن لم يستقر فى شرقى الجزيرة ، فقبائل مُطَير على الأخص ، بقيادة (فيصل الدويش) ، استمرت فى غاراتها على بادية العراق والكويت ، واستمرأت المغانم الكثيرة التي كان يرجع بها إلى دياره ، فاستفز ذلك عشائر العراق أيضا ، إلى الاعتداء على بادية نجد ، وأخذ النهب والسلب ، طريقه من الجانبين . وقد رأت الحكومة العراقية أن تبنى مخافر على حدودها ، إتقاء لشر البادية ، فاعتبر ابن سعود هذه المخافر



جلالة الملك الراحل والسير برسى كوكس فى العقير (الخليج العربى) الميناء السعودى عام ١٣٤١ هـ = ١٩٢٢ م

حصونا شيدت للاعتداء على نجد ، وكيف يحسن الملك عبد العزيز الظن بالعراق وعلى رأسها فيصل بن الحسين ؟

ولذا أمطر ابن سعود الحكومة البريطانية وابلا من الاحتجاجات ، من طريق البحرين وبغداد ، ومصر ، وكنت أقوم بهذه السفارة ، متنقلا من الكويت إلى بغداد ، إلى مصر ، ولكن بدون جَدْوَى . ولقد حاول السير «برسى كوكس» أن يجتمع الملكان : (فيصل وعبد العزيز) ولكنه لم يوفق .

والحقيقة التى لامراء فيها ، أن العراق كان يرفض تسليم الغزاة إذا لجئوا إليه ، مع اتفاق الفريقين على أن الغزو جريمة يجب أن يعاقَب القائمون بها ، والكتب المتبادلة بين الملك عبدالعزيز والسلطات البريطانية ، تبين مقدار ما كان يشعر به من قلق .

وبتسليم (فيصل الدويش) فى سنة ١٩٣٠ واجتماع الملك «عبد العزيز» مع الملك «فيصل» على إحدى البوارج الإنكليزية ، قد خفت حدة التوتر ، وأصبح الملكان يتبادلان الرسائل الودية والهدايا ، من وقت لآخر .

وفى سنة ١٩٣١ عقدت معاهدة صداقة وحسن جوار بين الفريقين ، كما عقدت اتفاقية للتحكيم بين الحكومتين ، واتفاقية لتسليم المجرمين أيضا ، وهى التى كانت تهتم بها الحكومة العربية السعودية ، وكانت الأسس قد وضعت فى مؤتمر الملكين ، الذى عُقد فى السنة السابقة .

وهذه المعاهدات قد صَفَّت الجو بين البلدين المتجاورين . ولقد حاول الملك عبد العزيز أن يقوى روابطه بالعراق ، فأمرنى بالمرور بالعراق ، والبقاء به مدة تسمح لى بالإتصال برجال العراق البارزين ، حاكمين أو غير حاكمين .

كان يرأس الحكومة فى ذلك الوقت «السيد على جودت الأيوبى» ، ونوري السعيد كان على رأس وزارة الدفاع .

دار البحث بيني وبين رجال العراق على المسائل الآتية :

توحيد السلاح .

توحيد البريد .

لقد كان هنالك اتفاق على أسس : وتركت التفاصيل إلى لجان تؤلف من الفريقين .

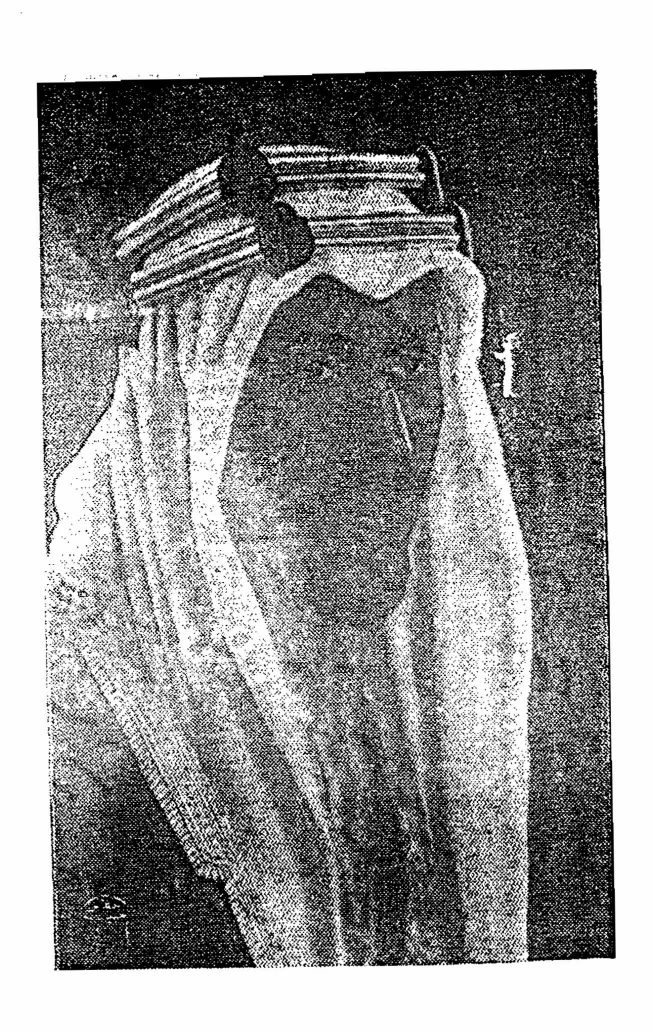
ولكن لم تؤلف لجان، ولم يتم شيء، وقد صدق المرحوم «يس الهاشمي» إذ قال: إن كلامنا كثير، وعملنا قليل، لا تخدع بكل ما تسمع، إن آمالنا عظيمة، وأعمالنا قليلة.

وقامت ثورة ١٩٣٦ بقيادة «بكير صدقي» : وانتهت بمقتل «جعفر العسكري» وزير الدفاع، وسقوط الوزارة العراقية، وفرار أعضائها. وقد أراد بكير صدقي إزالة بعض الجفاء مع جاره الملك عبد العزيز، فدعت الوزارة الجديدة ولي عهد المملكة العربية الأمير سعود (الملك سعود) فزار العراق في ربيع ١٩٣٧، وقوبل بحفاوة بالغة من «الملك غازي»، ومن وزرائه، ومن الشعب العراقي.

وقد تركت هذه الزيارة أثراً حسناً في نفس الملك عبد العزيز وولي عهده، وقد رافقتُ سمو الأمير «سعود» في هذه الزيارة.

وقد استدعت الحكومة العربية السعودية وزيرها المفوض «إبراهيم بن معمر»، لأنه لم يكن موقفه وديا مع الحكومة القائمة في ذلك الوقت، وقد سبق أن اشتكت إحدى الحكومات السابقة منه، ولكني سويت الموضوع مع «نوري السعيد» في أثناء زيارته للندن.

لقد كان مقتل «جعفر العسكري» صدمة عنيفة «لنوري السعيد»، وكان يتهم الملك غازيا وبكير صدقي بقتله، وكان يقسم أغلظ الأيمان أنه لن تنام له عين حتى يأخذ بثأر جعفر منهما، وقد كتب للملك «عبد العزيز» يعرض عليه الاتحاد بين العراق ونجد على



الأمير سعود (الملك الحالى) عام ١٣٥٥ هـ = ١٩٣٥ م

الأمير سعود (الملك الحالى) والملك غازى (ملك العراق) عام ١٣٥٧ هـ = ١٩٣٧ م

أن يكون الأمير «فيصل» نائبا لوالده فى بغداد ، وعلى أن تكون الإدارة فى العراق مستقلة عن إدارة نجد . ولكن الملك «عبد العزيز» لم يُلْق بالا لأمثال هذه المقترحات ، لأنه يعلم علم اليقين ، أن وراء العراق الإنكليز ، وما داموا لم يفاتحوه بأمر خطير كهذا ، فإنه لا يشغل باله بالتفكير فى موضوع خطير مثله .

وفى الوقت نفسه لا يرى من الحكمة أن تسوء علاقته بالحكومة العراقية ، بسبب مشروع خيالى . ويجدر بالذكر أن جلالة الملك «عبد العزيز» كان يغمر نورى بعطفه ، ومساعدته فى محنته ، كما كان يغمر بعطف ومساعدة كثيرا من زعماء العرب السوريين واللبنانيين .

على أن العلاقة بين العراق والمملكة العربية ، كان يسودها التوتر بين حين وآخر ، بسبب حركات العشائر .

وفى غضون سنة ١٩٣٩ وأوائل سنة ١٩٤٠ فر عدد كبير من قبيلة شَمَّرَ إلى العراق ، وكان الملك «عبد العزيز» يحسب ألف حساب لشمر ، فهم جماعة «آل رَشيد» حكام نجد الشمالية السابقين ، والذين لا يزالون يحلمون باسترجاع سيادتهم على المناطق الشمالية . وهو يعلم أن الأشراف فى العراق يحتضنون شَمَّرَ ، كى يستعملوهم أداة فى الوقت المناسب . فقد كثرت المراجعات مع الحكومة العراقية ، وكان الوزير المفوض للمملكة العربية السعودية فى بغداد السيد « حمزة غوث » ، ويظهر أنه لم تكن علاقته طيبة مع نورى السعيد ، ونورى فى ذلك الوقت كان رئيس الحكومة العراقية ووزير الخارجية .

فرأى جلالة الملك «عبد العزيز» أن يوفدنى إلى العراق ، بعد أن أتممت معاهدة الكويت والمملكة العربية السعودية .

وصلت إلى بغداد فى مارس ١٩٤٠ ، فدعانى نورى السعيد إلى الغداء ، ووجدت منه روحا وديا طيبا ، ورجا منى أن أتعاون معه لحل المسائل المعلقة مع الحكومة العربية ، ولكنى لم أجد ترحابا ولا تعاونا صادقا من وزير السعودية المفوض ، فالبرقيات يتأخر وصولها

إلىّ ، فرأيت أن أستقل بالعمل ، بالرغم من أن ذلك قد يكون اعتداء على حق المندوب السعودىّ .

وجدت أن أفضل طريقة أن أقابل نورى فى بيته صباحا ، وهو يقابلنى فى الفندق ليلا ، فاتفقنا معا على أن نسافر إلى حيث يوجد جلالة الملك ؛ وفى ثلاثة أيام يمكننا أن نحل جميع المسائل المعلقة ، وهذا خير من الجدل ، ومن البرقيات الكثيرة التى أرسلها كل يوم . ولكن فى صباح بعض الأيام ، أخبرنى بأنه لا يستطيع أن يسافر إلى نجد ، ويترك رشيد عالى هنا ، لأن رشيد عالى ألمانى ، ويخشى أن يفسد الجو فى أثناء غيابه ، ورشيد عالى كان يشغل رياسة الديوان ، وسمعت من السفارة الإنجليزية مايؤيد ذلك . لقد تحققت أن هذه خطوة جديدة للعدول عن رأيه الذى اتفقنا عليه ؛ ولكننى لم أيأس ، فاتصلت برشيد عالى فى مكتبه ، وفى بيته ، وأقنعته بالسفر معنا ؛ ليكون خير وسيط ومعين ، لحل المسائل المعلقة ، ولإزالة الجفوة بين البيتين الحاكمين ؛ فقبل بعد استشارة الوصىّ الأمير عبد الإله .

وقد دهش نورى والإنكليز معا ، من تمكنى من إقناع رشيد عالى ؛ وهنا طرأت مشكلة أخرى ، وهى أن نورى يصر على السفر بطائرة بريطانية ، لأنه لا يثق بالطائرات العراقية .

فسعيت إلى البريطانيين فى بغداد ، وقد كان بينى و بين القائم بالأعمال صداقة قديمة ، حينما كان فى وزارة الخارجية بلندن ، فوعدونا بطيارة ستصل قريبا من القاهرة.

وقبل أن تصل الطائرة استقالت وزارة نورى السعيد ، وألف رشيد عالى الوزارة الجديدة ، وتولى نورى وزارة الخارجية ، وقد أخبرنى نورى قبل وصول الطائرة ، أنه لن يسافر مع رشيد عالى ، ولكنه مستعد للسفر وحده بمجرد وصول الطائرة.

فاستعنت بالجنرال «طه الهاشمى» ، وكان يشغل وزارة الدفاع ، وهو صديق لرشيد

عالى ، وقلت له : إن أخانا رشيدا فى إمكانه أن يساعدنا الآن أكثر من قبل ، فهو يشغل وزارة الداخلية ، بجانب رياسة الحكومة ، وأن أشغاله الآن كثيرة ، وأعلم أنه يعد العدة لمواجهة مجلس الأمة ، وليس من المصلحة أن أصر على سفره الآن ، والفرص كثيرة للاجتماع بجلالة الملك «عبد العزيز» .

وفى اليوم الثانى أخبرنى السيد «طه الهاشمى» : أن السيد رشيد عالى يشكرنى ، وأنه كان ينوى الاعتذار عن السفر ، للأسباب التى ذكرتها ، وهو سيعطى نورى سلطة غير محدودة ، وتفويضا كاملا لحل المسائل المعلقة ، وأن من مصلحة العراق أن يشعر جلالة الملك أن العراق لا مصلحة له فى إيواء شَمَّرَ أو غيرها من القبائل .

وبعد بضعة أيام وصلت طائرة بريطانية من طائرات نقل الجنود ، فسافرنا عليها من بغداد إلى مطار الشُّعَيبة ، ثم إلى البحرين : حيث تغدينا مع الشيخ عبد الله ابن عيسى آل خليفة ، ثم نزلنا فى الصحراء ، فى مكان يدعى روضة التنهات .

وبعد ثلاثة أيام فى مفاوضات كان يسودها روح المودة ، حُلَّت جميع المسائل المعلقة ، حلولا رضى الفريقان عنها . ولقد سُرّ جلالة الملك عبد العزيز سرورا لا يقدر من زيارة نورى السعيد ، كما سر من حل المسائل التى كانت تشغل باله ، ولقد قال لى رحمه الله وهو يقدم لى ساعة ذهبية فاخرة ، وسيفا وخنجرا ، وصُرة من النقود الذهبية :
يا حافظ ، والله لو كان عندى أكبر نيشان أو أكبر لقب لمنحتك إياه ، ولكن هذا ما عندنا نقدمه لك .

فأجبته : يا جلالة الملك . هنالك شىء أكبر مما ذكرت ، ومما منحتنى . قال : ما هو ؟ قلت : رضا الله ثم رضاك .

فقال : أما رضاى فالله يعلم أنى راض عنك : وأما رضاء الله فنسأل الله أن يرضى

عنك وعن الجميع . ثم قال : إن السيد حمزة قد عزلته عن العراق ، لأنه ليس بكفء ، لأنه كان ينقل إلى أخبارا تحققتُ من كذبها ، ويظهر أن نورى فى أثناء أحاديثه الخاصة مع جلالة الملك ، قد لمزه وشكا من سلوكه غير الودى فى العراق .

وفيما يلى نص المذكرة الذى نشر بعد انتهاء المفاوضات :

مصر فى ٥ ربيع الأول ١٣٥٩ الموافق ١٣ أبريل ١٩٤٠

مذكرة

تتشرف المفوضية بإهداء تحياتها إلى المفوضية العربية السعودية بلندن ، وتقدم إليها نسخة من محضر الاتفاقية ، الذى أسفرت عنه المباحثات التى جرت بين ٢٦ ــ ٢٨ صفر ١٣٥٩ ــ الموافق ٤ ــ ٦ أبريل ١٩٤٠ ، ووقعه ممثلا المملكة العربية السعودية والمملكة العراقية . وقد أذيع فى صحف مصر والعراق يوم ٣ ربيع الأول ١٣٥٩ الموافق ١١ أبريل ١٩٤٠ .

والمفوضية تتشرف بتقديمه للإحاطة والنشر ، حسب الأمر العالى من الرياض .

مصر فى ٥ ربيع الأول ١٣٥٩ الموافق ١٣ أبريل ١٩٤٠

أصدرت الحكومتان السعودية والعراقية البلاغ الرسمى الآتى :

فى أثناء الزيارة التى قام بها الوفد العراقى برياسة صاحب الفخامه السيد نورى السعيد ، وزير خارجية الحكومة العراقية ، بين (٢٦ ــ ٢٨ صفر ١٣٥٩ الموافق ٤ ــ ٦ أبريل ١٩٤٠) دارت بين الفريقين مباحثات متتابعة ، تتعلق برغبة حكومتيهما الصادقة ، فى تعزيز وتوسيع الروابط الودية والأخوية ، الموجودة بفضل الله تعالى بين المملكتين الشقيقتين ، وتبودلت فى أثناء تلك المباحثات وجهات النظر ، والآراء المتعلقة بسياسة الفريقين الخارجية ، وظهر على صورة جلية ، أن سياستهما مستمدة

من روح الإخاء والتعاون والتفاهم ، المثبتة فى معاهدة الأخوة والتحالف المنعقدة بينهما فى (١٠ المحرم سنة ١٣٥٥ ـ الموافق ٢ نيسان ١٩٣٦) ومن الرغبة فى جمع شمل الأمة العربية ، وتوحيد كلمتها ، وحل القضايا المعلقة بين المملكتين بروح المودة والصداقة ؛ وتنظيم التعاون العام بين سلطاتهما ، المنصوص عليها فىمعاهدة الصداقة وحسن الجوار. المنعقدة فى (٢٠ ذى القعدة ١٣٤٩ الموافق ٧ نيسان ١٩٣١) .

وتأييدا لما تقـدم ، وتحقيقا لتعزيز صلات المملكتين الودية ، وتوسيع نطاق تعاونهما فى خدمة العرب ، فقد تم الاتفاق على حل قضايا عشائر الحدود المعلقة بينهما ، على الأسس التالية :

أولا :

(أ) يعين كل من الفريقين موظفى حدود فى مناطق الحدود . التى تكثر فيها الحوادث المخلة بالأمن ، والتى يُتفق عليها فيمابعد .

(ب) يخول موظفو الحدود المشار إليهم فى الفقرة (أ) سلطة تامة فى الأمور التالية :

١ — معالجة وحسم كافة القضايا المتعلقة بالأمن على حدود المملكتين ، ضمن منطقة عمقها ٣٠ كيلو مترا ، على جانبى كل من خط الحدود .

٢ — اتخاذ التدابير المقتضية للحيلولة دون قيام أى شخص من رعايا الفريقين، بأى عمل من شأنه أن يعكر صفو العلاقات بين المملكتين (ومن ضمن ذلك القيام بالدعاية ضد أحد الفريقين) .

٣ — معالجة قضايا الإبل المفقودة أو المسروقة ، على صورة سريعة ، ومنح كافة التسهيلات الممكنة للأشخاص المختصين ، الذين يبحثون عنها : من

رُعاة وقصاصين وغيرهم ، سواء أكانت تلك الإبـل عائدة للحكومة أم للأهالى .

٤ — التعاون على تبليغ رعايا الفريقين أوامر حكومتيهم .

ثانيا :

(أ) يبعد إلى الحدود النجدية ، ويمنع من الإقامة والرعى فى الأراضى العراقية ، الواقعة على حدود المملكتين ، أفراد عشيرة شَمّر نجـد ، الذين نزحوا إلى العراق فى خلال الخمس السنوات الأخـيرة . ويستثنى من ذلك الأشخاص الذين توافق الحكومة العربية السعودية تحريريا على بقائهم فى المنطقة المذكورة ، للرعى والامتيار .

ويمنع بعد هذا نزوح أفراد العشيرة المذكورة ، على صورة وقتية أو دائمة ، من نجد إلى هذه المنطقة ، إلا بموافقة الحكومة العربية السعودية على ذلك تحريريا .

(ب) يمنع أفراد عشـيرة الظفير والدهامشة ، ممن يختارون تابعية المملكة العربية السعودية ، من الإقامة والرعى فى المنطقة المذكورة ، إلا بموافقة الحكومة العراقية على ذلك تحريريا .

فيصل	نورى السعيد
وزير خارجية المملكة العربية السعودية	وزير خارجية المملكة العراقية

على أن مشاكل شَمّرَ لم تقف عند هـذا الحد ، بل كانت دائماً تخلق جوا مشوبا بالشك ؛ ولـكن عقلاء الجانبين كانوا يتغلبون على جميع الصعوبات .

ولرغبة الملك «عبدالعزيز» فى صفاء الجو مع جيرانه ، كانت لا تفوته فرصة للمجاملة. ففى يوم تولى الملك « فيصل الثانى » ملك العراق سلطاته ، وكذلك حسين ملك الأردن ، أرسل ولى عهده إلى العراق ، وأحد أبنائه إلى الأردن ، ومع ذلك لم يجامل العراق العائلة السعودية يوم وفاة الملك العظيم «عبدالعزيز» ، وقد جاملت جميع البلاد العربية المملـكة العربية السعودية ، وكان أول من قام بالتعزية الحكومة المصرية ، قام الرئيس «عبد الناصر» على رأس وفد ، لتقديم التعزية للملك سعود ؛ فـكانت مجاملة كريمة .

إننا نكتب للتاريخ ؛ وقد أصبح أكثر من ذكرناهم فى ذمة التاريخ، أصلح الله العرب ؛ وأرشدهم إلى خـير بلادهم ؛ فعزم فى تضامنهم، وقوتهم فى تعاونهم؛ ولن ينال منهم عدوهم ماداموا بالحق مستمسكين ؛ (وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنصُرُه ، إن الله قوى عزيز) .

نجد وشرقيّ الأردن

لم يكن لشرقىّ الأردن كيان مستقل ، قبل وصول الأمير «عبد الله» إليها فى سنة ١٩٢٠ ؛ بل كانت تلك المنطقة قطعة من سُورية ؛ وكان الملك حسين يعتبر سورية والعراق قسما من أمبراطوريته . ولما احتل الفرنسيون سورية ، وطردوا الملك فيصلا منها ؛ أرسل ولده عبد الله إلى تلك المنطقة ، لتحرير سورية ؛ ولذلك انضم إلى الأمير «عبدالله» عدد غير قليل من أحرار العرب ؛ وبالطبع لم يكن فى إمكان الملك حسين ، ولا الأمير عبدالله تحرير سورية ؛ ولذلك بقى الأمير فى «عَمّان» ؛ وأسس لنفسه إمارة ، ثم مملـكة ؛ بعدما رأى شقيقه «فيصلا» يتبوأ عرش العراق ؛ الذى كان يعتقد أنه نصيبه من التركة التركية .

لقد ورث «عبدالله» من والده وأسلافه كراهية «آل سعود» ، والملك «عبدالعزيز» بخاصة . لقد ذاق عبد الله مرارة الهزيمة فى ترَبة سنة ١٩١٩، تلك الهزيمة التى كسرت العمود الفقرىّ للجيش الهاشمى .

وقبل الأمير «عبدالله» الانتداب البريطانى الذى فُرض على فِلسْطين؛ ووضع بجانبه مستشار إنكليزى ؛ ليراقب الحالة السياسية والاقتصادية فى تلك المِنطقة ، وقد يكون للإنكليز فضل كبير فى منع النفوذ اليهودىّ من الوصول إلى شرقى الأردن، فلم يسمحوا ببيع الأراضى لليهود ؛ كما سمحوا بها فى فلسطين .

وكان أول احتكاك بين أمير شرقى الأردن و «ابن سعود» : هو اعتداء الأمير «عبدالله» على «قريات الملح» وقريات الملح كانت دائماتتبع الجَوْف، ولم يسمع أن الأتراك احتلوا هذه المنطقة من قبل.

وضاق «ابن سعود» ذرعا بهذا الاعتداء ، فهو يخشى إذا حاول استردادها بالقوة : أن يصطدم مع الإنكليز؛ وهو لا يريد أن يزداد أعداؤه ، أو يزداد الأشراف قوة بمساعدة الإنكليز لهم .

واحتج على تصرف عبد الله بالكتابة و بالقول ؛ حين اجتمع مع السير «برسى كوكس» فى ديسمبر ١٩٢٢ .

ولقد ثارت ثائرة الإخوان النجديين لهذا الاعتداء ، لا سيما عَنَزة ، فاتخذوها ذريعة؛ فكثرت غاراتهم على أعراب شرقىّ الأردن ؛ وربما كانت أكبر غارة لهم تلك الغارة التى أشرفوا فيها على عَمّان ، ولولا الطائرات والدبابات البريطانية؛ لتمكنوا من احتلال عَمّان .

ولكن الشىء الذى يؤسف له ، أن غارات الإخوان النجديين لا تخلو من قسوة على الأبرياء ، من قتل ونهب للأموال .

غير أن حكمة ابن سعود ، قد تغلبت أخيرا على طيش عبدالله ، فنى ٢٠ نوفمبر سنة ١٩٢٥ تمكن من استردادها ، بعد مفاوضات طويلة مع الجنرال كليتون ، وفى نفس الوقت حددت الحدود بين نجد وشرقي الأردن .

وفى ١٩ مايو سنة ١٩٢٧ حددت الحدود بين الحجاز وشرقى الأردن ، بصورة مؤقتة ، على أن حالة الأمن على حدود البلدين كانت دائما مدار نزاع ، فعشائر البلدين كانت تنتهز الفرص للاعتداء على الأخرى .

وقد اضطرت الحكومتان فى سنة ١٩٣١ إلى قبول حَكَمٍ بريطانى ، للنظر فى دعاوى الفريقين ، وقد رأت وزارة الخارجية البريطانية ، أن يتنازل كل فريق عن دعاويه ، بالنظر إلى صعوبة التحقيق ، والتحقق من صحة ادعاء كل فريق .

ورأى الفريقان بعد ذلك ، أن اضطراب الأمن على الحدود لا يفيد إلا أولئك المجرمين ، فعقدت معاهدة صداقة وحسن جوار فى يوليو سنة ١٩٣٣ ، وتلتها معاهدة تحكيم على نمط معاهدة التحكيم العراقية ، ثم عدد من الملحقات فى تبعية العشائر ، وفى العقوبات التى يجب أن تلحق بالمجرمين ، ولأول مرة تعترف الحكومة العربية السعودية بعوائد البادية فى الدية ، فتنص على أن الدية عشر نياق ، بين الثنية والرَّباع ، مالم تقض العادة بغير ذلك .

وقد وَضعت الترتيبات التى وُضعت بعد ذلك ، حدا لعقوبات البادية .

و بعد أن أعلن الأمير عبد الله نفسه ملكا على الأردن ، تبادل الفريقان التمثيل السياسى بينهما .

إن نجاح الحكومتين فى كبح جماح البادية كان عظيما ، ولكن الملك عبدالله كان كثيرا مايتعرض لشخص الملك عبد العزيز ، بالقول والكتابة ، فرماه فى مذكراته بالكفر ، ووصفه بأنه نهاب سلاب ، مع شهادة جمهرة المسلمين بأن البلاد المقدسة لم تتمتع بالأمن

والعدل ، مثلما تمتعت بهما أيام الملك عبد العزيز ، ولكن الملك عبد العزيز لم يشأ أن ينال من الملك عبد الله ، مع كثرة مالديه من وثائق تحط شأن الملك عبدالله ، لأن الملك عبد الله زعيم عربى ، والنيل من كرامته وشرفه نيل من العرب ، وإضعاف لشأنهم . ولقد أبى أدب مستر جرايفر المشرف على الترجمة الإنكليزية لمذكرات الملك عبد الله ، أن يقر السباب والنَّيل من كرامة ملك عظيم مثل الملك عبد العزيز . ولكن المستر فلبى فى كتابه: خمسون عاما من حكم الملك عبد العزيز ، أبى إلا أن ينقل فى كتابه هذا عن الأصل العربى لمذكرات الملك عبد الله (١) ، سباب الملك عبد الله ، فى أخيه الملك عبد العزيز ، واعتبر ذلك من الأمانة فى النقل .

وبهذه المناسبة نذكر من الخلق العظيم ، والرجولة التى يتمتع بها الملك عبد العزيز ، أن أحد الأشراف جاء يهنئه باغتيال الملك عبد الله ، فنهره وطرده من مجلسه ووصفه بالخسة والنذالة ، وقال: هل أشمت بموت عبد الله ؟ وهل يشمت عاقل بموت الناس ؟ لا يشمت إلا الجبان الرعديد ، إن اغتيال الناس مهما كان سببه ليس من الرجولة ، ولا من البطولة ، بل هو نوع من الخبل ، ولا يشجع عليه إلا رجل تنقصه الشجاعة والرجولة .

سلطان نجد والملك فؤاد

لقد كانت آمالى أن أرى الحجاز ومصر متعاونين ، جنبا إلى جنب ، فمصر تستطيع أن تمد الحجاز بالمعلمين والأطباء والخبراء الماليين والإداريين وغيرهم ، وإذا قامت مصر بهذا الواجب ، فإنها تسدى خيرا للإسلام والبلاد المقدسة . لقد كان أهل نجد ، ولا سيما أهل العارض ، يحمّلون مصر والمصريين تَبِعة حملة إبراهيم باشا ، وتدمير الدرِّعية ، عاصمة

(١) مع أن الناشر الإنجليزى لمذكرات الملك عبد الله ، تعفف عن نقل هذا الإسفاف الذى لا يليق أن يصدر عن أمير ينتسب إلى الدوحة الهاشمية .

آل سعود الأولى، ولكن مصر تبرأ من هذه الجريمة التى أملتها مطامع محمد على، وحقد الأتراك، وجهلهم بالإسلام، والمصريون براء من آثام محمد على، فأحببت أن أبرهن عمليا أن مصر لاتتحمل أوزار حكامها السابقين.

أردنا أن نبدأ عهدا جديدا من الإخاء بين سلطان نجد وملك مصر، فأرسلنا برقية من الرياض بطريق البحرين، لتهنئة ملك مصر بعهد الشورى، بمناسبة افتتاح أول برلمان مصرى فى سنة ١٩٢٤، ثم أرسلنا من مكة رسولا خاصا إلى مصر، فى أوائل سنة ١٩٢٥ هو المرحوم الدكتور عبد الهادى خليل، طبيب التكية المصرية، حملناه تحية سلطان نجد وفاتح مكة، ورجونا من ملك مصر أن ينظر إلى الحجاز وهو يعانى مايعانيه من الضيق، نظرة كريمة، فيرسل إلى أهله شيئا من أوقاف الحرمين، لإعانة المستحقين من أهلها، ولكن الرسول رجع يحمل أطيب الأمانى والتحيات المباركات. كما أوفد ملك مصر الشيخ المراغى وعبد الوهاب طلعت إلى سلطان نجد، للتوسط فى الصلح بين سلطان نجد والملك على، ولقد رأى عظمة السلطان أن يوفدنى إلى مصر، للاتفاق معها على تسهيل وصائل الحج من طريق رابغ، لأن الشريف على بن الحسين كان لايزال بجدة، فسافرت إلى مصر من طريق رابغ، فوصلت إليها فى أواخر نوفمبر سنة ١٩٢٥، وقد استولت الجنود النجدية على المدينة قبل وصولى إلى مصر، فكان ذلك فاتحة خير، وبشير سرور.

وصلت إلى مصر فقابلت الملك فؤادا فى ١٩ ديسمبر، وأبلغته ماحملنى سلطان نجد من أطيب الأمانى والآمال لمصر وملك مصر، وأنه يمد يده للتعاون مع أخيه ملك مصر، وأنه إذا كان ملك مصر يرغب فى تحمل أعباء الخلافة، فسلطان نجد يسره أن يرى ملك مصر خليفة للمسلمين، إذا وافق المسلمون على ذلك، وهو أول من يوافق على ذلك كزعيم من زعماء المسلمين.

فارتاح الملك فؤاد لذلك ، وقال : إنى لا أرغب فى الخلافة ، فقد عرضها على سعد باشا ، ولكننى رفضت ، ثم أشار إلى جميع ملوك وسلاطين المسلمين ، وغمز كل واحد منهم بما يبعده عن الخلافة ، إما لتشيعه كشاه إيران و إمام اليمن ، و إما لأنه وهابى ، أى متطرف ، فكان ذلك إشارة خفية إلى أنه أحق الملوك المسلمين بالخلافة .

وقد قدمت إلى ملك مصر الكتاب الذى زودنى إياه السلطان عبد العزيز ، والذى أعطانى بموجبه الصلاحية اللازمة للمفاوضة مع الحكومة المصرية ، فى كل مايتعلق بشئون الحج ، وتسهيل وسائله . وقد انتهت المقابلة بعد أن أكد لى جلالته بأنه سيخبر رئيس الحكومة ووزير الداخلية لتسهيل مهمتى ، وكان رأس الحكومة المصرية فى ذلك الوقت أحمد زيور باشا ، فقابلته وقابلت وكيل الداخلية ومدير الإدارة العام مراد محسن باشا ، ووجدت منهم جميعا روحا طيبة ، ولكن مع بعض التردد ، لأن « رابغ » لم يسبق للحجاج استعمالها ميناء للحج .

وفى ٢٠ ديسمبر وصلتنى هذه البرقية من عظمة السلطان :

مصر حافظ

جدة سلمت بدون قتال فى يوم السبت ٣ جمادى الثانية سنة ١٣٤٤ — ٢٠ ديسمبر ١٩٢٥ . الإمام عبد العزيز

وفى ٢٢ ديسمبر وصلتنى البرقية التالية ، وكانت جوابا على تهنئتى الخاصة ، وتهنئة عدد كبير من كبار المصريين .

مصر حافظ كونتننتال

نشكركم والشعب المصرى على تهانيكم . ونسأله تعالى المعونة والتوفيق لما فيه الخير والصلاح للعباد والبلاد . الأحوال مطمئنة ، والأمور منتظمة فوق ماتؤملون .

سلطان نجد عبد العزيز

وفى ٨ يناير ١٩٢٦ وصلت إلىّ البرقية الآتية :

الشيخ حافظ وهبة مصر — كونتننتال

مندوب ملك الحجاز وسلطان نجد

لقد أجمع الحجازيون ، وبايعوا جلالة الإمام ملكا على الحجاز ، وسلطانا على نجد وتوابعها ، على سنة الله ورسوله والخلفاء الراشدين ، بيَعة شرعية تحت الكعبة . وقد بلّغنا ممثلى الحكومات بجدة رسميا ، وقبلنا تبريكهم . كافة البلاد بسرور وفرح عام . الوفود تتوارد من أقصى البلاد ، لتهنئة صاحب الجلالة الملك بمكة . التفصيل بالبريد .

عبد الله الدملوجى

نائب صاحب الجلالة بجدة

لقد كان لهذا الإعلان أثر غير حسن فى القصر الملكى بمصر ، وعدّوا هذا نقضا للعهد الذى تعهد به الملك عبد العزيز ، ولذلك شعرت بحرَج عظيم ، فأرسلت البرقية الآتية :

جلالة الملك . جُدّة .

أهنىء جلالتكم بمبايعة الشعب الحجازى لكم . لقد سألنى ملك مصر وغيره من رجال السياسة بعد ذيوع منشوركم ، عن تنظيم الحالة فى الحجاز على مسئوليتكم : هل ألغيتم بتاتا فكرة المؤتمر ، أو لا تزالون على عهدكم الأول ؟ وما المسائل التى سيعهد إلى المؤتمر فى النظر فيها ؟ أرجو الجواب بالتفصيل ، تنويرا للأفكار ، إنى مجتهد فى المحافظة على اكتساب الرأى العام المصرى وحكومته ، منتظر الرد ، مسافر بعد أسبوع .

حافظ ١٠ يناير ١٩٢٦

وقد أتبعتُ البرقية السابقة الكتابَ الآتى ، وهو كما يرى القارىء الكريم لا يخلو من شدة ، أملتها على حرارة الشباب ، ولكن الملك عبد العزيز قابل هذا الكتاب والبرقية

السابقة بصدر واسع ، و لم يُلق بالا ، لما فيها من الشدة ، لأنه كان يعلم تمام العلم عظيم إخلاصى له ، وحرصى العظيم على سمعته فى الخارج .

وهذا نص الكتاب :

من حافظ وهبة ، إلى صاحب الشوكة والعظمة ، الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل ، حفظه الله .

السلام عليكم ورحمة الله و بركاته . و بعد : فأرجو لكم دوام التوفيق والنجاح ، وأفيدكم بأن روتر اليوم نشر تلغرافا بأنكم ناديتم بأنفسكم ملكا على الحجاز ، فإن كان هذا الأمر صحيحا ، فقد غشكم من أشار عليكم بذلك ، لأن هذه المسألة أثارت الرأى العام فى الخارج ضدكم ، هذا من جهة ، ومن الأخرى إنه لا ينطبق مع العهود التى قطعتموها على أنفسكم أمام العالم الإسلامى ، وملوك المسلمين ، فى تشكيل حكومة الحجاز ، ولو تريثتم قليلا لحين انعقاد المؤتمر الاسلامى ، وتقريره مصير البلاد ، لكان خيرا وأبقى ، والنتيجة كانت لكم على كل حال . و يظهر أن هنالك أيديا أثيمة حسنت فى نظركم هذا الأمر ، حتى تقضى على فكرة المؤتمر الاسلامى ، وتقضى فى الوقت نفسه على سمعتكم فى الخارج .

لقد دهشت جدا من هذا الانقلاب ، ودهشت بالأكثر من عدم إخبارى بشىء مطلقا يتعلق بهذا الأمر ، مع وجودى فى مهمة رسمية ، وفى بلاد متمدينة ، يسأل الناس فيها عن كل شىء ، أفلا يصح أن أخبر بمثل هذا الانقلاب العظيم ؟ هل يصح أن قنصل العجم فى جُدة يرسل إلى السفير هنا هذا الخبر ، وأنتم لا تخبروننى بشىء ؟ إن هذه المعاملة لا أرضاها لنفسى أبدا ، ولا أرضى أن تعاملوا بها أحدا ، وعلى كل حال فأنا متوجه إليكم فى تاريخ ٢١ فى الشهر الإفرنجى ، وإذا وصلت أطلعكم على كل شىء ، وقد سحبنا لكم اليوم تلغرافا بذلك ، ومنتظر الجواب على ذلك تفصيلا ، لنحيط علما بأصل الموضوع .

والسلام عليكم ورحمة الله و بركاته .　　　　　　حافظ

وقد أجاب جلالته عن البرقية السابقة بالبرقية الآتية :

مصر كونتننتال — حافظ وهبة :

ج — إعلان أهل الحجاز ملكيتنا على الحجاز صحيح ،وقد أمرنا عبد الله أفندى ليبرق لكم من جدة بعض مايلزم . أما العهود المتكررة منا للعالم الإسلامى فلم نخالفها ، وقد دعونا العالم الإسلامى دعوات عامة ودعوات خاصة متكررة ، فلم يصلنا جواب من أحد، فى تلبية دعوتنا،ومع ذلك إننا على استعداد لقبول آراء العالم الإسلامى فى كل شأن له مساس براحة الحجاج والزوار ورفاهيتهم ، وإجراء أعمال الخير فى الحجاز .

أما السرعة فى أمر النداء بملكيتنا على الحجاز ، فكنت أود من صميم قلبى أن لو تأخر ذلك ،ولكن ألجئونا إلى ذلك مضطرين،فإن أهل الحجاز قاموا قومة رجل واحد، يلزموننا قبول البيعة ، فطلبنا منهم التريث ، إلى أن يجمع المسلمون أمرهم ، فأجابونا : إنك أعطيتنا الحرية فى اختيار حكمٍ لنا ، وهذا حق لنا لايشاركنا فيه أحد ، ونحن لا نبغى بك بديلا ، ومع ذلك توقفت قليلا عن الجواب ، فبلغ أهل نجد توقفى ، فقامت قيامتهم علىّ ، وأعلنونى أن حربهم فى الحجاز ، لم تكن إلا لحفظ استقلال الحجاز ، ومنع أى تدخل أجنبي فيه ، لتكون كلمة الله هى العليا ، وليعمل فى هذه الديار بشرع الله وسنة رسوله ، ولتأمين الطرق ، ومنع الإلحاد فى الحجاز ، وهذا ماوعدتنا إياه ، وإن توقفك عن قبول البيعة يجعلنا نعتقد أنك لم تقاتل إلا لأغراض ، ولا تسعى لاستقلال الحجاز ، وإنك إذا لم تقبل البيعة ، فقد فعلت معصية ، ولا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق .

فإزاء هذا الموقف الحرج ، الذى يتوقف عليه أمن الحجاز الحاضر ، واستقرار الأمر فيه ، لم أجد بدًّا من تلبية الدعوة ، فقبلت البيعة متوكلا على الله . وإننى لا أزال على عهدى ، من رعاية ما للمسلمين من الحقوق المشروعة فى هذه الديار المقدسة .

والله ولى التوفيق . ملك الحجاز ، وسلطان نجد

عبد العزيز

ولقد صارحني الملك فؤاد في زيارتي الأخيرة للوداع في ١٨ يناير ١٩٢٦ ، بأن إعلان السلطان عبد العزيز نفسه ملكا على الحجاز ، يعد نقضا لكتابه الذى أرسله إلى مع الشيخ مصطفى المراغى ، وناقضا لكلامك الأول . وإنى لا أحملك أنت أية مسئولية ، لأنك كنت بعيدا عن هذه الحركة .

وزاد الأمر تعقيدا ، أننا كنا وعدنا شيخ الأزهر ، الشيخ محمدا أبا الفضل الجيزاوى إرسال مندوب لحضور المؤتمر الإسلامى ، للنظر فى أمر الخلافة التى ألغاها الأتراك ، وعندما وصلت الدعوة الآتية من شيخ الأزهر ، لم يرسل الملك مندوبين من قِبَله لشهود هذا المؤتمر .

المؤتمر الإسلامى العام للخلافة بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله محمد أبى الفضل ، شيخ الجامع الأزهر الشريف ، ورئيس المؤتمر الاسلامى العام للخلافة بمصر .

إلى حضرة صاحب الجلالة ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها ، حفظه الله تعالى :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

أما بعد : فإنى أحمد الله إلى جلالتكم ، وأضرع إليه أن يقيم بكم عماد الدين ، ويوحد بكم كلمة المسلمين . وأصلى وأسلم على سيدنا محمد ، الذى أرسله الله بالحنيفية السمحة ، وعلى آله وصحبه الغرّ الميامين .

وأتشرف بأن أعرض على مسامع جلالتكم الكريمة ، أن المجلس الإدارى للمؤتمر الإسلامى العام للخلافة بمصر ، قرر فى يوم الأربعاء ٢٠ رجب سنة ١٣٤٤ ، أن توجه الدعوة العامة والخاصة إلى الأمم الإسلامية ، ليحضر ممثلوها المؤتمر ، فى أول

ذى القعدة الحرام سنة ١٣٤٤ ، وقرر المجلس أيضا ، كما كُتِب فى محضر الجلسة : أن تخاطب فى ذلك ملوك المسلمين ، وسلاطينهم ، وأمراؤهم ، وشعوبهم ، وبقية شعوب المسلمين ، تعميما للدعوة الدينية ، حتى لا يكون بعض الشعوب فى ناحية ، وحكامها فى ناحية أخرى . وعملا بهذا القرار أرسلنا الدعوة إلى ملوك المسلمين وطوائفهم وشعوبهم ، وإلى سلاطين المسلمين وطوائفهم وشعوبهم ، وإلى أمراء المسلمين وطوائفهم وشعوبهم ، وإلى بقية الشعوب الإسلامية ، وتعميما للدعوة الدينية أيضا أرسلناها إلى جرائد العالم الإسلامى ، وابتغينا فيما عملنا وجه الله تعالى ، ونشر الدعوة على الطريقة المثلى . ومن ثَمَّ يتبين لجلالتكم وجه إرسالنا الدعوة إلى بعض الأفراد الذين فى مملكتكم السعيدة ، فإذا كان فى هذه الاعتبارات مالا يوافق رغبات جلالتكم ، فشفيعنا فى ذلك حسن النية ، ونبالة المقصد الدينى ، ولا نرغب إلا فى الاحتفاظ بخالص مودتكم ، والاعتضاد بجلالتكم ومكانتكم السامية فى المسلمين ، حتى يتم لهم التعاون على البر والتقوى ، والتناصر فى علاج الشئون الدينية العامة ؛ فإن يد الله على الجماعة .

هذا ، وقد سمحت مكارمكم السنية ، كما فى خطابكم الملكى المؤرخ فى ٢٥ شعبان سنة ١٣٤٤ ، بأن نتشرف بإخبار جلالتكم عن ابتداء وصول الوفود الإسلامية إلى مصر ، ليتحرك وفدكم الكريم إليها فى أقرب وقت .

ولى الشرف أن أنهى إلى جلالتكم أن مندوبى الأمم الإسلامية فى المؤتمر ، أخذوا يفدون إلى القاهرة فى شهر رمضان الحاضر .

ونسأل الله جل شأنه أن ينصر بكم الدين ، ويؤلف بين قلوب المسلمين ، حتى يقوموا بما فرض الله عليهم من خدمة الإسلام وإعلاء شأنه .

وإنى أنتهز فرصة التشرف بخطاب جلالتكم ، فأرفع إلى جلالتكم التهنئة بعيد

الفطر المبارك ، أعاده الله على جلالتكم ، وعلى شعبكم العظيم ، وجميع المسلمين ، بالعز والهناء .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

ومن سوء الحظ أن شيخ الأزهر أرسل منشورات مماثلة ، لبعض أعيان مكة ، فعدّ الملك عبد العزيز هذا التصرف حاطًا كرامته ، فقرر عدم إرسال رسول من قبله .

وقد رأيت أن أكتب لفضيلة الشيخ حسين والى ، وقد كان أستاذا لنا فى الأزهر ومدرسة القضاء الشرعى ؛ ولكن كتابة الشيخ حسين والى ، ردًا على رسالتى إليه ، لم تثن عزم الملك عبد العزيز عما قرره .

وفيما يلى نص رسالة الشيخ حسين والى :

فى ٢٤ رمضان سنة ١٣٤٤

بسم الله الرحمن الرحيم

من حسين والى إلى صاحب الفضيلة الأستاذ الجليل ، الشيخ حافظ وهبة ، أدام الله علاه :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أما بعد: فإنى أحمد الله إليكم ، وأصلى وأسلم على سيدنا محمد المبعوث بمكارم الأخلاق ، وعلى آله وصحبه أعلام الهدى .

ولقد تشرفت بتلقى كتابكم الخاص ، المؤرخ فى ٦ رمضان ١٣٤٤ أعاده الله على فضيلتكم بالخير والسرور ، وشكرت لفضيلتكم عنايتكم بأمر المؤتمر الإسلامى العام للخلافة ، ومحافظتكم على جمع كلمة المسلمين ، وعلى دوام المودة بين علماء مصر وحضرة صاحب الجلالة ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها ، وعملنا بما أشرتم إليه فى كتابكم ،

فبعثنا إلى جلالته كتابا تجدون صورته ملحقة بهذا الخطاب ، وباطلاع فضيلتكم عليها ، تعلمون وجهة النظر مفصلة ، ولا أراكم بعد الاطلاع عليها إلا راضين ، ومقتنعين بحسن النية . فجزاكم الله عنا وعن المسلمين أفضل الجزاء .

وأنتهز فرصة مكاتبتكم فى هذا الوقت ، فأهنئكم التهنئة الصادقة بعيد الفطر المبارك . أعاده الله على فضيلتكم فى خير وعلا .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته — من أخيكم المخلص

٢٤ رمضان ١٣٤٤ — حسين والى

لقد عقد مؤتمر الخلافة فى مصر ، وقد حضره مندوبون من بعض الأقطار الإسلامية ، ولم يرسل الحجاز مندوبين من قبله .

لقد كان الاتجاه طبعا هو تهيئة الجو لمبايعة الملك فؤاد بالخلافة ، ولكن عقلاء مصر وزعماء المسلمين فى الأقطار الأخرى ، لم يكونوا مقتنعين بكفاءة الملك فؤاد ، وقدرته على تحمل أعباء الخلافة ، فالبلاد المصرية لاتزال محتلة بالجنود البريطانية ، والملك فؤاد نفسه ارتقى عرش مصر بمساعدة الإنكليز ، فلم يكن من السهل إقناع المؤتمر بما يريده بعض علماء مصر .

والملك عبد العزيز من هذه الناحية ، كان أوسع أفقا ،وأبعد نظرا من الملك فؤاد ، فقد رفض أكثر من مرة ما كان يعرضه عليه بعض زعماء مسلمى الهند ، لأنه يعتقد أن زعامة المسلمين وحمايتهم ينوء بها كاهله .

هذا ما كان من أمر المؤتمر الإسلامى للخلافة فى مصر ، فقد أجل بعد إخفاقه فى الوصول إلى الغاية التى عقد من أجلها ، إلى أجل غير مسمى .

أما من جهة المؤتمر الإسلامى ، الذى وعد الملك عبد العزيز بالرجوع إليه قبل الزحف على الحجاز ، فقد عدل عنه . ولكن بتأثير الكتب التى كانت ترد على جلالته

وعلىّ أحيانا، رضى أن يعقد المؤتمر فى مكة، بعد انفضاض مؤتمر مصر، لأن وقت الحج هو أليق وقت لاجتماع المسلمين .

أرسلت الدعوات إلى جميع الحكومات الإسلامية، وإلى زعماء البلاد الإسلامية التى يكثر بها المسلمون ، كالهند وجاوة .

فلبّى الجميع الدعوة إلا مصر ، ظنا من الملك فؤاد أن مؤتمر مكة سيعالج ما أخفق فيه مؤتمر القاهرة، مع أن الدعوة كانت صريحة، ولكن مصر عدلت بعد ذلك؛ فأرسلت مندوبين بعد سقوط وزارة زيور، وقيام الحكومة الائتلافية برياسة عدلى باشا .

كان الوفد المصرى برياسة المرحوم الشيخ الظواهرى ، الذى حاول إثارة بعض المسائل المختلف عليها، ولكن جميع المحاولات قوبلت بسعة صدر ، ولم تر أية عاصفة بين علماء مصر وعلماء نجد ، وقد حدَّد مؤتمر مكة الغاية التى دُعُوا من أجلها بالكلمة الآتية، وقد قمت بإلقائها بالنيابة عن الملك عبد العزيز :

بسم الله الرحمن الرحيم

« الحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدىَ لولا أن هدانا الله » ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله ، وآله وصحبه ومن والاه .

أما بعد : فإنى أحييكم ، وأرحب بكم ، وأشكر لكم إجابتكم الدعوة إلى هذا المؤتمر .

أيها المسلمون الغُيُر ، لعل اجتماعكم هذا فى شكله وفى موضوعه ، أولُ اجتماع فى تاريخ الإسلام ، ونسأله تعالى أن يكون سنة حسنة ، تتكرر فى كل عام ، عملا بقوله تعالى : (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ، وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالعُدْوَان) ، وبإطلاق قوله عز وجل : (وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ) .

إنكم تعلمون أنه لم يكن فى العصور الماضية أدنى قيمة لما يسمى فى عرف هذا العصر بالرأى العام الإسلامىّ ، ولا بالرأى العام المحلىّ ، بحيث يرجع إليه الحكام للتشاور

فيما يجب من الإصلاح فى مهد الإسلام ، ومشرق نوره الذى عمّ الأنام ، وقد تولى أمر الحجاز دول كثيرة ، كان من خلفائها وسلاطينها من عُنُوا ضربا من العناية ببعض شئونه ، ومنهم من أراد أن يحسن فأساء بجهله ، ومنهم من لم يبال بأمره البتة ، فتركوا الأمراء المتولين لإدارته بالفعل ، يُلْحِدون فى الحرم ، ويفسدون فى الأرض ، ويظلمون السكان والحجاج ، ماشاءت لهم مطامعهم وأهواؤهم .

وقد تفاقم البغى والعدوان بعد زوال سيادة الدول العثمانية عن هذه البلاد ، وخلوص أمرها إلى الشريف حسين بن على ، آخر أولئك الأمراء ، فاضطرب العالم الإسلامى كله من استبداده وظلمه ، ومن عجزه عن توطيد الأمن فى البلاد ، ومن جعلها تحت السيطرة الأجنبية غير الإسلامية ، كما هو منصوص فى مقررات نهضته الرسمية ، وفيما نشره فى جريدة القبلة . ولدينا مما ترك من أوراقه الخاصة بخطه ، ماهو أدل مما ذكر ، على جعل نفسه عاملا موظفا لبعض الدول الأجنبية . وقد كنا معشرَ النجديين جيرانِ الحجاز ، عُرضة لبغيه ، وإيذائه لنا فى ديننا ودنيانا ، من رمى بالكفر ، ومنع من أداء فريضة الحج ، وإغراء لبعض رعايانا بالخروج علينا ، وغير ذلك مما لا محل لبسطه فى هذا الخطاب ؛ فلما بلغ السيل الزُّبَى ، وثبت بالتشاور بين أهل الحل والعقد عندنا ، أنه يجب علينا شرعا إنقاذ مهد الإسلام من بغيه وظلمه ، عزمنا على ذلك ، وتوكلنا على الله فى تنفيذه ، وبذلنا أموالنا وأنفسنا فى سبيله ، فأيدَنا الله بنصره ، وطهرنا البلاد المقدسة من بغيه وبغى ولده ، كما عاهدْنا الله ووعدنا المسلمين .

وكان مما وعدْنا به ، وشرعنا فى تنفيذه ، الدعوة إلى عقد مؤتمر إسلامى ؛ وقد بينا فى كتاب الدعوة إليه خطتنا ، ورأينا الشخصى فى حكومة الحجاز المستقبلة ؛ ومنه الاستفتاء فى اختيار حاكم الحجاز بشروط ؛ منها (كما فى المادة الثانية) : أن حكومة الحجاز يجب أن تكون مستقلة فى داخليتها فقط ، والتصريح فى سائر الشروط أو الأسس بسلبها حق الاستقلال السياسى ، والاستقلال الاقتصادى ، والاستقلال الحربى . ونحوى

هذا أننا نحتفظ بهذا كله لنفسنا ، ويكون الاستقلال الإدارى المذكور تحت إشراف العالم الإسلامى ، ليطمئن بصحة قولنا : إننا لا نقصد بإنقاذ الحجاز تملكه والتسلط عليه ، بالمعنى الذى كان معهودا فيه .

وإنما لم أعِد بمنحه الاستقلال المطلق ، لما أعلم وتعلمون ، من أنه ليس فيه قوة جندية خاضعة لهيئة شورى شعبية ، يمكن أن يحفظ بها الأمن العام ، وينفذ ما تصدره الحكومة من الأحكام ، وتحول دون استبداد الأفراد ، واستعانتهم بالأجانب على حفظ سلطتهم فى البلاد .

ولما انتهت حالة الحرب ، بإلقاء مقاليد البلاد إلينا ، رأى جمهور أهل البصيرة فيها ، أنه ليس من مصلحتهم انتظار عقد مؤتمر إسلامى ، للنظر فى أمر حكومتهم على تلك الأسس الخمسة ، المبينة فى كتاب الدعوة إلى المؤتمر ، لأنهم ليسوا على يقين من عقده ، ولا على ثقة من كون من عساهم يحضرونه ، أعلم بمصلحتهم من أنفسهم ، وأرسلوا إلينا وفدا كاشفنا بأنهم يرون أن المصلحة المحتمة ، أن يحفظوا لبلادهم ما نالته من الاستقلال الدولى ، بشكل ملكى ، بأن يبايعونا ، فرددنا طلبهم ، واعتذرنا لهم ، ولكن شايعهم على ذلك أهل الحل والعقد من أهل نجد ، الذين هم العمدة فى تطهير البلاد من الحكم السابق الجائر ، وهم العُدة لحفظ الأمن فى البلاد ، الذى يتوقف عليه كل عمل وكل إصلاح فيها ، كما يتوقف عليه إقامة ركن الإسلام ، الذى لولاه لم يكن لأحد من المسلمين شأن يذكر فيها . فاضطررت إلى قبول البيعة ، ولم أر لى عنها أية مندوحة ، لأننا آلَ سعود ، لسنا ملوكا مستبدين ، ولا حكاما شخصيين ، بل نحن فى بلادنا مقيدون بأحكام الشرع ، ورأى أهل الحل والعقد ، ولم تكن تلك الدعوة الشخصية إلى عقد المؤتمر بعذر شرعىّ يبيح لى مخالفتهم ، وإذا أنا خالفتهم بغير حجة شرعية يقبلونها ، فإنهم لا يطيعوننى ، وفى ذلك من الفساد مالا يخفى .

وقد بايعنى جمهور الحضَر ، ورؤساء قبائل البادية ، وهؤلاء يعدُّون من أهل الحل والعقد ، لأن قبائلهم تتبعهم سلما وحربا .

على أننى رأيت أن قبول البيعة ، والعمل مع أهل البلاد بمقتضاها ، لا بمقتضى الغَلَب والقوة ، لا يمنعنى من الاستفادة من رأى أهل العلم والبصيرة من العالم الإسلامى ، لذلك وجهت الدعوة الثانية إلى عقد هذا المؤتمر ، وجعلت موضوعها أعم وأوسع من موضوع الدعوة السابقة .

أيها الإخوان ، إنكم تشاهدون بأعينكم ، وتسمعون بآذانكم ممن سبقكم إلى هذه الديار ، للحج والزيارة ، أن الأمن العام فى جميع بلاد الحجاز ، حتى بين الحرمين الشريفين ، بدرجة الكمال ، التى لم يُعرف مثلها ولا ما يقرب منها منذ قرون كثيرة ، بل لا يوجد ما يفوقها فى أرقى ممالك الدنيا نظاما وقوة ، ولله الفضل والمنة . ففى بحبوحة هذا الأمن والحرية التى لا تتقيد إلا بأحكام الشرع ، أدعوكم إلى الائتمار والتشاور فى كل ما ترون من مصالح الحجاز الدينية والعمرانية ، والنظم التى يطمئن إليها العالم الإسلامى ، بإقامة شرع الله ، والتزام أحكامه وآداب دينه ، فى مهد الإسلام ، ومهبط الوحى ، و بتطهيره من البدع والخرافات ، والفواحش والمنكرات ، التى كانت فاشية فيه بدون نكير ، و باستقلاله المطلق ، وسلامته من كل نفوذ أجنبى .

أدعوكم إلى تدارك كل ماقصر فيه من قبلنا من المسلمين ، بتركهم وطن دينهم ، الذى بزغ منه نور الهدى والعرفان ، فى ظلمات حالكة من الجهل وفساد الأخلاق والآداب ، أدعوكم إلى النظر فى كل وسيلة لجعل حرم الله وحرم رسوله ، أرقى معاهد العلوم علما وعرفانا ، وخير معاهد التربية تهذيبا وأدبا ، وأ كمل بلاد الله صحة ونظافة ، وأولى البلاد الإسلامية بإحياء دعوة الإسلام .

كل شىء فى هذه البلاد يحتاج إلى الإصلاح ، وحكومته وأهله فى أشد الحاجة

إلى مساعدة العالم الإسلامى لها على هـذا الإصلاح ، لأن فيه من يعلم مالا يعلمون ، ويقدر على مالا يقدرون .

أيها المؤتمرون الكرام ، إنكم أحرار اليوم فى مؤتمركم هذا ، لا تقيدكم حكومة البلاد بشيء وراء مايقيدكم به دينكم ، من التزام أحكامه ، إلا بشيء واحد سلبى ، وهو عدم الخوض فى السياسة الدولية ، وما بين بعض الشعوب الإسلامية وحكوماتها من خلاف ، فإن هذا من المصالح الموضعية الخاصة بتلك الشعوب .

إن المسلمين قد أهلكهم التفرق فى المذاهب والمشارب ، فائتمروا فى التأليف بينهم ، والتعاون على مصالحهم ومنافعهم العامة المشتركة ، وعدم جعل اختلاف المذاهب والأجناس سببا للعداوة بينهم : (واعتَصِموا بحبلِ اللهِ جميعاً ولا تَفرَّقوا ، واذكُروا نِعْمَةَ اللهِ عَليكم إذْ كُنتم أعْداءً فألَّفَ بَيْنَ قلُوبِكم ، فأصْبحتمْ بِنعمَتِه إخوانًا ، وكُنتمْ عَلَى شَفَا حُفْرةٍ منَ النَّار فأنقذَكُمْ منْها ، كَذلِكَ يُبيِّنُ اللهُ لكم آياتِهِ لعلَّكم تهتدُون . ولتكُنْ منكم أُمّةٌ يدعُونَ إلى الخير ، ويأمرُون بالمعروف ، ويَنهوْن عن المُنْكر ، وأولئك هم المفلحون ، ولا تكونوا كالَّذين تفرَّقُوا واختلَفُوا مِنْ بعدِ ماجاءهُمُ البيِّنات ، وأولئكَ لَهمْ عذابٌ عظيمٌ) .

وأسأل الله عز وجل أن يوفقنى وإياكم لإقامة دينه الحق ، وخدمة حرمه وحرم رسوله ، صلوات الله وسلامه عليه ، والتأليف بين جماعة المسلمين ، والحمد لله رب العالمين .

° ° °

ولكن المؤتمر انتهى إلى ما انتهى إليه مؤتمر القاهرة ، انتهى إلى قرارات وأمانىّ لم يحققها العمل ، والعلاقة بين ملك مصر والحجاز لم تتحسن ، بل زادها سُوءا ماوقع فى مِنًى بين الإخوان النجديين والمحمل المصرىّ .

الإخوان النجديون يظنون أن المحمل صنم يعبده المصريون ، فرجموه بالحجارة ،

إذ لم يكونوا حاملين السلاح فى منًى، فقابلهم أمير الحج المصرىّ «محمود عزمى باشا» بإطلاق المدافع والرشاشات، ولولا تدخل الملك عبد العزيز بنفسه، ما انتهى الأمر إلى ما انتهى إليه.

ولقد أمضيت أكثر من أسبوع بين الملك عبد العزيز، كمندوب من جلالته، وبين أمير الحج فى نقاش وجَدَل، دفعا لفتنة جديدة، فالإخوان عقولهم ضعيفة، وهم يملئون الحرم وطرق مكة، وهم ممتلئون حَنَقا على المَحمَل وأهل المَحمل.

إذا صاح النفير قالوا: إن هذه دعوة للشيطان، فهاجوا وماجوا.

طُلب منى أن أطلب من أمير الحج أن يقف صياح النفير: لا اعتقادا من المَلك أو من رجال حكومته، بأن ذلك كان لدعوة الشيطان، وإنما كان ذلك دفعا لإثارة فتنة جماعة الإخوان الجهلاء؛ وإذا أُدخل المحمل إلى الحرم كما كان معتادا: قامت قيامة الإخوان: كيف تأذن الحكومة بإدخال الأصنام إلى الحَرَم، وهنا تقوم أزمة.

اقتنع أمير الحج بإخراج المحمل من الحرم، ويسعى الشيخ رشيد رضا، والشيخ يوسف ياسين لدى الملك عبد العزيز - فيأذن ببقائه فى الحرم، فأثور لكرامتى، وأستقيل وأسترد استقالتى، بعد أن يوضح لى جلالة الملك الأمر.

وتحدث بعد ذلك أزمة أخرى فى توزيع الصِّلات والعوائد المقررة، وكانت تصرف قمحا، فاتفقنا مع الحكومة المصرية على استبدال النقد بها، لأنه أنفع للناس.

يريد أمير الحج أن يلغى القوائم القديمة، ومندوبو الحكومة الحجازية يريدون إلغاء القوائم القديمة، مع استعدادهم لإصلاح بعض القوائم، فأجابهم بصلف: إنّ له الحقَّ أن يعطى من يشاء، ويحرم من يشاء. فأجبته بما يلى:

ياسعادة الباشا، إن الله هو المعطى، وإن ماتقوم أنت بصرفه، هى أوقاف وقفها أهل الخير من سلاطين وأمراء، لأهل هذه البلاد، وإن تصريحك قد مس كرامة الحاضرين، ومس كرامة الحكومة، إن الله يقول: (قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى).

إذا كنت مُصِرّا على رأيك ، فإن المندوبين الحاضرين ينسحبون من المجلس ، ولن يحضر أحد من أهل البلاد لقبول ماتمنّ به عليهم ، فلما أصر على موقفه ، انسحب المندوبون ، وقد سافر أمير الحج ومعه النقود التى أحضرها .

وتأزمت الحالة بين الملكين ، لا بين الشعبين . وبالرغم من المساعى الكثيرة التى بُذلت مع الوزارات المختلفة: مع سعد باشا ، وثروت باشا ، والنحاس باشا وغيرهم ، فإن الملك فؤادا أصر على عناده ، من عدم الاعتراف بالملك عبد العزيز ملكا على الحجاز ، مع أن الحكومة البريطانية ، وهى الحكومة المحتلة لمصر ، وغيرها من الدول الكبرى ، كفرنسا وروسيا وإيطاليا وأمريكا ، قد اعترفت جميعها بالملك عبد العزيز ملكا على الحجاز ، والرجل الوحيد الذى وفق إلى حل المسائل المختلف عليها ، هو «على ماهر» ، فى سنة ١٩٣٦ . وبموت الملك فؤاد زالت كل أسباب النزاع والجفاء ، وحل محله الصفاء ، والإخاء ؛ وبالرغم من اختلاف الأحزاب المصرية فى مناهجها ، فإن روح الأخوة الخالصة ، والتعاون الصادق بين الحكومتين والشعبين ، كانت تقوى على مر الأيام .

وأشهد هنا وأنا أدون هذه الصفحات للتاريخ ، وكلا الرجلين قد لقى ربه ، أن الملك عبد العزيز قد بذل أقصى مايمكن من المجهودات ، لإزالة كل أثر من سوء التفاهم ، إن كان هنالك سوء تفاهم ، ولكن جميع المجهودات باءت بالخيبة . لقد أرسل الملك عبد العزيز عدة كتب إلى الملك فؤاد ، فى ظروف مختلفة ، ولكن الملك فؤادا لم يجب عن أى كتاب من هذه الكتب .



الأمير فيصل مع هيئة المحمل المصرى عام ١٣٤٥ هـ = ١٩٢٦ م



الأمير سعود (الملك الحالى) فى صباه عام ١٣٤٦ هـ = ١٩٢٦م

بعثة الأمير سعود إلى مصر

لهذه البعثة قصة لا بأس من إيرادها :

كان الأمير سُعود يشكو رَمَدا،فأراد والده أن يدعو المرحوم الدكتور سالم هنداوى، وهو الطبيب الذى كان قد عمل له عملية جراحية ناجحة ، واتصلتُ بالحكومة المصرية بواسطة قنصلها المرحوم أمين توفيق ، ولكن الدكتور سالما اعتذر عن الحضور حالا ، وأبدى استعداده للحضور بعد بضعة أشهر .

وفى ليلة من الليالى، كان عندى الشيخ الظواهرى شيخ الأزهر ، والمسيرى بك مدير إداره الحج بوزارة الداخلية المصرية،وقنصل مصر ، ورجال التكية ، ودار الحديث حول الأمير سُعود ومرضه ، واعتذار الحكومة المصرية . فاقترح الشيخ الظواهرى سفر الأمير سعود إلى مصر ، مادام يعتقد فى مهارة الدكتور هنداوى ، فقلت لكنه ليس من السهل إقناع الملك عبد العزيز بذلك ، بعد حادثة المحمل ، فقال الشيخ الظواهرى: وهل إذا دعته الحكومة المصرية يلبى الدعوة أو يعتذر والده ؟ فقلت المسألة تتعلق بالحكومة المصرية أولا ، فإذا كان هنالك استعداد للدعوة ، أمكن سبرغور الملك عبد العزيز ، قبل إرسال الدعوة إلى جلالته . وقد انتهى الحديث على هذه الصورة .

ولم يمض أسبوع حتى وصل إلى قنصل مصر ، دعوة من الحكومة المصرية ، تتضمن دعوة الأمير سعود لزيارة مصر ، ومباشرة علاجه بها . نظر جلالة الملك فى أمر الدعوة ، فتقبلها جلالته شاكرا ، وقال الأصدقاء: لعلها تكون فرصة حسنة لإصلاح الجو ، وإزالة كل أثر من سوء تفاهم بين حاكمين مسلمين ، وشعبين صديقين .

فسافر الأمير سعود ، وسافرتُ برفقته ، كما سافر بعض الزملاء معنا ، منهم المرحوم

ناصر التركى ، والمرحوم الشيخ عبد الله إبراهيم الفضل ، والشيخ الهزازى ، وكان يشغل رياسة الديوان الملكى فى ذلك الوقت .

قوبلنا بحفاوة لانظير لها من الحكومة المصرية، والشعب المصرى. كان فى استقبال الأمير ثروت باشا بصفته وزيرا للخارجية ، والشيخ المراغى ، وجمع غفير من أعيان البلاد .

لقد نزلنا فى ضيافة الحكومة المصرية، فى منزل فى حىّ المنيرة ، كان يسكنه القاضى يحيى التركى المعروف ، وقد لقينا فى أثناء إقامتنا كل حفاوة وإكرام ، من رجال الحكومة الائتلافية ، القائمة فى ذلك الوقت . حاطنا سعد باشا برعايته ، كما يرعى أبناءه ، وإن أنس فلن أنسى زيارتنا له فى مجلس النواب ، وزيارتى الخاصة له فى بيت الأمة ، وهو يحضّر خطبته التى يلقيها عادة عند فض البرلمان ، فقد حاطنى الرجل بعطف عظيم ، ولاسيما عندما علم أنى كنت فى مدرسة القضاء الشرعى غرْسه ، فقال: يابنى ، إنى لسعيد بزيارة واحد من أبنائى ، وسعيد أن أرى الغرس يثمر ، وقد كانت زيارتى له لإثارة مسألة الاعتراف بالملك عبد العزيز . فقال : أنت تعلم أننا كنا فى أزمة مع الملك ، فى مسألة موازنته ، والملك كما تعلم عنيد ، وما دام الحجاج يفدون إليكم فى كل سنة ، فلا يقلقكم عدم اعتراف ملك مصر ، فقلت له : يادولة الباشا ، إنى كما تعلم مصرى المولد والتربية ، وأحب أن تكون علاقة مصر بالحجاز خيرا مما هى عليه الآن ، وإنى أشعر بحزن وخيبة أمل كلما رأيت العلاقات بين الملكين المسلمين تسير سيرا غير حسن .

وفى أثناء إقامتنا بمصر ، كان الأمير سعود يسعى لإزالة مافى نفوس المصريين ضد أهل نجد ، فقد صلينا الجمعة فى الأزهر ومسجد الحسين والإمام الشافعى ، كما زرنا أكثر المتاحف ، وذلك لنبرهن للناس أن أهل نجد لاينكرون على بعض طوائف المسلمين إلا

التمسح بالقبور ، والاستعانة بغير الله . أما زيارة القبور فسنة ، وأكثر ماينسبة الجهلة لأهل نجد ، إن هو إلا افتراء ، افتراه عليهم أعداؤهم .

ومع هـذا ، فإن صديقنا المرحوم الشيخ محمد رشيد رضا ، قد شكا إلى الملك عبد العزيز تصرف ولده فى أداء الجمعة فى أمثال هذه المساجد ، والحقيقة أن السيد رشيدا قد تكدر منى شخصيا ، لأنى حلت دون نشر مقال له عن المحمل ، والسيد رشيد يعلم أنى لست من حماة المحمل ، ولا من المنتصرين للمحمل ، ولا من المؤيدين للبدع التى تكتنف المحمل ، ولكن بعد حادثة المحمل ، كان رأيى العمل والسعى لإزالة كل أثر لهذه الحادثة فى البلدين مصر والحجاز ، وإثارة الجدل فى موضوع المحمل ستعكر الجو من جديد .

كنت أسعى دائما لإزالة كل جفاء بين الحكومتين : السعودية والمصرية ، ولكن كان هنالك أناس يعملون لعرقلة مساعىّ ، وإدخال الشك فى نفس الملك عبد العزيز ، والملك عبد العزيز فى سنة ١٩٢٦ غيره بعد عشر سنوات ، فاتصاله بالعالم الخارجى قد صقله ، ووسع معارفه الدولية ، فلم يعد فى سنة ١٩٤٠ أو سنة ١٩٤٥ يتشكك أو يقتنع بما كان يقتنع به فى سنة ١٩٢٦ .

عند وصولنا للسويس سلمنى المرحوم الشيخ فوزان السابق البرقية السرية الآتية :

القاهرة فى ١٣٢٦/٨/٥ .

سرى جـدا

الوكالة العربية الحجازية ـ فوزان السابق بمصر :

عرف حافظ ، بلغنى خبر من ناظر التكية يقول : إننا طلبنا من حكومة مصر أن تدعو سعودا لأجل التداوى ، فنحن لا طلبنا ولا تكلمنا ، فإن ظهر هـذا الكلام فكذبوه رسميا .

وأيضا أخبرنا عبد العزيز العتيقى يقول : إنك قلت له عند سفرك ، إنك مترجو

من حكومة مصر أن ترسل دراهم لتنظيف المقابر، فالحكومة والحمد لله قوية بالله ، تقدر على كل شيء . أرجو ألا تتدخل فى شيء من هذه الأمور . حكومة مصر إذا أرادت فعل الخيرات، مثل أعمال عين زبيدة والسكة الحديدية فنقبله كما تقرر بالمؤتمر ، وأما الأمور الداخلية والمقابر وما أشبه ذلك ، فاعلم أننا نرفض ذلك .

لا تتدخل فى سفركم هذا فى جميع الأمور السياسية بالأخص .

الملك

فعند وصولنا إلى مصر ، كتبت إلى جلالة الملك تكذيبا لهذه المفتريات ، واستبعدت نسبة هذا الخبر إلى ناظر التكية ، فليس بينه وبين الشيخ يوسف والعتيق صداقة ، حتى يتبرع بهذا الكذب ، وقد جاءنى الرد الآتى من جلالة الملك عبد العزيز .

الديوان السلطانى   تحريرا فى ١٠ صفر سنة ١٣٤٥

من عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل ، إلى الأخ الكريم الشيخ حافظ وهبه حفظه الله :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد فقد وصلنا كتابكم ، وسرنا جدا مالقيه ولدنا سعود من الحفاوة والإكرام من الحكومة المصرية ، ومن الشعب المصرى الكريم وقد كان لهذه المظاهر الأبوية أحسن أثر فى نفسى ، وإنى أتمنى ـ كما تعلم ـ أن تكون صلاتنا مع مصر على الدوام على أحسن وأتم ما يكون ، وإنى أحمد الله على هذه الفرصة ، التى سنحت لتوطيد دعائم الوداد بين البلدين ، وأتمنى من الله أن يوفقنا على الدوام لكل ماهو وسيلة لتوطيد روابط الصداقة والولاء بين جميع المسلمين .

ذكرتم فى كتابكم تستفسرون عن حقيقة ما ذكره ناظر التكية عن شكل ذهاب ولدنا سعود ، وقد كتبت فى هذه المسألة ، حتى لا ينتشر الخبر إلا كما هو ، وقد رأيت بعض الصحف المصرية تنشر حقيقة الخبر ، فاطمأن فكرى من هذا القبيل . أما ناظر التكية فقد زار يوسف ياسين فى المطبعة ، وأخبره فى عرض الحديث بأن الحكومة



الأمير سعود (الملك الحالي) وسعد زغلول باشا فى القاهرة

عام ١٣٤٦ هـ = ١٩٢٦ م

هنا ، هي التي طلبت من الحكومة المصرية ذهاب سعود ، وكتب بذلك أمير الحج والأستاذ الظواهري ، و بطيه المكتوب المقدم إلينا من يوسف ياسين فى هذا الخصوص، و اطلاعكم عليه كفاية . أما مارواه العتيق ، فذلك الظن بكم، بأنكم لاتقدمون على مثل ذلك الطلب فى هذا الموضوع على الأخص إلا بعد مراجعتنا ، لأن هذه المسألة من المسائل الداخلية ، وأنتم تعلمون أنه ليس من مصلحتنا قبول مداخلة أحد فيها ، وبطيه الكتاب المقدم إلينا من العتيقى ، و باطلاعكم عليه كفاية .

وفى الختام أتمنى لكم ولمن معكم الراحة والهناء ، وأسأل الله التوفيق لنا ولكم ، والسلام . التوقيع

وفيما يلى نص كتاب عبد العزيز العتيقى المشار إليه :

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة جلالة الملك الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل المحترم ، أدامه الله للإسلام ذخرا ، وزاده شرفا وفخرا .

و بعد تقبيل أياديكم الشريفة ، أعرض على حضرتكم أنه قد بلغنى من سمو الأمير فيصل ، أنكم قد سألتم الشيخ حافظ وهبة عن قوله إنه سيسعى فى استحصال شيء من الدراهم من الحكومة المصرية ، لأجل تنظيف المحلات التى هدمت قبابها وتحويطها ، وأنه أجاب بأنه لم يقل ذلك ، وأنكم عاتبون علىّ كيف تقوّلت عليه مالم يقل . وجلالتكم يعلم أنى قط ماذكرت الشيخ حافظا أمامكم بسوء ، ولا مرة واحدة ، بل كنت أذكره بخير كلما جاء ذكره ، وقد حكيت لكم هذه الحكاية فى معرض كلام دار حول هذه المسألة ، وما هنالك داع لأفترى عليه . أما حقيقة المسألة ، فهى أنه دار بينى و بينه كلام فى مسألة سفرهم ، ونحن فى الحميدية ، وجر سياق الحديث إلى هذه المسألة ، فقال إنه سيسعى لدى الحكومة المصرية ، لأن ترسل المهندس ، الذى قرر

المؤتمر إرساله من مصر ، وأن ترسل بعض النقود لتمشية أمور المؤتمر ؛ ولتنظيف المحلات المهدمة قبابها كالمعلى والمولد من الأحجار والأقذار ، وتحويطها ، ورصف المسعى بالحجارة . وقال : إنه يعتقد أن الحكومة المصرية توافق على ذلك ، وأظن أنه لو كان حاضرا وذكرته به لذكره ، ولا أنكره ، لكن ربما أنه فهم من السؤال أن الكلام في تعمير القبب ؛ ولذلك أنكره . هذه حقيقة ماجرى ، وأنا مستعد للمقابلة إن كان هناك حاجة عند حضوره إن شاء الله ؛ والله يحفظكم بعنايته .

٦ صفر ١٣٤٥ — خادمكم

عبد العزيز العتيق

على أن الأمر لم يقف عند هذا الحد ، بل تعداه إلى مايضحك ، فقد شكوا جلالته في أمر ندب بعض موظفين مصريين ؛ للانتفاع بعلمهم وخبرتهم ؛ كما يتبين ذلك من كتاب جلالة الملك عبد العزيز :

بسم الله الرحمن الرحيم

جناب المكرم الشيخ حافظ وهبة ، سلمه الله تعالى :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

بما أنني أعدك أشفق على نفسي وملكي من نفسي ، ولا شك ، في جميع مايصير علىّ فيه انتقاد ، لأنك أحرص على نفسي وملكي من كل قريب . وبهذه الأيام عرفتني أن الأحسن أن نكتب للدكتور «سالم» من قبل جلب موظفين من الحكومة المصرية ، لأجل الجمرك والكرنتينة وغيرها ، وكتب وثوقا بالله ثم بك ، إن هذا الأمر مافيه خلاف ، ولا يلحق باستقلال البلاد ، ولا فيه انتقاد علينا من جميع الناس . ولكن فهمت ، فإما أن يكون الفهم غلطا أو حقيقة ، أن مثل جلبنا هؤلاء الموظفين يكون نقصا في استقلال البلاد ، ويحصل فيه انتقاد ، كأن البلاد تابعة للبلاد الأخرى ، أو من

هذا القبيل، ومعلومك أنه إذا يصير انتقاد أو تدخل، أن هذا شيء مشكل. لذا أحببت أن أعرفك لأجل أنك المسئول عن ذلك إذا كان فيه بأس ، باكر إذا جاء الوطنيون وصاحوا أهل الحجاز أو أهل الهند ومصر ، وانتقدونا ، فإن رجّعنا الوطنيين صار نقصا فى حقنا ، وفى حق حكومة مصر ، وإن أثبتناهم صارت الأخرى .

المقصود أنت أعرف بالقوانين والمشكلات إن صار هذا الجواب الذى سمعته أنه غلط ووهم، فالحمدالله أنا على عزمى، وهذا الذى أريد ، فإن كان الأمر فيه مشكل، فأنت تعرف أنك المسئول ، لأجل أن اعتمادى هو على الله ثم عليك ، ودم محروسا .

٢٨ رجب ١٣٤٤ التوقيع

وبالرغم من هـذه العراقيل والمشاكل التى كانت تتجدد كل يوم ، كانت ثقة جلالته بى لا تتزعزع ، ولقـد اعتقد الملك فؤاد أنى أنا الحائل دون مطامعه فى الحجاز ، فقد أخبرنى الأستاذ «قرياقص مخائيل» ، مراسل الصحف المصرية المعروف، أن كراهية الملك فؤاد لى ، سببها أنى كنت السبب فى إخفاق مؤتمر الخلافة فى مصر ، وحرمانه من الخلافة ، والحجاز جزء متمم للخلافة . ولا أدرى كيف يدور فى خلد رجل مثقف مثل الملك فؤاد ، وهو محيط بالسياسة الدولية وبالدنيا وتجاربها ، كيف يدور بخلده أن يُترك له الحجاز لقمة سائغة ، وبلاده لاتزال محتلة بالجند الأجنبى ؟ وهل كان يرضى المسلمون بذلك ؟

وماذا قدم الملك فؤاد للملك عبد العزيز وللحجاز من مساعدات ، حتى يقدم له الملك عبد العزيز الحجاز هدية ؟ إن الملك فؤادا لا يزال يحمل العقل الألبانى التركى الذى يستسيغ كل شىء حتى المستحيل .

٤

الملك عبد العزيز والقضايا العربية الكبرى

القضايا العربية الهامة التي كانت تشغل الرأى العام العربى هى :

١ — المسألة الفلسطينية .

٢ — المسألة السورية .

٣ — المسألة المصرية .

١ — المسألة الفلسطينية

لم تكن الحكومة البريطانية تسمح لأية حكومة عربية بالتدخل فى قضية فلسطين، فكانت تعتبرها دائما من المسائل الداخلية ، ولكنها كانت تهتم دائما بما كان يقوم به زعماء فلسطين ، من شرح قضيتهم فى البلاد العربية والإسلامية .

لقد أنذرتنى الحكومة البريطانية فى عهد السير « جون سيمون » ، لحضورى اجتماعا عاما فى فندق « هايد بارك » نظمته العصبة العربية ، وهى جمعية أنشأها بعض البريطانيين الذين يعطفون على العرب ، ويؤمنون بالظلم الذى حاق بالعرب ، بمنح الصهيونيين وعد بلفور .

ولكنى أخبرت الموظف الذى استدعانى ، بأنه لا يسعنى التخلف عن أى اجتماع يعقده العرب والمسلمون ، وأنى أفضل أن يستدعينى جلالة الملك عبد العزيز ، على عدم

مشاركة إخواننا فى مأساتهم ، وأنى لست أقل شعورا من المواطنين الإنكليز ، الذين قاموا بتنظيم هذا الاجتماع .

وأظهر نورى السعيد نشاطا ملحوظا منذ سنة ١٩٣٥ ، فتكررت زياراته للقدس سنة ١٩٣٦ فى أثناء الثورة الفلسطينية، وفى أثناء الاغتصاب الذى عم البلاد من أقصاها إلى أدناها .

وقد رأت الحكومة البريطانية أن تقوى حامياتها فى فلسطين ، فاستحضرت قوات ضخمة من مصر ومالطة، وبدأت هذه القوات فى اعتقال عدد كبير من السكان، كما أن المحاكم العسكرية أخذت تصدر الأحكام القاسية ، مما بلبل الأفكار وأثار الشعور .

لقد طلب زعماء فلسطين من ابن سعود مساعدته ، وتدخله لرفع الظلم عنهم ، لأن اليهود الذين يعمل الإنكليز على نصرتهم ، سيكونون شوكة فى ظهر العرب والمسلمين ، ولذلك رأى ، بعد إعمال الفكر ، أن يسبر غور الإنكليز فى موضوع تدخله ، واستعمال مساعيه الحميدة .

فأجابته الحكومة الإنكليزية ، بتاريخ ٣ يوليه ١٩٣٦ ، بأنها توافق على توسط ملوك العرب ، وأن يقوم جلالته بالاتصال بالعراق واليمن والأردن ، لنصح أهل فلسطين بالإخلاد للسكينة . وقد اتفق حكام العرب المذكورون على أن أفضل وسيلة لإدخال روح الطمأنينة والثقة ، أن توقف الهجرة إلى فلسطين، وأن يصدر عفو عام عن المعتقلين. ولكن بعد أخذ ورد طويلين ، قررت الحكومة البريطانية تخفيض الهجرة إلى ١٨٥٠ وقد كانت حتى أبريل ١٩٣٦ (٤٥٠٠) مهاجر ، وهذا بالطبع لايشمل الهجرة غير المشروعة .

وقد حاول جلالة الملك أن يوفد فؤاد حمزة، لمقابلة المندوب السامى ، و بعض الزعماء

الفلسطينيين ، ولكن الحكومة البريطانية لم تقبل أى مندوب ، وأبدت أسبابا خاصة بفؤاد حمزة ، وقد فصلناها فى فصل خاص .

وفى ١١ أكتوبر ١٩٣٦ أصدر ملوك العرب فى العراق ، والبلاد العربية السعودية ، واليمن ، وأمير شرق الأردن ، نداء يطلبون من اللجنة العربية العليا ، ومن أبنائهم أهل فلسطين ، أن يخلدوا إلى الهدوء والسكينة ، وأنهم (أى الملوك) واثقون من أن الحكومة البريطانية الصديقة ، ستنظر إلى قضية فلسطين نظرة عادلة .

ولما رأت الحكومة البريطانية أن الهدوء قد ساد البلاد ، أوفدت لجنة « بيل » إلى فلسطين ، لدراسة الحالة ، ووضع الاقتراحات الكفيلة بإرضاء العرب ، والحقيقة أن الحالة لا تحتاج إلى دراسة ، فهى معروفة ، فكم من لجنة أرسلت قبل ذلك ، وأصدق وصف لهذه اللجان أن تسمى لجان تخدير .

وصلت اللجنة إلى فلسطين فى ١٥ نوفمبر ١٩٣٦ ، وواصلت أعمالها بالاتصال بالموظفين البريطانيين وباليهود ؛ لأن العرب قاطعوها . وقد تمخضت دراستها عن مشروع التقسيم الذى نشر فى يوليه ١٩٣٧ ، فكان لإعلانه أسوأ الآثار فى العالم العربى والإسلامى ، وكما أن العرب فى فلسطين وفى البلاد المجاورة قد رفضوه ، فإن اليهود أيضا لم يقبلوه ، لأنه لم يتفق مع مطامعهم غير المحدودة .

لقد عقدت ندوات فى مجلس العموم، لمناقشة مشروع التقسيم من حيث المبدأ ، ثم مشروع التقسيم ذاته ، وقد انقسمت آراء الناس فى المشروع .

ومن الغريب أن يقوم مستر فِلبى ، الذى أمضى أكثر من ثلث قرن فى الشرق الأوسط فى أحد الاجتماعات ، ويصرح بأن العرب سيقبلون التقسيم ، فيسأله رجل من أعضاء البرلمان ، وهو (السير أرنولد ولسون) مَنِ العرب الذين يقبلون التقسيم ؟ فقال فلبى : إنى أراهن بالسنوات العديدة التى قضيتها بين العرب ، أن العرب يقبلون التقسيم .

وقد انفض الاجتماع ويكاد الحاضرون من أعضاء البرلمان يعتقدون أن فلبي لديه أخبار من ابن سعود ، تفيد أن من رأيه قبول التقسيم . ولكني أخبرت ولسون وسواه من أعضاء البرلمان ، أن فلبي يتكلم عن نفسه ، وأنه مخطىء فيما زعم ، وابن سعود الذى يدعى فلبي أنه أعرف الناس به ، كان أول من أبدى رأيه فى الاعتراض على التقسيم ، وأنه إذا كان فلبي صادقا ، فليذهب إلى فلسطين ، ويصارح الناس برأيه ، وسيرى تأثير ذلك . ولقد نصح جلالة الملك عبد العزيز فلبي أكثر من مرة ، أن يترك المسائل العربية للعرب أنفسهم ، إذ أنهم أعلم بمصالحهم ، ولكن فلبي رجل غريب الأطوار ، لايستقر على رأى .

لقد حاول فلبي فى هذا الخضم ، أن يجمع بين الأمير سعود وابن جوريون فى لندن ، كما حاول من قبل ابن جوريون زيارة الملك عبد العزيز ، ولكن لم يتم شيء من هذا ، لأنى كنت أعارض بشدة فى أى اجتماع من هذا القبيل ، لأنى كنت على يقين من أن الملك عبد العزيز لايقبل بأية حال من الأحوال ، الاجتماع مع أحد زعماء الحركة الصهيونية .

وبالنظر إلى الاعتراضات الكثيرة التى وجهت إلى تقرير اللجنة ، فإن الحكومة البريطانية قد ألفت لجنة أخرى ، لوضع مشروع آخر ، يكون أكثر وأعم تفصيلا ، وقد نشرت اللجنة الثانية تقريرها فى ٨ أكتوبر ١٩٣٨ ، وأوصت برفض مشروع التقسيم الذى رسمته اللجنة ، ثم اقترحت اللجنة بعض مشروعات أخرى لم تأخذبها الحكومة البريطانية ، فرأت الحكومة البريطانية عقد مؤتمر فى لندن من اليهود والعرب ، وللمرة الأولى أشركت الحكومات العربية فى المؤتمر ، وهى مصر ، والعربية السعودية ، والعراق ، واليمن ، والأردن وزعماء فلسطين . وقد كان هذا المؤتمر نواة للجامعة العربية التى ظهرت بعد أربع سنوات .

لم يكن من المنتظر أن تقبل الحكومة البريطانية جميع مطالب العرب أو أكثرها ،

فقد كانت لاتزال متأثرة بنفوذ اليهود فى البرلمان والدوائر المالية ، وتحت الضغط الأمريكى الذى لم يكن ظاهرا فى ذلك الوقت ، وإن كان معروفا فى الدوائر السياسية ، وضعت الحكومة البريطانية مشروعا جديدا ، نشرته بعنوان « كتاب أبيض » .

وقد كان هذا الكتاب مدار بحث فى القاهرة ، بين مندوبى الحكومات العربية والزعماء الفلسطينيين . أما رئيس الوزارة المصرية (محمد محمود باشا) فكان من رأيه قبول المشروع ، وأن رفضه هو مساعدة غير مباشرة للصهيونيين . وكان من رأى المرحوم الملك عبد العزيز قبول المشروع ، وقد نصح السيد جمال الحسينى بقبول المشروع ، لأن به مزايا لا بأس بها ، وأنه من الخطأ رفض كل شىء يقدم إليهم . ولكن العراق كان البادىء برفض المشروع ، بتأثير الزعماء الفلسطينيين . وقد حاول (محمد محمود باشا) إقناع زعماء فلسطين فلم يفلح . وأخيرا رفض المشروع على مَضض . أما ابن سعود فإنه لم يقبل المشروع ولم يرفضه ، بل ترك الباب مفتوحا ، وحاول بمختلف الطرق ، أن تعدل الحكومة البريطانية المشروع ، فلم تقبل الحكومة البريطانية تعديله ، ولكنه لم يرفضه .

وقد جرت بينى وبين (اللورد لويد) أحاديث كثيرة ، للوصول إلى حل عادل ، وقد قوى أملى بعد إسناد وزارة المستعمرات إليه ، ولكن هذا الأمل قد قُضِى عليه ، فقد أخبرنى (اللورد لويد) فى أحد الاجتماعات ، أنه من المستحيل حل مسألة فلسطين ، مادام تشرشل رئيسا للحكومة ، فقد وصف نفسه بأنه صهيونى ، وأنه لا داعى للإصرار بتنفيذ الكتاب الأبيض مادام العرب واليهود قد رفضوه . وبعد وفاة (اللورد لويد) أسندت وزارة المستعمرات إلى (اللورد موين) ، ويظهر أن تشرشل لم يكن راضيا تمام الرضا ، فأبعده إلى مصر (وزير دولة لشئون الشرق الأوسط) . وسمعت من كبار موظفى وزارة المستعمرات أن (اللورد موين) كان خيرا من (اللورد لويد) وكان يتصف بشجاعة لا يتصف بها (اللورد لويد) ، ولذا لم أدهش من نقله إلى مصر ، كما نقل (ملكولم مكدونالد) من المستعمرات إلى وزارة الصحة ، ثم من وزارة الصحة إلى كندا .

وقد أولى جلالته عنايته فى أثناء الحرب العالمية الثانية القضيتين الفلسطينية والسورية، وكانت الرسل تفد إلى جلالته من (المستر روزفلت) للسعى فى إيجاد حل للقضية الفلسطينية.

وفى فبراير من سنة ١٩٤٥ فى اجتماع جلالته بالمستر روزفلت والسير ونستن تشرشل، كان حديثه معهما خاصا بمسألة فلسطين. ولقد قال تشرشل فى أول حديثه ألا تعلمون جلالتكم أنى أول واضع للسياسة الفلسطينية، بإيجاد وطن قومى لليهود ؟ فقال جلالته لا أعلم، ولكن الذى أعلمه أن فلسطين هى وطن عربى، وأنه ليس لليهود من حق فى سلخ جزء من الوطن العربى، ليكون وطنا لهم، لهم أن يسكنوا كمواطنين مسالمين لا طامعين، ولقد عاشوا قرونا طويلة تحت كنف العرب والمسلمين فى أسبانيا وشمال إفريقية. فقال تشرشل : إننى لا أقصد أن تكون فلسطين لليهود، ولكنى أقصد إيجاد وطن لليهود فى فلسطين.

ولقد أبان الملك عبد العزيز خطر اليهود فى الشرق الأوسط، فإن أطماعهم لا حد لها، وإنهم سيكونون مثار شغب وفساد فى الشرق الأوسط، وإننا لنعلم أن أكثرية اليهود الذين يفدون إلى فلسطين شيوعيون.

أما مستر روزفلت فقد كان أكثر لباقة فى حديثه من تشرشل، وقد تعهد الاثنان بأنهما لن يجريا أو يؤيدا أى تغيير فى فلسطين يضر بمصالح العرب.

وفيما يلى كتابان متبادلان بين (مستر رُوزفلت) والملك الراحل فى سنة ١٩٤٥ :

بسم الله الرحمن الرحيم

الرقم ٢٦ / ٤ / ١ / ٤٥

التاريخ ٢٦ / ربيع الأول ١٣٦٤

الموافق ١٠ مارس ١٩٤٥

من عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل آل سعود :

ملك المملكة العربية السعودية

إلى حضرة صاحب الفخامة المستر روزفلت

رئيس الولايات المتحدة الأمريكية الأفخم .

يا صاحب الفخامة :

إنها لفرصة سعيدة أنتهزها ، لأشارككم فى السرور بانتظار المبادىء التى أعلنت الحرب من أجل نصرتها ، ولأذكر الشخصيات العظيمة التى بيدها بعد الله تصريف مقاليد نظام العالم ، بحق صريح قائم ، منذ عرف التاريخ ، ويراد الآن القضاء على هذا الحق ، بظلم لم يسجل له التاريخ مثيلا ولا نظيرا .

ذلك هو حق العرب فى فلسطين ، الذى يريد دعاة اليهودية الصهيونية غمطه وإزالته بشتى وسائلهم ، التى اخترعوها و بيتوها وعملوا لها فى أنحاء العالم ، من الدعايات الكاذبة ، وعملوا فى فلسطين من المظالم ، وأعدوا للعدوان على العرب ما أعدوا ، مما علم بعضه الناس ، وبقى الكثير منه تحت طى الخفاء ، وهم يعدون العدة لخلق شكل نازى فاشستى بين سمع الديموقراطية و بصرها ، فى وسط بلاد العرب ، بل فى قلب بلاد العرب ، وفى قلب الشرق الذى أخلص العمل لقضية الحلفاء فى هذه الظروف الحرجة .

إن حق الحياة لكل شعب فى موطنه الذى يعيش فيه حق طبيعى ، ضمنته الحقوق الطبيعية ، وأقرته مبادىء الإنسانية ، وأعلنه الحلفاء فى ميثاق الإطلنطى ، وفى مناسبات

متعددة ، والحق الطبيعى للعرب فى فلسطين لايحتاج لبيانات ، فقد ذكرت غير مرة لفخامة الرئيس روزفلت ، وللحكومة البريطانية ، فى عدة مناسبات ، أن العرب هم سكان فلسطين منذ أقدم عصور التاريخ ، وكانوا سادتها ، والأكثرية الساحقة فيها فى كل العصور . وإننا نشير إشارة موجزة إلى هذا التاريخ القديم والحديث لفلسطين حتى اليوم ، ليتبين أن دعوى الصهيونية فى فلسطين لاتقوم على أساس تاريخى صحيح .

يبتدى تاريخ فلسطين المعروف من سنة ٣٥٠٠ قبل الميلاد ، وأول من توطن فيها الكنعانيون ، وهى قبيلة عربية نزحت من جزيرة العرب ، وكانت مساكنهم الأولى فى منخفضات الأرض ، ولذلك سموا كنعانيين . وفى سنة ٢٠٠٠ قبل الميلاد هاجر من العراق (أور الكلدانيين) بقيادة النبىّ إبراهيم ، فريق من اليهود ، وأقاموا فى فلسطين ، ثم هاجروا إلى مصر ، بسبب المجاعات ، حيث استعبدهم الفراعنة .. وقد ظل اليهود مشردين فيها ، إلى أن أنقذهم النبىّ موسى من غربتهم ، وعاد بهم إلى أرض كنعان ، عن طريق الجنوب الشرقى ، فى زمن رمسيس الثانى ، الموافق سنة ١٢٥٠ ، أو ابنه منفتاح ، سنة ١٢٢٥ قبل الميلاد .

وإذا سلمنا بنص التوراة نجد أن قائد اليهود الذى فتح فلسطين ، كان يشوع بن نون ، وهو الذى عبر بجيشه ، واحتل مدينة أريحا من الكنعانيين ، بقسوة شديدة ، ووحشية يدل عليها قوله لجيشه : (أحرقوا كل مافى المدينة ، واقتلوا كل رجل وامرأة ، وكل طفل وشيخ ، حتى البقر والغنم ، بحد السيف ، وأحرقوا المدينة بالنار ، مع كل مافيها) . (يشوع ١٦ ٢١ ٢٤) وقد انقسم اليهود بعد ذلك إلى مملكتين : مملكة إسرائيل ، وقصبتها (السامرة) نابلس ، وقد دامت ٢٥٠ سنة ، ثم سقطت فى يد شلمناصَّر ملك آشور سنة ٧٢٢ قبل الميلاد ، وسَبَى شعبها إلى مملكته .

ثم مملكة يهوذا ، وقصبتها أورشليم (القدس) وقد دامت ١٣٠ سنة بعد انقراض

مملكة إسرائيل ، ثم أبيدت بيد (نبوخذ ناصّر) ملك بابل ، الذى أحرق المدينة والهيكل بالنار ، وسبى الشعب إلى بابل سنة ٥٨٠ قبل الميلاد .

ودام السبى البابلى مدة ٧٠ سنة ، ثم رجع اليهود إلى فلسطين ، بأمر قورش ملك الفرس .

ثم تلا ذلك الفتح اليونانى ، بقيادة إسكندر المقدونى سنة ٣٣٢ قبل الميلاد ، ودام حكمه فى فلسطين مدة ٢٧٢ سنة ، وجاء بعده الفتح الرومانى سنة ٦٣ قبل الميلاد ، بقيادة بومبى ، ودام حكم الرومان فى فلسطين مدة ٧٠٠ ، وفى سنة ٦٣٧ ميلادية احتل العرب فلسطين ، ودام حكمهم فيها مدة ٨٨٠ سنة متواصلة ، وكانت وصية الخليفة للفاتح : (لا تخونوا ولا تغدروا ولا تَغُلّوا[1] ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا طفلا ولا شيخا كبيرا ، ولا تعقروا نخلا وتحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا ، وسوف تمرون بأناس قد فرّغوا أنفسهم فى الصوامع ، فدعوهم وما فرغوا له أنفسهم) ، وقد ذكر هذا ابن الأثير المؤرخ المشهور .

ثم انتقل الحكم فى فلسطين إلى الأتراك سنة ١٥١٧ ميلادية ، فى زمن السلطان سليم الأول ، وظلت فلسطين فى حوزتهم مدة ٤٠٠ سنة ، وكان العرب سكانها ، وكانوا شركاء مع الأتراك فى حكمها وإدارتها . وفى سنة ١٩١٨ احتلها البريطانيون ، ولا يزالون فيها إلى الآن .

ذلك تاريخ فلسطين العربية ، يدل على أن العرب أول سكانها ، سكنوها ثلاثة آلاف سنة وخمسمائة قبل الميلاد ، واستمر سكناهم فيها بعد الميلاد إلى اليوم ، وحكموها وحدهم ومع الأتراك ألفا وثلثمائة سنة تقريبا ، أما اليهود فلم تتجاوز مدة حكمهم المتقطع فيها ٣٨٠ سنة ، وكلها إقامات متفرقة مشوشة . ومن منذ سنة ٣٣٢ قبل الميلاد لم يكن لليهود فى فلسطين أى وجود أو حكم ، إلى أن دخلت القوات البريطانية فلسطين سنة ١٩١٨ .

---

(١) الغلول : السرقة من مغانم الحرب .

ومعنى ذلك أن اليهود منذ ألفين ومائتى سنة، لم يكن لهم فى فلسطين عدد ولا نفوذ. ولما دخل البريطانيون فى فلسطين ، لم يكن عدد اليهود يزيد على ثمانين ألفا ، كانوا يعيشون فى رغد وهناء ورخاء، مع سكان البلاد الأصليين من العرب، ولذلك فاليهود لم يكونوا إلا دخلاء على فلسطين فى حقب متفرقة من الزمن ، ثم أُخْرجوا منها منذ أكثر من ألفى سنة .

أما الحقوق الثابتة للعرب فى فلسطين فتستند :

١ — على حق الاستيطان ، الذى استمرت مدته منذ سنة ٣٥٠٠ قبل الميلاد ، ولم يخرجوا عنها فى يوم من الأيام .

٢ — وعلى الحق الطبيعى فى الحياة .

٣ — ولوجود بلادهم المقدسة فيها .

٤ — ليس العرب دخلاء على فلسطين ، ولا يراد جلب أحدٍ منهم من أطراف المعمورة لإسكانه فيها .

أما اليهود فإن دعواهم التاريخية هى مغالطة ، ثم إن حكمهم القصير فى فترات متقطعة كما ذكرنا ، لا يعطيهم أى حق فى ادعائهم أنهم أصحاب البلاد ، لأن احتلال بلد ما ، ثم الخروج منه ، لا يخوِّل أى شعب ادعاء ملكية تلك البلاد ، والمطالبة بذلك، وتاريخ العالم مملوء بمثل هذه الأمثال .

إن حل قضية اليهود المضطهدين فى العالم ، تختلف عن قضية الصهيونية الجائرة ، فإن إيجاد أماكن لليهود المشتتين ، يمكن أن يتعاون عليه جميع العالم ، وفلسطين قد تحملت قسطا فوق طاقتها . وأما نقل هؤلاء المشتتين ، ووضعهم فى بلاد آهلة بسكانها ، والقضاء على أهلها الأصليين ، فأمر لا مثيل له فى التاريخ البشرى .

وإنا نوضح بصراحة ووضوح أن مساعدة الصهيونية فى فلسطين ، لا يعنى خطرا

يهدد فلسطين وحدها ، بل إنه خطر يهدد سائر البلاد العربيـة . وقد أقام الصهيونيون الحجة الناصعة على ما ينوونه فى فلسطين ؛ وفى سائر البلاد المجاورة ، فقاموا بتشـكيلات عسكرية سرية خطيرة . ومن خطأ القول أن يقال إن هذا عمل شرذمة متطرفة منهم ، وإن ذلك قوبل باستنـكار من جمعياتهم وهيئاتهم . وإنا نقول : إن أعمال الصهيونيين فى فلسطين وفى خارجها ، صادرة عن برنامج متفق عليه ، ومرضىّ عنه من سائر اليهودية الصهيونية ، وقد بدأ هؤلاء أعمالهم المنـكرة بالإساءة للحكومة التى أحسنت إليهم وآوتهم ، وهى الحـكومة البريطانية ، فأعلنت جمعياتهم الحرب على بريطانيا ، وأسست لذلك تشـكيلات عسكرية خطيرة ، تملك فى فلسطين فى الوقت الحاضر ، كل ما تحتاج إليه من الأسلحة والمعدات الحربية ، ثم قام أفرادها بشتى الاعتداءات ، وكان من أفظعها الاعتداء على الرجل الفذ ، الذى كان ممتلئا بالحب والخير لصالح المجتمع ، وكان من أشد من يعطف على اليهودية المضطهدة ، وهو (اللورد مُوين) . ومما يدل على أن فعلتهم المنـكرة كانت مؤيدة من مجموع اليهود ، المظاهر والمساعى التى قام بها رجال الصهيونية فى كل مكان ، فى طلب تخفيف العقوبة عن المجرمين ؛ ليجرُءوا على أمثالها .

فهذه أفعالهم مع الحـكومة التى أحسنت إليهم كل الإحسان ، فـكيف يـكون الحال لو مُـكِّنوا من أغراضهم ، وأصبحت فلسطين بلدا خالصا لهم ، يفعلون فيها وفى جوارها ما يريدون .

لو ترك الأمر بين العرب و بين هؤلاء المعتدين فربما هان ، ولـكنهم محميـون من قبل الحـكومة البريطانية صديقة العرب ، فاليهودية الصهيونية لم تراع حرمة هذه الحماية ، بل قامت بتدبير حبائل الشر ؛ و بدأتها ببريطانيا ، وأنذرت العرب بعد بريطانيا ، بمثلها وأشد منها . فإذا كانت الحـكومات المتحالفة التى تشعر العرب

بصداقتها ، تريد أن تشعل نار الحرب والدماء بين العرب واليهود . فإن تأييد الصهيونية سيوصل إلى هذه النتائج .

وإن أخشى ماتخشاه البلاد العربية من الصهيونية هو :

١ — أنهم سيقومون بسلسلة من المذابح بينهم و بين العرب .

٢ — ستكون اليهودية الصهيونية من أكبر العوامل فى إفساد مابين العرب والحلفاء ، وأقرب دليل على ذلك قضية اليهوديين فى مقتل (اللورد موين) فى مصر، فقد قدر اليهود أن يخفوا فاعلى الجريمة ، فيقع الخلاف بين الحكومة البريطانية ومصر.

٣ — أن مطامع اليهود ليست فى فلسطين وحدها ، فإن ما أعدوه من العدة ، يدل على أنهم ينوون العدوان على ماجاورها من البلدان العربية .

٤ — لو تصورنا استقلال اليهود فى مكان مافى فلسطين ، فما الذى يمنعهم من الاتفاق مع أى جهة قد تكون معادية للحلفاء ومعادية للعرب ، وهم قد بدءوا بعدوانهم على بريطانيا ، وهم تحت حمايتها ورحمتها .

لا شك أن هذه أمور ينبغى أخذها بعين الاعتبار فى إقرار السلام فى العالم ، عندما يُنظر فى قضية فلسطين . ففضلا عن أن حشد اليهود فى فلسطين ، لايستند إلى حجة تاريخية ، ولا حق طبيعى ، وأنه ظلم مطلق ، فهو فى نفس الوقت يشكل خطرا على العرب ، وعلى الشرق الأوسط .

وصفوة القول : أن تكوين دولة يهودية بفلسطين ، سيكون ضربة قاضية على كيان العرب ، ومهددا للسلم باستمرار ، لأنه لابد أن يسود الاضطراب بين اليهود والعرب ، فإذا نفد صبر العرب يوما من الأيام ، ويئسوا من مستقبلهم ، فإنهم يضطرون للدفاع عن أنفسهم ، وعن أجيالهم المقبلة بإزاء هذا العدوان ، وهذا بلا شك لم يخطر على بال الحلفاء ، العاملين فى سيادة السلم ، واحترام الحقوق ، ولا نشك أنهم لا يرضون هذه الحالة المقلقلة لسلام الشرق الأوسط .

ما كنت أريد فى هذا المعترك العظيم ، أن أشغل فخامتكم ورجال حكومتكم العاملين فى هذه الحرب العظمى ، فى هـذا الموضوع ، وكنت أفضل — وأنا واثق من إنصاف العرب من قِبَل دول الحلفاء ، أن يستمر سكوت العرب إلى نهاية الحرب ، لولا ماتراه من قيام هـذه الفئة الصهيونية اليهودية ، بكل عمل مثير مزعج ، غير مقدرين الظروف الحربية ، ومشاغل — الحلفاء حق قدرها ، عاملين للتأثير فى الحلفاء بكل أنواع الضغط ، ليحملوهم على اتخاذ خِطة ضد العرب، تختلف عما أعلنه الحلفاء من مبادئ الحق والعدل .

لذلك أردت بيان حق العرب فى فلسطين على حقيقته ، لدحض الحجج الواهية التى تدعيها هذه الشرذمة من اليهودية الصهيونية ، دفعا لعدوانهم ، وبيانا للحقائق ، حتى يكون الحلفاء على علم كامل بحق العرب فى بلادهم ، وبلاد آبائهم وأجدادهم ، فلا يسمح لليهود أن ينتهزوا فرصة سكوت العرب ، ورغبتهم فى عدم التشويش على الحلفاء فى الظروف الحاضرة ، فيأخذوا من الحلفاء ما لا حق لهم فيه .

وكل مانرجوه ، هو أن يكون الحلفاء على علم بحق العرب ، ليمنع ذلك تقدم اليهود فى أى أمر جديد يعتبر خطرا على العرب ، وعلى مستقبلهم فى سائر أوطانهم ، ويكون العرب مطمئنين من العدل والإنصاف فى أوطانهم .

وتفضلوا بقبول فائق احترامانى .

الختم الملكى

البيت الأبيض — واشنطن ١٥ إبريل ١٩٤٥

الصديق الطيب العظيم :

لقد تلقيت الرسالة التى بعثتموها جلالتكم لى بتاريخ ١٠ مارس ١٩٤٥ ، والتى أشرتم فيها إلى قضية فلسطين ، واهتمام العرب المستمر بسير التطورات التى تؤثر فى تلك البلاد .

إننى مغتبط أن جلالتكم انتهزتم هذه الفرصة للفت انتباهى لآرائكم فى هذه القضية، وقد أعطيت أدق الانتباه للبيانات التى أدرجتموها فى كتابكم . وإنى أيضا لملىء الخاطر بالمحادثات التى لا تنسى ، التى جرت بيننا منذ أمد غير بعيد ، والتى فى أثنائها تهيأت لى الفرصة لأدرك أى أثر حى لآراء جلالتكم فى هذه القضية .

تتذكرون جلالتكم أنه فى مناسبات سابقة ، أبلغتكم موقف الحكومة الأمريكية تجاه فلسطين، وأوضحت رغبتنا بأن لا يتخذ قرار فيما يختص بالوضع الأساسى فى تلك البلاد ، بدون استشارة تامة مع كلا العرب واليهود ، ولا شك أن جلالتكم تتذكرون أيضا أنه خلال محادثاتنا الأخيرة ، أكدت لكم أنى لن أتخذ أى عمل ، — بصفتى رئيسا للفرع التنفيذى لهذه الحكومة — يتضح أنه عدائى للشعب العربى .

وإنه لمما يسرنى أن أجدد لجلالتكم التأكيدات التى تلقيتموها جلالتكم سابقا ، بخصوص موقف حكومتى وموقفى كرئيس للسلطة التنفيذية ، فيما يتعلق بقضية فلسطين ، وأن أعلمكم بأن سياسة هذه الحكومة غير متغيرة .

وإنى أرغب فى هذا الوقت لأبعث لكم أحسن تمنياتى ، بدوام صحة جلالتكم ورفاه شعبكم .

صديقكم

التوقيع (فرانكان . د . روزفلت)

حضرة صاحب الجلالة ، عبد العزيز بن الرحمن آل فيصل آل سعود ، ملك المملكة العربية السعودية .

الرياض

وقد أشار كتاب الرئيس روزفلت هذا ، إلى مادار بينه وبين جلالة الملك ، فى اجتماع البحيرات المرة ، فى قناة السويس .

وفيما يلى نص مادار بينهما :

التاريخ ١٤ فبراير سنة ١٩٤٥

لقد سأل فخامة الرئيس «روزفلت» جلالة الملك عن نصيحته ، فيما يراه بخصوص قضية هجرة اليهود الذين جَلَوا عن أوطانهم فى أوربا . فرد جلالته على فخامته بقوله : إن من رأى جلالته أن يعود هؤلاء اليهود المُقْصَوْن عن بلادهم ، ليعيشوا فى البُلدان التى أُخرجوا منها .

أما اليهود الذين دُمِّرت أوطانهم تدميرا تاما ، والذين لاتواتيهم الفرص لأن يعودوا للعيش فى أحضانها ، فيجب أن يعطَوا أماكن يعيشون فيها ، فى أراضى دول المحور التى اضطهدتهم . وقد لاحظ فخامة الرئيس ، أن بولندا يمكن أن تعتبر مثالا فى هذا الصدد ، إذ يتجلى أن الألمان قتلوا من سكانها ثلاثة ملايين يهودى بولندى ، وهذا معناه وجوب إيجاد أماكن لكثير من هؤلاء اليهود ، الذين أصبحوا بلا مأوى . وحينئذ عبّر جلالة الملك عن وضع العرب وحقوقهم الشرعية فى بلدانهم ، ثم صرح جلالته بأن العرب واليهود لايمكن أن يتعاون بعضهم مع بعض ، لا فى فلسطين ، ولا فى أى بلد آخر . وقد استرعى جلالته الانتباه إلى زيادة تهديد حياة العرب وكيانهم ، وتفاقم الأزمة الناتجة من استمرار الهجرة اليهودية ، وشراء اليهود الأراضى العربية .

وزاد جلالة الملك على ماتقدم ، أن العرب يختارون الموت على أن يسلموا بلادهم لليهود .

ثم صرح جلالة الملك أن أمل العرب مبنىّ على كلمة الشرف التى قالها الحلفاء ، وعلى الحقيقة المشهورة لدى الجميع ، من حب الولايات المتحدة الأمريكية ، للعدل ، وعلى ماناط العرب من الرجاء والأمل بالولايات المتحدة الأميركية لمعونتهم ومساعدتهم .

وقد رد فخامة الرئيس على ذلك ، بأن فخامته يود أن يؤكد لجلالته ، بأنه لن يعمل أى شىء يساعد به اليهود ضد العرب ، وأنه لن يعمل أية حركة عدائية نحو العرب .

وذكر لجلالة الملك أنه من المستحيل أن يمنع الكلام أو إبداء الآراء فى البرلمان الأميركى ، أو فى الصحافة الأمريكية ، فيما يتعلق بأى موضوع ، وأن تأكيداته تعتبر نفس سياسته المقبلة ، كسلطة تنفيذية لحكومة الولايات المتحدة الأميركية . وقد شكر جلالة الملك الرئيس على هذه التأكيدات . وذكر لفخامته المشروع الرامى إلى إرسال وفد عربى إلى كل من أميركا وبريطانيا ، لتوضيح قضية العرب بفلسطين . فقال فخامته : إنه يعتقد أنها فكرة جيدة جدا ، لأنه يعتقد أن كثيرا من الناس فى أمريكا وإنكلترا يجهلون ذلك .

فقال جلالة الملك : إن إرسال وفد عربى لتنوير الرأى العام فى قضية العرب ، إلى أمريكا وإنكلترا هو فكرة صائبة ومفيدة ، ولكن أهم من كل ذلك عند جلالته ، ما صرح به فخامته الآن لجلالته ، فيما يتعلق بسياسته الطيبة تجاه العرب .

وتكلم الرئيس عن حبه الشديد للزراعة ، ملاحظا أنه هو نفسه كان مزارعا ، وملاحظا الحاجة إلى إيجاد المياه الكافية لزيادة وتوسيع الأراضى ، التى يمكن زراعتها وريها بآلات تقوم برى البلاد .

وعبر فخامته عن رغبته الخاصة فى الرى ، وتشجير الأرض : وقوة المياه التى يؤمل فخامته أن تنتشر بعد الحرب فى كثير من البلدان ، ومن بينها بلاد العرب ، وقال إنه يحب العرب ، وذكر جلالة الملك فى زيادة الأراضى المزروعة وانتشارها .

فشكر جلالة الملك فخامته على تشجيعه الخاص للزراعة ، ولكنه قال إنه شخصيا لا يرى الارتباط بشىء بشأن الزراعة ، إذا كانت النتيجة ستكون تغلب اليهود فى بلاد العرب .

وفى ربيع سنة ١٩٤٦ دعا الملك فاروق ملك مصر السابق ، إلى عقد مؤتمر من رؤساء الدول ، بدون استشارة حكومته ، التى كان يرأسها فى ذلك الوقت «إسماعيل صدقى

باشا » ، وكان وزير الخارجية « لطفى السيد باشا » ، فكادت هذه الدعوة تحدث أزمة سياسية فى مصر ، كما كادت رحلته إلى « رَضْوَى » فى سنة ١٩٤٥ تحدث أزمة أيضا .

لقد أوفد الملك «عبد العزيز» ولى عهده الأمير «سعود» ، وقد وصف جلالته هذا المؤتمر بأنه مؤتمر دعاية ، لا مؤتمر عمل ، وقد تجلى ذلك فى البلاغ الذى أصدره بعد اجتماع ثلاثة أيام ، فإنه لا يختلف عن المقالات التى كانت تنشر فى هذا الصدد .

لقد كان من رأى جلالة الملك عبد العزيز دائما ، عدم اشتراك الدول العربية فى أية حرب فى فلسطين ، لأنه كان يعلم اختلاف الأهداف والغايات ، التى كانت تدفع بعض الدول العربية ، وأن الأفضل تسليح أهالى فلسطين ، ومساعدتهم ماديا للدفاع عن بلادهم . وكان هذا رأى المرحوم محمود فهمى النقراشى ، ولكن لأمر أراده الله للأمة العربية ، تغلب الجهل وقصر النظر على العقل ، كما تغلب الهوى والخيانة على العقل والوطنية ، فوقعت الكارثة على فلسطين ، ولكن هذه الكارثة الدامية نبهت الأمة العربية ، وأيقظتها إلى الخطر الداهم المحيط بها ، وهى الآن تقوى نفسها ، وتصلح مافسد من أمرها ، وسيأتى اليوم الذى تسترد فيه هذه الأمة العربية بلادها ، ويعود اللاجئون إلى وطنهم محررين ، ماداموا على أنفسهم معتمدين ، وبالحق مستمسكين ، وبالله معتصمين : (حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا) .



المؤلف ومستر بيفن وزير خارجية إنجلترا عام ١٣٦٦ هـ = ١٩٤٦ م

٢ — المسألة السورية

ليست سورية بمنقطعة عن نجـد ، أو فى عزلة عنها ، فالتجارة بين سورية وشمال نجد متصلة من قديم الزمان ، وقبيلة « عَنَزة » التي تسكن سورية والعراق ، هم أبناء عم «عَنَزة» الساكنين فى نجد ، والصلة بين الجميع لاتنقطع. ويسكن سورية عدد غير قليل من النجديين ، وسورية سوق محبوبة للتجار النجديين، يجلبون إليها جمالهم وسمنهم وغنمهم، ويحملون منها مايحتاجون إليه من سلع .

أما من الناحية السياسية ، فلم تـكن نجد تهتم بمتاعب سورية السياسية إلى مابعد الحرب الأولى ، حين احتل الفرنسيون دمشق ، وأخذ أحرار سورية يناضلون لاسترداد حقوقهم ، ورسلهم تفـد إلى الرياض طلبا للنجدة والمساعدة . وبعـد استيلاء الملك عبد العزيز على الحجاز ، أخذت رسلهم تفـد إلى الحجاز ، تشرح آلامهم وآمالهم ، وتحريرهم من الظلم المحيق بهم ، وكان جلالة الملك «عبد العزيز» يواسيهم ، ويخفف من آلامهم ، بجميع الوسائل الممكنة، كما كان يمدهم بالسلاح فى بعض الأحيان ، ولذلك ليس من الغريب أن يعـده الزعماء السوريون واللبنانيون أبا لهم ، وما من زعيم عربىّ إلا ولجلالته يد عليه ، وهو لايرى ذلك إلا واجبا عليه ، أوجبته عليه قيادته ، ومركزه العربى الخطير ، لقـد كانت الرياض إلى وقت قريب كعبة آمال العرب ، ومَناط آمالهم .

لقد أبدى جلالة الملك «عبد العزيز» نشاطا عظيما فى أثناء الحرب العالمية الأخيرة ، وقدم الـكثير من النصائح الثمينة للوافدين عليه من الأمريكانيين والبريطانيين ، مما كان له أثره فى إقصاء الفرنسيين عن سورية إلى غير رجعة .

ولقد حاول الزميل الراحل فؤاد حمزة، وكان يقيم مؤقتا فى بيروت، أن يلعب دورا

خطيرا ، للتقريب بين الملك عبد العزيز والفرنسيين، واستعمال نفوذه لدى الزعماء السوريين، لعقد معاهدة بين سورية وفرنسا ، كالمعاهـدة العراقية ، وكاد الملك عبد العزيز يقع فى هـذه الأحبولة ، وقد صادف وجودى فى مكة فى سنة ١٩٤٥ وكان السيد «موسى العَلَمى» موفدا من السيد «شكرى القوتلى» ، فأخبرته بالدور الذى كان يلعبه فؤاد حمزة ، وأن الواجب أن يَقـدَم شكرى القوتلى بنفسه ، حتى يصفِّى الجو بينه و بين الملك عبد العزيز ، إذ أن المصلحة العربية تقضى بذلك ، و بالفعل حضر السيد «شكرى القوتلى» إلى مكة ، وصفا الجو بين الاثنين .

وخدمة للتاريخ يجب أن نذكر بالشكر الموقف الذى قام به « الجنرال سبير » فى ذلك الوقت .

و يجب ألا ننسى الدور الذى قام به جلالة الملك «عبد العزيز» فى أثناء ثورة حسنى الزعيم ، والحناوى ، والشيشكلى . وهذا كله معروف لا يحتاج إلى شرح أو تفصيل .

٣ — المسألة المصرية

كانت مصر ملجأ وملاذاً لأحرار العرب السوريين واللبنانيين ، الذين ذاقوا الأمرين تحت الحـكم التركى ، بل كانت مصر ملجأ لأحرار الترك أيضا ، الذين كانوا يسعون للتخلص من سلطان « عبد الحميد » واستبداده .

لقد اتخذ كثير من أحرار العرب مصر وطنا لهم ، قبل الدستور التركى و بعده : استوطن مصر رفيق العظم ، والـكواكبى ، والسيد رشـيد رضا ، وعبد الرحمن الشاهبندر ، وغيرهم من زعماء العروبة . ولـكن الزعماء المصريين والـكتاب المصريين الأحرار ، كانوا مشغولين بتحرير بلادهم من النِّير البريطانى ، فلم يشـغلوا أنفسهم بالمشاكل العربية ، إلى أن ينتهوا من مشاكلهم الخاصة ، ولـكن الصحف المصرية قامت بواجبها للدفاع عن إخوانهم .

ولقد كان يُنظَر إلى حمد الباسل، وأحمد زكى باشا، الذى يُلَقَّب بشيخ العروبة، ومحمد على علّوبة ، نظرة استغراب، لاشتغالهم بمسائل تخرج عن النطاق المصرى . ولكن الوعى العربى فى مصر قد ظهر لأول مرة فى مجلس عصبة الأمم ، بدفاع وزير الخارجية المصرية (واصف غالى) عن قضية فلسطين ، وقد كان لدفاعه أثر طيب فى البيئات السياسية . ومؤتمر فلسطين سنة ١٩٣٩ فى لندن ، يعتبر أول خطوة صحيحة لدخول مصر فى معترك النضال العربى ، بالرغم من معارضة الزعماء القدامى أمثال « إسماعيل صدقى » .

لقد كان كل هذا حافزا للملك عبد العزيز بن سعود ، أن يهتم بمشاكل الشرق الأوسط ، ويسعى جاهدا لمساعدة مصر فى حل مشاكلها مع بريطانيا، وبريطانيا تعتبره الصديق الوفى ، الذى بقى على صداقته ؛ ولم تغيره المِحَن التى ألمت ببريطانيا فى أثناء الحرب الأخيرة .

لقد تألم أشد الألم يوم هجم السفير البريطانى على قصر عابدين فى ٤ فبراير ١٩٤٢ ، واعتبر هذا العمل حماقة كبرى من بريطانيا ، فهى إهانة لمصر فى شخص مليكها ، وكان من مساعيه غير الظاهرة ، أن نقل السفير البريطانى من مصر .

وفى سنة ١٩٤٧ أمر ولى عهده الأمير سعود (الملك سعود الآن) أن يقوم بالاتصال بوزارة الخارجية ؛ لتخفيف حدة التوتر ؛ وإيجاد حل يمكن أن يكون مقبولا بين الحكومتين، لأن مسألة السودان كانت العقبة الوحيدة فى طريق الاتفاق .

والبرقية الآتية التى أرسلت للسفير السعودى فى باريس، والمؤرخة (١٦ / ٢ / ٧١) والملحق الخاص المؤرخ (٢٣ صفر ١٣٧١) يشرحان بكل وضوح ؛ اهتمام الملك عبد العزيز بالقضية المصرية ، التى يعتبرها قضية العرب جميعا ؛

عدد ١٤١٨ — من جلالة الملك المعظم

تاريخ ١٦ / ٢ / ١٣٧١ — إلى نجدية باريس

(ج عدد ٩٢ و٩٣ و٩٤ و٩٥)

اطلعنا على حديثك مع المستر إيدن ، ونحن مغتبطون من حديث إيدن معك ، وجوابك عليه كان موفقا ، وطبقا لرغبتنا .

أنت، إن كان المستر إيدن فى باريس ، أو إن كان سيرجع قريبا ، فأخبره بالجواب التالى ، وإن كان سيتأخر ، فأرسل له رسالة شفوية منك، بواسطة سفيرهم ، بما يأتى : « إننا مغتبطون من حديثه معك، وإننا منذ أن علمنا باستلامه وزارة الخارجية البريطانية، كنا على ثقة من أن المزايا العالية التى يتصف بها ، من حكمة وبعد نظر ومقدرة سياسية، ستساعد على حل المشاكل التى لاتتعرض لها بريطانيا وحدها ، بل تتعلق بسائر العالم. أما صداقتنا مع بريطانيا فماضينا فى الأيام الخالكة، لا حاجة بنا إلى بيانها ، لأنه يعرفها أكثر مما يعرفها غيره ، ونحب أن يكون على ثقة بأن موقفنا مع بريطانيا فى الحاضر والمستقبل ، لن يكون دون موقفنا فى السابق ، بل سيكون أشد وأمتن إن شاء الله .

أما الموقف بينهم وبين مصر ، فنعتقد أنه لم يكن أحد متأثرا ومتأسفا من هذا الموقف أكثر منا ، لأننا نقدر مخاطر ذلك على الجميع، أكثر مما يقدره أى إنسان آخر، ولذلك كان ولا يزال قلقنا عظيما ، ولايخفف من حدة هذا القلق ، إلا شعورنا برجاحة العقل البريطانى ، وظننا الحسن بالمستر «إيدن» وحكمته ، للوصول إلى التفاهم مع المصريين ، وأن يتخذ لذلك الأسباب والوسائط السرية والعلنية ، حتى يُحَل بالحسنى والاتفاق والتفاهم .

ونحب أن يكون «المستر إيدن» واثقا من أننا ما ادخرنا جهدا فى بذل كل ما يمكن من العمل مع إخواننا المصريين ، ولكن كما يعلم إننا لا نحب الإعلان عن مساعينا . وزيادة على ذلك ، فإنه إذا بدا لنا أى شىء، أو طريق يسهل الأمر بينهم وبين مصر، فسننتهزه ونخبرهم به ، ولكن كل ما ننتظره الآن، هو بذل مساعى الحكومة البريطانية مع

الحكومة الأمريكية ، للوصول إلى تفاهم مع المصريين . ونحب أن يكون واضحا أننا سبق أن أيدنا مصر فى الجامعة العربية فى مطالبها القومية ، ولا يمكن التخلف عن هذا التأييد ، لأن هذا يخل بصفوف الدول العربية ، وتأييدنا لمصر يجمع الكلمة ، ويساعد على السير مجتمعين فى مشاكل الشرق ، لأن كل مايهمنا هو قطع الطريق على الدعاية الشيوعية ، وعلى الشيوعيين فى البلاد العربية .

هذا ما ينبغى أن تُخْبر به «مستر إيدن» أما البحث فى اللجنة السياسية للدول العربية فبشأن قضية مصر ، فنحن وسائر الدول العربية، سبق أن أيدنا مطالب مصر القومية ، ونحن على تأييدنا لها فى الحاضر والمستقبل .

أما موقفنا بشأن موضوع الدفاع المشترك ، فسبق أن أبلغنا الدول الأربع ، أن قضية الخلاف بين مصر وبريطانيا ، هى العقبة فى الموضوع ، ورجونا حل هذه القضية ، وموقفنا فى هذه النقطة لا يزال كما كان .

عبد العزيز

ملحق خير وسرور إن شاء الله ، لحافظ وهبة :   الرقم ٢٨/٩/٤/١٨٩

الرياض فى ٢٣ / صفر الخير ١٣٧١

أخذنا كتابيكم المرفق بهما كتاب «المستر إيدن» وقد أرسلنا إليه الجواب عنه ، وأنتم تحرصون على أن تقابلوه ، وتسلموه إليه ، وتفيدوه شفهيا زيادة على الكتاب ، أننا لازلنا على الصداقة التى يعهدونها فينا فى الأيام العصيبة ، وأننا إن شاء الله لا يأتى من جهتنا إلا الصدق والوفاء .

ونود أن تذكروا له كذلك ، أننا نعلق أكبر الأمل عليهم ، وعلى أصدقائنا وأصدقائهم الأمريكيين ، فى حل مشاكل الشرق الأوسط ، وبالأخص مسألة مصر

التى يتوقف عليها كل الأمور ، لأنه يجب ألا نغالط أنفسنا ، بأنه مادام هذا الشغب وهذا الاختلاف فى مركز مثل مصر تعلمون أهميته فى الشرق الأوسط ، فإن الاستقرار لا يمكن أن يكون. إن الشعوب اليوم غيرها بالأمس فى كل البلدان ، وإن العدو الألد السوفيتى ، يغذى كل شعور العداء ضد الغربيين ، فالحكمة الرشيدة هى ألا يكونوا عونا مع العدو ، حتى لا يفلت الزمام ، وتضيع الفرصة ، ونحن نعتقد أنه إذا استعملت بريطانيا حكمتها وأناتها المعهودتين مع مصر ، فلن يستعصى عليها الأمر ، وستحمد هى نفسها هذه السياسة الرشيدة .

وتفيدونه كذلك أنه قد زارنا الملك طلال ، وقد كانت زيارته زيارة ودية ، ليشكرنا على معاضدتنا إياه فى أيام مرضه ومحنته ، لما أن أريد إبعاده عن العرش ؛ ونحن قد أيدنا موقفه ، لأنه حقه الشرعى ، ونرى أن من الوفاء على الحكومة البريطانية ، تأييده كذلك فى مركزه ، وفى معاونته ، مهما أمكن ، لما لوالده من علائق وثيقة معها ، ومن تقاليد الحكومة البريطانية الوقوف مع أصدقائها ، والوفاء لهم . وقد ظهر لنا من أحاديثه معنا ، أنه حريص جدا على توثيق العلاقات بينه وبين الحكومة البريطانية ، والتفاهم معها فى كل الأمور .

أما من جهة ماصار بيننا ، فلم يحصل أى اتفاق سياسى ، غير المجاملات وتوثيق العلائق ، وتوثيقها فى المستقبل لخير البلدين .

ولا تنسوا كذلك أن تذكروا له أننا ننظر إلى اختلافنا البسيط ، الذى بيننا وبين الحكومة البريطانية ، على حدودنا الشرقية ، بعين الشعور الذى ينظرون به إليه ، وأنه مهما كانت النتيجة ، فإن ذلك لا يؤثر فى صداقتنا التقليدية ، وأملنا الوطيد بأن تحل الأمور على أحسن حال ، إذ نحن لا نطلب ولا نرغب فى أى شىء خارج عن بلادنا ، وليس لنا رغبة فى شبر واحد من أراضى الغير ، فيكون ذلك معلوما .

والسلام .

٤ ــ فلبى وقضية فلسطين

مستر فلبى ، أو عبد الله فلبى ، رجل غريب الأطوار ، أما أنه أكثر الإنكليز رحلة فى جزيرة العرب ، فأمر لاشك فيه ، ويرجع ذلك إلى المساعدات التى كان يقدمها له المرحوم الملك عبد العزيز . وإن كانت أكثر كتبه لاتخلو من الخطأ من أحد مرافقيه .

كان (فلبى) مولعاً بالملك عبد العزيز ، وكان يراه النجم اللامع فى سماء الجزيرة ، كما كان (لورانس) معجبا بالملك فيصل ، و بالأشراف الهاشميين ، وكلاهما بريطانى ، تهمه المصلحة البريطانية قبل كل شىء .

كان (فلبى) مستشارا لوزارة الداخليــة فى العراق ، أيام ترشيح الملك فيصل الأول للعراق ، ولـكنه لم يكن متحمسا لهــذا الترشيح ، ولذلك نحاه المندوب السامى فى العراق (السير برْسى كوكس) فنقل إلى شرقى الأردن ، وأحيل إلى المعاش فى سنة ١٩٢٤ ، لأن الأمير عبد الله لم يهضمه ، وهو لم يهضم عبد الله .

وفى أوائل سنة ١٩٢٥ وصــل إلى جُــدة هو والسيد طالب النقيب ، ليقوما بالوساطة بــين الملك عبد العزيز ، والأمير على بن الحسين ، المحاصَر فى جُدة فى ذلك الوقت ، ولـكن الملك عبد العزيزرفض هذه الوَساطة ، لأن هدفه هو تحرير الحجاز من طغيان الأشراف .

وفى خريف سنة ١٩٢٥ وفد على الحجاز من طريق رابغ ، فقابله الملك عبد العزيز فى الشميسى ، فــكان كل هم (فلبى) فى ذلك ، أن يَعِدَه الملك عبد العزيز بمساعدته فى أعماله التجارية فى المستقبل ، فوعده الملك بذلك ، وقدوفّى جلالته بوعده ، بل تجاوز جلالته الوعد ، بتعصب جلالته لبعض مشروعات (فلبى) ، كما ساعــده فى تحمّل جميع نفقات رحلاته فى جزيرة العرب ، من رجال وإبل وزاد .

كان (فلبى) ولا يزال يعتبر جزيرة العرب مِنْطَقته الخاصة ، وابن سعود هو الرجل الذى لا يجوز لغيره أن يتناول الكتابة أو التأليف عنه .

لقد شن حملة نقد على كتاب « كنث وليمز » الصحفى المعروف ، حينما ألف كتابه « ابن سعود »، وشن حملة أخرى فى الصحف والمجلات الأسبوعية ، على كتاب « لورد أف أرابيا » لأرم سترُنج ، ولكن أرم سترُنج لم يكن خجولا مثل كنث وليمز ، فردعلى فلبى ردا ملجما ، ونقد مؤلفاته وسيرته الشخصية فى بلاد العرب . وقد راج كتاب أرم سترُنج رواجا عظيما ، وفى أثناء الحرب الأخيرة طبعت منه عدة ملايين من النسخ الرخيصة لثمن .

هل فلبى صديق مخلص لابن سعود ؟ .

كان (فلبى) يذيع فى بعض البيئات البريطانية التجارية ، أنه مستشار سياسى ومالى لابن سعود، ولقد رددت على الصحف التى كانت تصف (فلبى) بهذا الوصف . ففلبى لم يكن إلا تاجرا مستقلا، عطف ابن سعود عليه ، لرواج سلعه ، واتساع تجارته ، ومع ذلك فإن (فلبى) لم يكن موفقا فى أى مشروع تجارى كانت له يد فيه .

أما رحلاته العديدة فى جزيرة العرب ، فقد خلقت لنا المشاكل مع الإنكليز . لقد كانت الجزيرة سعيدة حينما كانت مجهولة للعالم الأوربى .

إن (فلبى) كان بلا شك من المعجبين بالملك عبد العزيز ، فإن ما كتبه عن الملك عبدالعزيز فى كتابه «العيد الذهبى لبلاد العرب» بمناسبة مرور خمسين سنة على حكم الملك عبد العزيز ، ينطبق عليه المثل القديم : « عدو عاقل خير من صديق جاهل » .

لقد روى (فلبى) فى كتابه أنه فى سنة ١٩٤٠ عرض على الملك عبد العزيز عرضا قدمه ويزمان ، وهو أن ويزمان مستعد أن يدفع ٢٠ مليون جنيه إذا تخلى الملك عبد العزيز عن قضية فلسطين ، والدفاع عنها . فقال له الملك (اسكت) ولا تخبر أحدا. ويقول (فلبى) إن الملك فى اعتقاده كان ينتظر أن يفاتحه تشرشل أو روزفلت ،

ولـكنهما لم يفعلا . لقد شكا الملك عبد العزيز لمندوبى روزفلت ، كيف يتصور ويزمان أن رجلا عربيا مثل الملك عبد العزيز يبيع دينه ووطنه ، أما ويزمان فينكر القضية من أولها إلى آخرها .

وأما نحن فنقول : هل (فلبى) سمسار لليهود، يعرض هذا العرض ؟ وهل يظن أن العرب يعتبرونه صديقا بعد أن يعرفوا هذه الوساطة ؟ ماذا فهم (فلبى) من قول الملك عبد العزيز (اسكت يافلبى ، لاتخبر أحدا) . لقد فهم أن الملك قد قَبِل العرض ، ويريد أن يجعله سرا بينه وبين (فلبى). كبرت كلمة تخرج من فيك يافلبى، إن الملك عبد العزيز قد خاف عليك ياأحمق ، من بطش الناس بك .

هل تظن يا(فلبى) أن الملك عبد العزيز ضعيف الإيمان مثلك ، فيساوم فى دينه ووطنه ؟

لقد أسأت أكبر إساءة للملك عبد العزيز ، وقابلت إحسانه إليك بالإساءة إليه .

رحم الله عبد العزيز، فمهما كتب (فلبى) ومهما افترى على التاريخ، فان عبد العزيز العظيم لن يضيره أمثال (فلبى) ، ففلبى معروف عند قومه ، يسعى لبناء نفسه على أكتاف الآخرين ، وإشهار نفسه ولو بهدم الآخرين . لقد أخطأ فى حق الرجل ، وفى حق التاريخ ، خطأ لا يغتفر ، ولقد صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يقول « اتّق شرَّ مَنْ أحسنت إليه » .

الحكومة العربية السعودية

بين عهدين

كان الملك عبد العزيز الملك المطلَق غير المنازع ، الآمرَ الناهىَ فى حدود الشرع. كان فى أول عهده يباشر المفاوضات مع المندوبين البريطانيين بنفسه ، ولايقبل أن ينوب عنه أحد إلا نادرا .

لقد كانت أعمال الدولة قليلة ، قبل توحيد غربىّ الجزيرة وشرقيها ، كانت وفود البادية تفد للرياض ، فيقابلها بنفسه ، ويسمع شكاويها ، ويغمرهم بعطاياه ، كلاً على حسب قدره .

وبعد أن أسست الحكومة السعودية بالحجاز ، وجد شعبا غير شعب نجد ، فنظم المحاكم تنظيما يختلف بعض الاختلاف عن نظام نجد ، وأسس مجلسا للشورى ، يضم عددا غير قليل من أبناء البلاد . غير أن هذا المجلس أخذت سلطاته تتناقص شيئا فشيئا ، حتى أصبح صورة ممثَّلة ، لاحس بها ولا حركة. على أن هذا المجلس قد أدى للدولة خدمات قيمة، بما اقتبس من نظُم لإدارات الحكومة المختلفة ، فهى كلها أو أكثرها من وضعه . أما الامتيازات التى مُنحت للشركات ، فلم يشترك أحد من المجلس فى وضعها ، مع أن من بين أعضائه من لايقلّ علما وخبرة وإخلاصا عمن اشتركوا فى مفاوضات هذه الامتيازات .

لقد اختار جلالته ولى عهده الأمير سعودا (الملك سعودا الآن) ، لينوب عنه فى

إدارة نجد ، كما اختار الأمير «فيصلا» ليكون نائبا عنه فى الحجاز، ومع هذا ما كان أمر من الأمور ليبرم بغير أمره وموافقته .

لقد استحدث بعض وزارات فى عشر السنوات الأولى من حكم الحجاز ، مثل وزارة الخارجية والمالية ، كما أنشئت وزارة للدفاع فى أثناء الحرب العالمية الثانية ، ووزارة المواصلات فى السنين الأخيرة من حياته ، ولكن سلطة الوزير فى أيامه كانت ضيقة، فكثيرا ما تجاهل الوزير وكثيرا ما اجتمع مع المندوبين الأجانب، وتباحث معهم ، بدون حضور وزير الخارجية ، بل كثيرا ما باحثه رجال شركة الزيت من الأمريكيين ، بدون حضور وزير المالية ، ومن يجرؤ أن يعترض ؟ أليس هو بانى هذه المملكة ومؤسسها؟ ولكن جلالته كثيرا ما كان يصغى إلى نصائح مستشاريه .

لقد استرعيت نظر جلالته إلى خطأ مباشرة المفاوضات بنفسه سنة ١٩٢٥ ، لأنه بشر قد يخطئ ، وليس من السهل رجوع جلالته عن الخطأ ، وليس من الأدب أن ينبه جلالته أحد إلى خطأ يقع فى أثناء المفاوضات ، فأجابنى جلالته بكبرياء : هل تريد أن تفاوض أنت ؟ فقلت : سيتولى المفاوضات من تختاره جلالتكم ، ولماذا أفاوض أنا أو غيرى، إذا كنا غير متمتعين بثقتك ؟ وعلى كل حال ، لن يتولى أحد المفاوضة بغير تعليمات صريحة واضحة من جلالتك ، وستحاطون علما بكل خطوة يخطوها مندوبكم .

على أن جلالته قد قبل هذه النصيحة بعد ست سنوات ، وقد أرسلنى إلى جلالته من لندن ، بعد مشادة بين جلالته والوزير المفوض البريطانى « السير أندرو رايان »، فقد استعمل الوزير المذكور بعض كلمات ما كان يليق أن يستعملها مثله ، ولكن الوزير المذكور كان يعمل فى السفارة البريطانية باستامبول مدة طويلة كترجمان ، وربما اعتاد استعمال أمثال هذه الكلمات مع الأتراك ، وقد أخفق « السير اندرو رايان » فى

مهمته ، فنقل بعد ذلك إلى ألبانيا ، حيث انتهت مهمته باستيلاء إيطاليا على هذه المملكة الصغيرة .

ونظام الحكم فى البلاد العربية السعودية كما فى غيرها من البلاد الأخرى ، مثل الكويت والبحرين وقَطَر ، وبعض السواحل على الخليج العربى ، يغلب عليه طابع العصبية ، فالوزراء والأمراء « حكام الأقاليم » غالبا ما يُختارون من الأسرة الحاكمة ، أو ممن يمتون إليهم بصلة القرابة ، ولم يشذ عن هذا إلا السفراء والوزراء المفوّضون ، الذين يمثلون الحكومة فى الخارج ، وأحيانا تطغى الوراثة على الكفاية ، فكثيرا ما رأينا أن بعض الحكام تسند وظائفهم إلى أولادهم أو إخوانهم ، بعد موتهم ، وكذلك اعتاد الناس فى البادية ، أن تكون قوة الحاكم بعصبيته وجماعته والموالين له ، ولكن الإسلام قضى على العصبية ، وأحل الإخاء محل العصبية .

وإن هذا العرف الذى تسير عليه الجزيرة العربية قد كان عند غيرها من الأمم الأخرى ، ولابد أن تصهرنا الحوادث والتجارب ، كما صهرت غيرنا ، وجدير بنا أن نستفيد من تجارب غيرنا ، ونختار من النظم مايصلح لبيئتنا وأحوالنا .

هذا ماتراه واضحا فى المدن الكبيرة ، مثل الرياض وجُدّة ومكة .

أما فى الأقاليم فيمثل الملكَ فى كل إقليم صغير أو كبير ، حاكم يلقب بالأمير ، ويخطىء كثير من الناس فى خارج الجزيرة ، فيظن أن كل « أمير » ينسب إلى الأسرة الحاكمة .

والحاكم الذى يمثل سلطة الملك فى ناحيته ، يحيل إلى أصحاب الشرع مايحدث من منازعات مالية أوغير مالية . والحاكم عرضة للعزل والعقوبة إذاتجاوز حده فى ظلم الناس ، أو تهاون فى المحافظة على حقوقهم .

وأوسع الأمراء نفوذا ، وأقواهم سلطة ، وأعظمهم شأنا ، الأمير عبد العزيز بن

مساعد ، حاكم « حايل » والمناطق الشمالية ، والأمير سعود بن عبد الله بن جَلَوِيّ حاكم الأحساء والمِنطقة الشرقية ، ووالده المرحوم عبد الله بن جَلَوِيّ ، أحد أنصار المرحوم الملك عبد العزيز ، فى الاستيلاء على الرياض ، وله الفضل الأكبر فى سيادة الأمن فى تلك المِنطقة ، التى لم تكن تعرف الأمن ، كما كان للأمير عبد العزيز بن مساعد فضل كبير فى القضاء على الدُّويش وفتنته فى سنة ١٩٢٩ .

ومما يجدر ذكره ، أن جد الأمير عبد العزيز بن مساعد ، والأمير سعود بن جَلَوِيّ هو شقيق الإمام فيصل العظيم ، جد الملك عبد العزيز .

وجميع الأمراء يرفعون مهامّ الأمور والقضايا إلى جلالة الملك ، ويحيطونه علما بكل صغيرة وكبيرة ، وقد ساعدهم على هذا وجود المحطات اللاسلكية فى جميع أنحاء البلاد.

على أن بعض الأمراء فى الإمارات الصغيرة النائية ، كثيرا ما يسوء فهمهم التعليمات الصادرة إليهم من جلالة الملك .

فى سنة ١٩٣٦ استدعانى جلالة الملك الراحل إلى الرياض ، لاستكمال البحث والنظر فى القضية الفلسطينية ، ولم تكن الطائرات فى ذلك الحين تصل إلى جُدة أو الرياض . كانت أحيانا تقف فى الكُوَيت فى طريقها إلى الهند، ومن الكُويت لابد من سيارة إلى الرياض . وكان الوقت صيفا والحر شديدا . وقد تركت الكويت فجرا ، فوصلت إلى (قرية) أول الحدود النجدية ، وهى على اسمها . وصلت « قرية » فى الضحى ، فكان علينا أن نستريح إلى العصر ، وبعد الغداء أخبرنا الأمير حاكم « القرية » أنه لن يسمح لنا بالسفر ، قبل أن يأتيه إذن من جلالة الملك ، فسألته هل عندك تعليمات جديدة ؟ فقال : لا ولكن جلالة الملك أمرنا بذلك . فقلت له : يجب أن تعلم أنى موظَّف ، وأنى قدِمت من لندن إلى هنا فى يومين ، بناء على أمر جلالة الملك ، وأن مالديك من التعليمات لاينطبق على الموظفين والمواطنين،وأن فى استطاعتك إحاطة جلالة الملك علما بوصولنا ومسيرنا ، فرفض . فقلت على سبيل المزاح : وإذا

سافرنا قرب الغروب وقبل أن تصل إليك أوامر من جلالة الملك؟ فقال سأوقفكم بالقوة فقلت: هون عليك ياأخى ، فطلبت من موظف البرق اللاسلكى ، أن يرسل البرقية الآتية ، إلى جلالة الملك فى الرياض :

جلالة الملك　　　　　　　　　　الرياض

وصلت إلى « قرية » صباح اليوم ، وفى النية مواصلة السفر بعد العصر ، ولكن الأمير يصر على منعنا ، حتى يأتيه إذن خاص من جلالتكم ، وقد أُخبرت بأن التعليمات التى لديه خاصة بالأجانب ، فأرجو من جلالتكم إصدار أمركم الكريم للأمير حتى لا نتعطل فى « قرية » .

فوردت البرقية الآتية من جلالته بعد ساعتين :

حافظ وهبة　　　　　　　　　　قرية

نحمدالله على وصولكم إلى قرية بالسلامة ، حالا أبرقنا إلى الملعون الحمار ابن الحمار ابن (هنا اسم الأمير)، كيف يؤخركم وأنتم إن شاء الله تتوجهون إلينا حالا .

وقد عرض على الأمير برقية مماثلة ، فقلت له : ياولدى لو أصغيت إلى نصيحتى وأنا أكبر منك سنا ، وأكثر خبرة ، لكنت فى غنى عن هذه البرقية القاسية .

وأرسل أمير آخر من أمراء النواحى النائية فى الجنوب ، إلى جلالة الملك الحالى ، أنه لاحظ أن كثيرا من المراهقين لا يُختَتنون . وقد ضحك كل من فى المجلس عند سماع ذلك ، فإن مثله كان يجب أن يراجع رجال الدين ، وقاضى الناحية ليس ببعيد عنه ، ولا يدرى أحد كيف لاحظ الأمير (الحاكم) ذلك ، وهو ليس بجديد فى تلك الناحية وهنالك كثير من السُّخْف يدل على جهل بعض الأمراء (الحكام) .

فلعل الحكومة الحاضرة تختار من أبناء البلاد من أحكمتهم التجارب ، ومن ذوى البصيرة والعقل فى إدارة الحكم ، فإن الرعية أمانة فى عنق أولى الأمر : « كلكم راع ، وكل راع مسئول عن رعيته » .

ولقد أنشأ الملك الراحل فى أخريات أيامه ، مجلسا للوزراء ، أسند رياسته لولى عهده الملك الحالى ، وقد كان هذا المجلس يضم الوزراء فى ذلك العهد ، ومستشارى جلالة الملك .

وفى ٢ من ربيع الثانى ١٣٧٣ (٩ نوفمبر ١٩٥٣) توفى الرجل العظيم عبدالعزيز ، فنودى بولى عهده الملك « سعود » ملكا على المملكة العربية السعودية .

وقد بادر جلالته بتعيين الأمير « فيصل » رئيسا لمجلس الوزراء ، و بتعيين أخيه الأمير « فهد بن عبد العزيز » وزيرا للمعارف ، وأخيه الأمير « سلطان بن عبد العزيز » وزيرا للزراعة وكان ذلك فى ١٨ ربيع الثانى ١٣٧٣ . وفى ١١ رجب ١٣٧٣ أسست وزارة للتجارة

وفى رجب ١٣٧٤ فبراير ١٩٥٥ أعيد تنظيم لائحة مجلس الوزراء ، وافتتح جلالة الملك سعود المجلس بخطاب عرش ، أشبه بخطب العرش التى يفتتح بها البارلمان ، وقد اعتبر هذا عهدا من جلالته ، أمام وزرائه وأمته . و بالنظر إلى أهمية هذا الخطاب رأينا نقله بنصه ، وهو :

بسم الله الرحمن الرحيم

فى رجب ١٣٧٤

« نحمد إليكم الله الذى بفضله تتم الصالحات ، و بعونه وقدرته تنجح المساعى ، وتتحقق الآمال ، ونصلى ونسلم على نبينا « محمد » خاتم الأنبياء والمرسلين ، الذى جاء من عند الله بما كفل لنا خيرى الدنيا والآخرة .

أما بعد : فكل منا قدّر ويقدّر مقدار الفاجعة العظمى ، التى فُجعنا بها ، بوفاة مجدِّد مجدنا ؛ وبانى أساس دولتنا، الوالد العزيز «عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل» ، قدس الله روحه ، وتغمده برحمته ، وجعل مثواه جنات النعيم ، فلقد أعاد لنا بفضل الله مجد آبائنا وأجدادنا ، وأسس دولتنا، فكان لها مركزها بين العالمين . كما كان له رحمه الله من المنزلة فى العالم ما تعلمون ، وإن ماتركه لها من التراث ومن السمعة العظيمة فى محافل العالم ، نعتبره ركنا من أركان مفاخرنا ، تتحدث به الأيام والعصور ، ولقد كان عزاؤنا الوحيد ، بعد هذه الفاجعة ، ما من الله به علينا ، إذ وهبنا فضيلة الصبر والتجلُّد فى ساعة الفاجعة ، فلم يُذهلنا هول المصاب عن الواجب ، للسير فى الخطا التى رسمها لنا رحمه الله ، وقد واسى جراح قلبنا، ما رأيناه من التفافكم حولنا ، وشدُّكم أزرنا ، ومبايعتكم لنا بقلوبكم قبل أيديكم ، وما حاطنا به الشعب من تأييد ، ومبايعة على السمع والطاعة ، وعلى سنة الله ورسوله ، وهذا يذكرنا بما فعله أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخلفاء الراشدين ؛ فكان ذلك العَزاء الوحيد لنا ولكم واشعبنا ، وكان حافز جديدا حدانا إلى مواصلة الليل والنهار ، للعمل على مافيه النهوض ببلادنا ، وإسعاد شعبنا

لقد كان همنا منذ تولينا مقاليد الأمور ، أن نعتصم بكتاب الله ، ونستهدىَ بهدى رسول الله ، وسنة خلفه من السلف الصالحين ، ثم نتبع سيرة والدنا العظيم ، فى السياسة والإدارة ، وفى كل مجال من مجالات الإصلاح سالك سبيله ، وفتح لنا طريقه ، لنتعهد ما شيد ، ونتم ما بدأ فيه من أعمال ، ونقوم بكل مانستطيعه ، لما فيه مصلحة بلادنا وشعبنا .

لقد جعل الإسلام الأمر شُورَى بين المسلمين ، فأول ماعقدنا العزم عليه ، هو أن نجعل منكم إخواننا وأبنائنا ووزرائنا ، موضع ثقتنا ومشورتنا ، لنتعاون معكم على النهوض بأعباء الحكم فى هذه البلاد ، فأنشأنا هذا المجلس ـ مجلس الوزراء ـ ليكون مصدرا لجميع أعمالنا ، التى نقوم بها فى خدمة هذه الدولة ، وسيكون أى عمل فى الدولة

مصدره ومرجعه منكم و إليكم، على أساس ما يقوم به كل منكم من أعباء ، وكلنا الأمر فيها إليه ، طبقا للأنظمة المقررة له .

و إننا ننتهز هذه الفرصة الأولى لافتتاح هذا المجلس الموقر ، لنرسم لكم ونبين المنهاج الذى سنسير عليه فى حياتنا المقبلة ، بحول الله وقوته :

١ — إن أول مايهمنا جميعا ، هو الاعتصام بحبل الله المتين ، وأن نتخذ من الوسائل فى داخل بلادنا، ما يمكن روح التوحيد الخالص فى قلوب أفراد الشعب كافة ، حتى يخلص الجميع العبادة لله وحده ، وسنسير فى ذلك بهدى كتاب الله ، فى الدعوة إلى الله بالحكمة ، والموعظة الحسنة فى كل مجال ، وعلى الأخص المدارس ، وسنحرص بحول الله على مراقبة ذلك ، وحث الناس على كل ما يأمر به الشرع الإسلامى ،ومنعهم عن كل ماينهى عنه ، لأن فى ذلك خيرى الدنيا والآخرة ، ولأنه ليس شىء من الخير إلا دعا له الإسلام ، وليس شىء من الشر إلا نهى الإسلام عنه .

٢ — أما سياستنا الخارجية ، فإننا نترسم فيها خطا والدنا العظيم ، وأول مايهمنا فيها هو العمل على جمع كلمة العرب ، وتأييد مصالحهم فى جامعتهم ضمن ميثاقها، وضمن معاهدة الدفاع المشترك . وقد أبلغنا الوفد الذى مثلنا فى جامعة الدول العربية ، فى أول اجتماع لها ، بعد استلامنا مقاليد الحكم ، أن يعلن عزمنا الأكيد على مناصرة العرب ، والتعاون معهم فى أى ميدان ، وفى أى مجال ممكن ، لمنع العدوان عنا جميعا ، والتعاون على تحقيق ما فيه الخير والمصلحة لنا جميعا . ونحن سنسير بعون الله فى دعوة البلاد العربية كافة لجمع كلمتها ، وتوحيد قواها لما يجمع شمل العرب ، ويحفظ استقلالهم ، ويرد غائلة العدوان عنهم ، من أى جهة كانت .

وقد تسابقت وفود أكثر الدول العربية الشقيقة إلينا ، لتعزيتنا وتهنئتنا ، ومشاركتنا فى الضراء والسراء ، فلاقينا من مواساتهم ، ماأشعرنا أن المصاب كان مصابنا

جميعا ، وقد انتهزنا هـذه الفرصة ؛ فتبادلنا الآراء والأفـكار معهم ، لما فيه مصلحة العرب .

وكان آخر ذلك ماسعدنا به من زيارة حضرة صاحب الجلالة أخينا الملك حسين، الذى اجتمعنا به فى «بَدَنَة» حيث واسانا فى مصابنا، وهنأنا بتولينا عرش مملـكتنا، وتبادلنا شعور المودة والإخاء بيننا .

وكذلك فإننا نشعر فى قرارة أنفسنا بالسرور العظيم ، للعلاقات الودية القائمة بيننا و بين الدول الإسلامية الصديقة ، وأخص بالذكر منها دولة الباكستان، التى قام رئيسها العظيم ، السيد « غلام محمد » بزيارتنا ، لمواساتنا فى مصابنا ، وتهنئتنا بارتقائنا عرش هـذه المملـكة ، ولتأييد صلاتنا الودية ، وتعاوننا مع حكومة باكستان الصديقة العزيزة .

و إنه ليسرنا أن نقوم بكل عمل فيه جمع لـكلمة الإسلام والمسلمين ، فى مشارق الأرض ومغاربها .

كلنا يعـلم ذلك « السَّرَطان » الذى أنشىء فى جسم البلاد العربية ، فقام بأفظع ماعرفه التاريخ من الإجرام ، حيث قتل وشَرَّد مايقرب من مليون مسـلم عربىّ من فلسطين . ذلك « السرطان » هم الصهيونيون من اليهود، الذين عرف التاريخ إجرامهم منذ القدم حتى اليوم ، وهم لم يـكتفوا بمـا قاموا به من إجرام ، بل إنهم يُعِدون العدة لعدوان جديد على البلاد العربية ، تمثلها اعتداءاتهم المتـكررة على حدود البلاد العربية المجاورة لهم ، وهم فى وضعهم الحاضر لا يهددون البـلاد العربية المجاورة لهم فحسب ، بل يهددون العرب فى بلاد العالم كله ، ونستطيع أن نقول أكثر من ذلك ، إنهم يهددون الإسلام والمسلمين فى أقطار الأرض كافة ، ونحن عاملون مع الدول العربية ، ومع من يتفق معنا من الدول الإسلامية ، للدفاع عن أنفسنا ضد هذا العدوان ، والله ناصرنا بحوله وقوته .

إن سياستنا العامة خارج نطاق الدول العربية ، هى السعى الدائم لتحسين علاقاتنا السياسية مع الجميع . وإنا بعون الله عاملون على تقوية هذه الصلات الودية مع كل الدول التى تظهر الصداقة ، وترغب فيها معنا

وإننا آسفون أن تكون هنا مشكلة بيننا وبين الحكومة البريطانية الصديقة ، لم نتمكن من الوصول إلى تسوية فيها حتى الآن ، ونحن عاملون مافيه الجهد ، للمحافظة على كياننا وسيادتنا وحقوقنا الموروثة ، بالتفاوض مع الحكومة البريطانية ، لإنهاء المشكل بالطرق السلمية ، ولنا وطيد الأمل بالوصول إلى حل بصورة ودية إن شاء الله .

٣ — لقد كان همنا تقوية جيشنا ، لأنه عماد الدولة ، وعليه بعد الله يتوقف حفظ كياننا ، واستقلالنا فى الداخل والخارج ، ولذلك فإن الجيش سيخصص له قسم عظيم من الميزانية ، ونحن نعمل فى كل ميدان ، لإكثار عدد الجنود ، وتدريبهم تدريبا فنيا ، والاستزادة من الأسلحة اللازمة لهم .

٤ — لقد وجهنا عناية خاصة لما فيه خير شعبنا ، بمحاربة الجوع والفقر والمرض . ولقد عانت بعض مناطق بلادنا متاعب اقتصادية ، بسبب انحباس الأمطار ، فعملنا على نقل قسم كبير من البادية إلى حواضر المدن ، وعملنا على تأمين حاجتهم من العيش ، ونحمد الله الذى حل هذه الأزمة بفضله ، بما من علينا من الغيث، الذى سيكون مساعدا لإزالة هذه الأزمة .

كما أننا اتخذنا من الترتيبات ، مايساعد على مساعدة الفقراء فى تأمين معايشهم ، ونأمل أن المشاريع العمرانية التى سنقوم بها فى البلاد، ستوجد أعمالا كثيرة ، تدر الخير على البلاد ، وتوجد أعمالا واسعة النطاق لسائر أفراد الشعب .

٥ — ولقد وجهنا عنايتنا أيضا لرفع المستوى الصحى فى البلاد ، فقامت وزارة الصحة بإنشاء المستشفيات العامة والمستوصفات ، وستقوم بكل مافى استطاعتها لمعالجة

المرضى ، ورفع المستوى الصحى ، و بناء مستشفيات ومستوصفات فى سائر أنحاء المملكة .

٦ — ولقد أنشأنا وزارة للمعارف ، للنهوض بالعمل على تعليم الشعب أمر دينه أولا ، ثم ماينفعه فى دنياه ثانيا ، وسنخصص لهـا فى الميزانية قسطا كبيرا ، لتقوم بنشر العلم فى كافة أنحاء البلاد .

٧ — وكذلك إنشاء وزارة للزراعة ، تعمل للنهوض الزراعى فى أنحاء المملكة كافة ، ولدينا ولله الحمدمناطق زراعية غنية ، لا تحتاج إلا إلى المعاونة والتنظيم، حتى تؤتى أكلها وثمرها ، حيث تغذّى بلادنا ، ويمكنها أن تعاون فى تغذية بلاد أخرى بعد ذلك إن شاء الله .

٨ — ولقـد أنشئت وزارة للمواصلات ، وهى دائبة على العمل فى النهوض بما عُهد إليها به . وسيكون من مَهامّها تأمين المواصلات فى أنحـاء مملكتنا الفسيحة الأرجاء .

ولقـد تمت دارسة مدّ خط حديدى من الرياض ، مارا بالوشم فالقصيم فالمدينة المنورة فجُدة ، ثم ينتهى فى مكة المكرمة .

وقد وضعت التصاميم اللازمة لهذا المشروع ، وسيباشر العمل فيه لأهميته الحيوية ، فى أول فرصة ممكنة ، ولقد كان أهم ما فكرنا فيه تأمين المواصلات بيننا و بين البلاد العربية ، فاتصلنا بحكومتى الأُردُن وسُوريَة الشقيقتين ، لإعادة سكة حديد الحجاز ، فاستجابت الحكومتان لدعوتنا ، وعقد فى « الرياض » مؤتمر ، تم الاتفاق فيه على الأُسس التى يعود الخط بموجبها سِيرَته الأولى ، وبعثنا بهيئة فنية لدراسة الخط ، ووضع تقرير عن تكاليف إصلاحه ، للتعاون مع الدولتين الشقيقتين على إعادته . وسنضع برنامجا تدريجيا لافتتاح الطرق فى مختلف أنحاء البلاد .

٩ — إن العمود الفقرى للدولة لانتظام مصالحها ، والذى تقوم عليه الحياة العامة

والخاصة ، هو المال ، و بغير تأمين موارد كافية للدولة ، وبغير تنظيم صرف هذه الأموال ، لا يمكن أن يستقيم لنا أمر ، أو ننجح فى أى عمل عمرانى أو تجارى أو اقتصادى . وكلنا يعلم كيف تأسست وزارة المالية فى هذه الدولة ، وماهى الأعباء التى أرهقت كواهلها ، وقد مر علينا وقت كانت كل أعباء المشاريع العمرانية والاقتصادية والزراعية والصناعية وغيرها ، بل وحتى العسكرية أيضا ، على عاتق وزارة المالية . وهذا بالطبع حمل تنوء به العصبة أولو القوة ، فضلا عن فرد أو أفراد . ولذلك أخذنا على عاتقنا تخفيف هذه الأعباء عن هذه الوزارة ، وجعلها وزارة للمالية بالمعنى الصحيح ، بحيث تتولى جمع كل واردات الدولة ، كما تتولى صرفها ضمن الميزانية المعتمدة ، وما كان يجوز فى السابق لضيق الموارد أو قلة المشاريع العمرانية التى كنا نضطلع بها ، لا يجوز اليوم بعد اتساع الموارد ، وتعدد المشاريع العمرانية ، التى ينبغى النهوض بها . لذلك أمرنا بإعداد ميزانية للدولة ، تعرض على مجلسكم ، لمناقشتها وإقرارها ، وأمرنا بجعلها ثلاثة أقسام قسما لموازنة دوائر الدولة ومصالحها ، وقسما ثانيا يخصص للمشاريع الإصلاحية العمرانية التى ستعرض على مجلسكم لإقرارها ، وقسما آخر للاحتياط والطوارىء .

١٠ — وبالنظر لرغبتنا فى تعاون شعبنا معنا فى كل مايتعلق بماله مصلحة فيه ، أمرنا أن يكون فى كل بلد من بلداننا ، مجلس إدارى ، يجتمع برياسة أمير البلدة وقاضيها ، مع رؤساء الدوائر ، ووجهاء البلد ، لبحث الأمور التى تتعلق بمصلحة البلد نفسها ضمن نظام مخصص لذلك .

كما أمرنا بتعميم تأسيس مجالس بلدية ، تنظر فى الشئون البلدية ، للنهوض بكل بلدة ، بما يصلح شأنها ، ويقوّم عمرانها .

و بالإضافة إلى ذلك ، قد قررنا وضع برنامج مستقل ، موزّع على سنوات خمس ،

للمشروعات الكبرى ، للإنشاء والإصلاح والتعمير ، وسيعرض عليكم عند إعداده ، للمناقشة والموافقة عليه إن شاء الله .

ولتأمين سير العمل بدقة أمرنا أن يؤسس بين دوائر هذا المجلس ، ديوان للمحاسبة العامة ، سنكون نحن المرجع الأعلى له ، وسيتولى أمر هذا الديوان مراقب عام ، بصلاحيات نص عليها فى نظام هذا المجلس ، يراقب جميع واردات الدولة ومصاريفها .

كما أمرنا بتشكيل ديوان تابع للمجلس ، سميناه (ديوان المظالم) ، وسنحيل إليه كل شكوى ترفع إلينا ، وكل مَظْلِمة نراها ونخبر عنها ، ليقوم بالتفتيش والتحقيق فى كل دائرة من دوائر الحكومة ، لإعطاء كل ذى حق حقه، وليطمئن شعبنا بأفراده وقبائله، أن بابنا مفتوح لسماع شكواه ، وإنصاف مظلومه .

وقد أمرنا بإنشاء شعبة فى هذا المجلس للخبراء ، لمعاونة المجلس فى النواحى الفنية لنشاط الدولة .

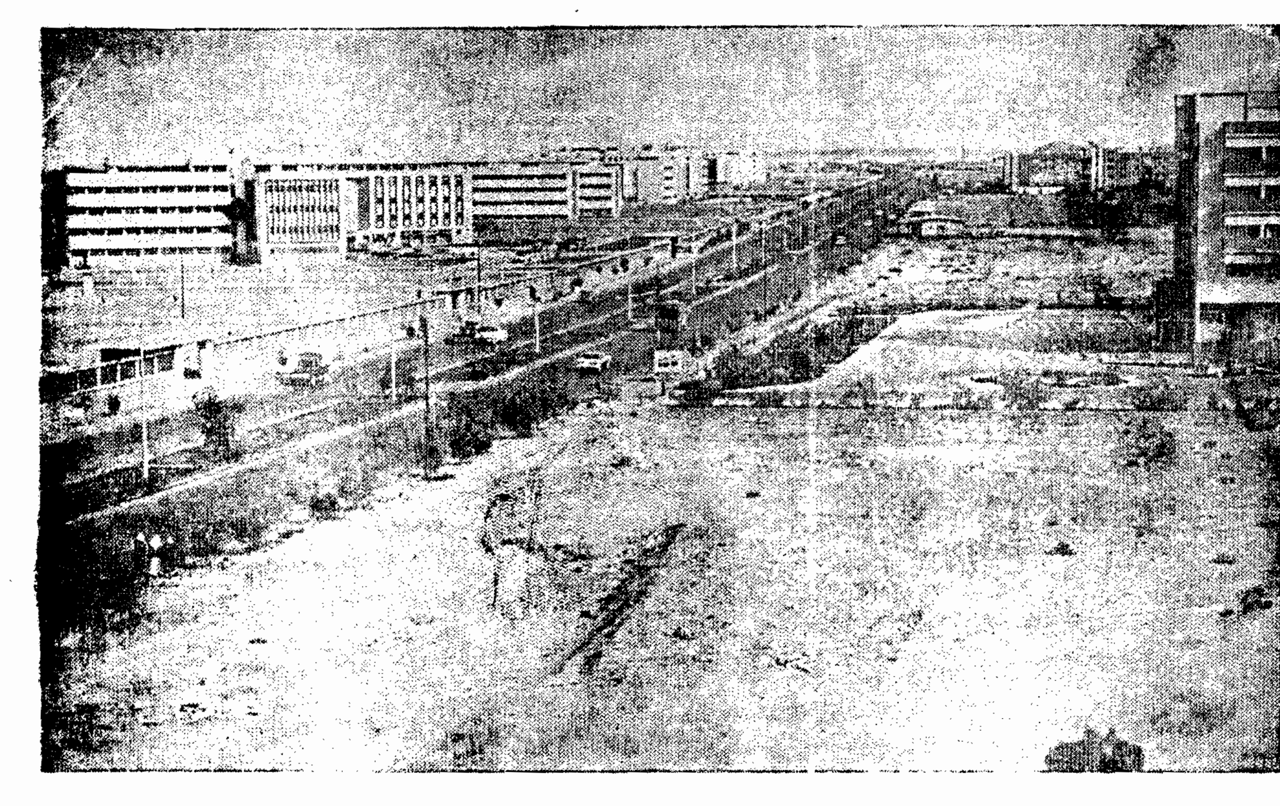
والذى نبتهل به إلى الله سبحانه ، وندعوه مخلصين ، هو أن يُمِدنا بعونه وفضله وتوفيقه للوصول إلى أهدافنا ، فيما يصلح أمرنا فى دنيانا وآخرتنا، إنه تعالى سميع مجيب ، وهو نعم المولى ونعم النصير.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته » .

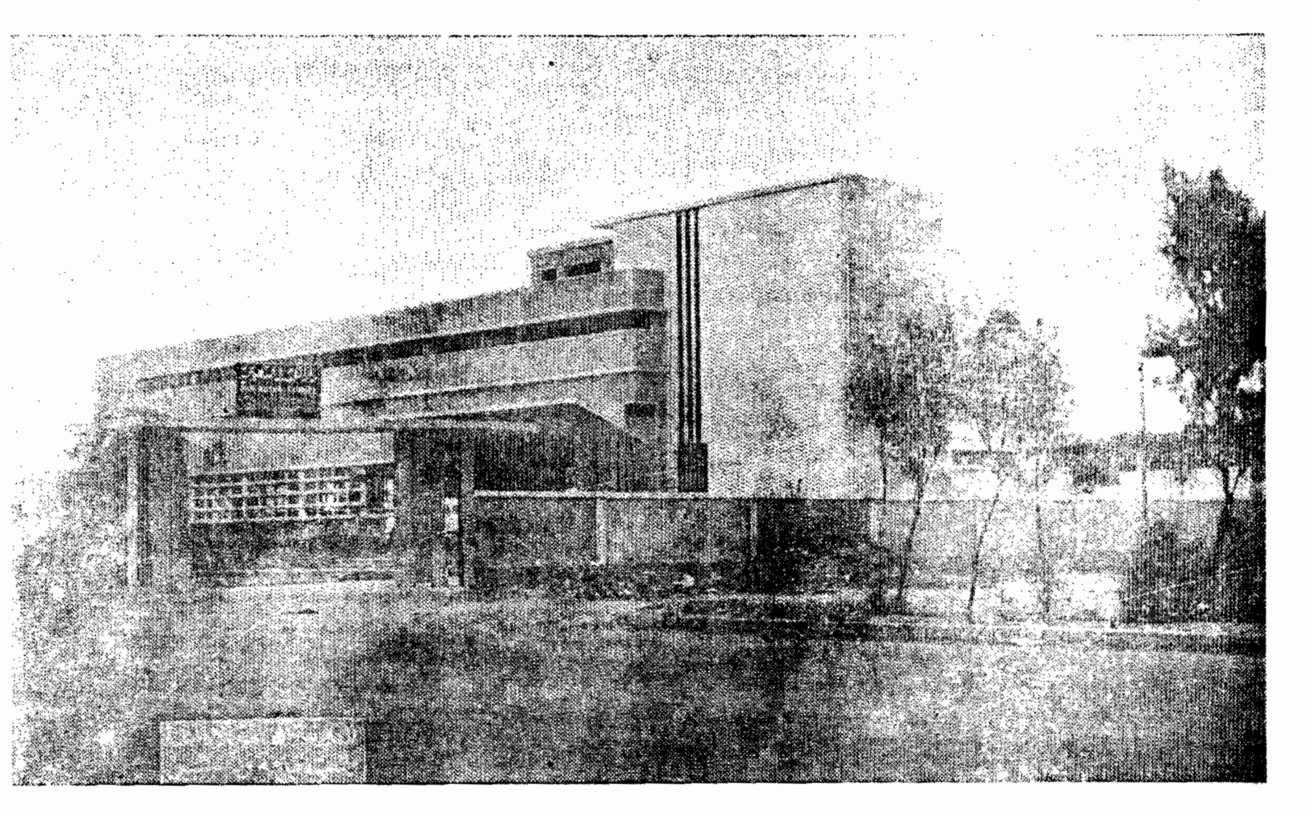
* * *

كان الأمل كبيرا فى مجلس الوزراء الجديد ، وكان الأمل أكبر فى أن ينهض المجلس الجديد بمهامه ، ويحقق الآمال التى كان يترقبها الناس .

فى جميع أقطار العالم تتولى مجالس الوزراء السلطة التنفيذية ، ولكن المجلس الجديد ، تولى بالفعل سلطتى التشريع والتنفيذ :



حي الوزارات بشارع المطار في مدينة الرياض



ا الكتب السعودية (قرب جامعة الملك سعود) بالرياض

صورة لجر سيارة غاصت فى الرمال قبل تعبيد الطرق الحديثة عام ١٣٥٨ هـ = ١٩٣٨ م

وبالرغم من أن المجلس اضطلع بعمل هام في وضع النظم للأدوات المختلفة ، فإن الناحية التنفيذية كان يلازمها النقص والتقصير ، وكان بعض الوزراء يهرب من المسئولية الملقاة على عاتقه ، فأحيانا يلجأ إلى جلالة الملك ، وأخرى إلى رئيس المجلس . أما من الناحية المالية ، فقد تجاوزت نفقات الدولة مواردها كثيرا ، حتى اضطرت إلى عقد قروض كثيرة ، بضمان شركة الزيت ، وما كادت سنة ١٣٧٧ هـ تدخل ، حتى رأينا انهيارا في قيمة الريال السعودى ، وتزعزعت الثقة في النقد ، بل في الحكومة نفسها .

لا شك أنه كان هنالك تبذير كبير في المباني الحكومية ، والقصور الملكية ، وتخطيط « الرياض » ، وغيرها من المشاريع التي لا تخلو من فائدة ، والتي كان يمكن أن تتم في عشر سنوات ، بدلا من ثلاث ، وقد كان بالإمكان أن يستمر هذا التدهور ، لولا عناية الله ، ويقظة جلالة الملك وولى عهده .

لقد رأوا أن يستعينوا بذوى الخبرة ، لإصلاح الحال المالية ، وإرسائها على قواعد ثابتة ، فاستعانوا بالبنك الدولى ، الذى أرسل إليهم اثنين من الخبراء ، هما : الأستاذ «أحمد زكى سعد » المصرى ، والأستاذ « أنور على » .

فدرس الاثنان حالة البلاد المالية ، وسبب التدهور ، ووضعا تقريرهما الأول ، وهو يحمل اللوم الشديد على من تولوا الشئون المالية ، والذين لجئوا إلى القروض الأجنبية كلما أعوزهم المال ، إلى أن وصلت الحكومة إلى ما وصلت إليه من التدهور . والتقرير الحالى الذى نشر في (١٥ من رجب ١٣٧٨ = ٢٥ يناير ١٩٥٩) يصف الحالة أصدق وصف ، فهو وصف خبير مدقق ، درس الحالة المالية من جميع نواحيها ، ولذلك رغبنا في نشره ، ليكون سجلا تاريخيا لهذه الحقبة من الزمان .

وفيما يلي نص التقرير ، نقلا عن جريدة « البلاد السعودية » :

«وصلت إلى الرياض بتاريخ (١١ جمادى الثانية سنة ١٣٧٨هـ ، الموافق ٢٣ ديسمبر ١٩٥٨م) بعد أن أخبرت بأن التقديرات المبدئية للموازنة قد تم إعدادها، أو أوشك، وأن مناقشتها في مجلس الوزراء ستبدأ عقب ذلك، تمهيدا للموافقة عليها في أول رجب، وهو التاريخ الذي حددته الحكومة لبدء العام المالى ، بدلا من أول المحرم . والسبب في ذلك التعديل يرجع إلى أنه وُجِد بالتجربة ، أن إعداد الموازنة ومناقشتها قبل أول المحرم، أمر يتعذر حدوثه ، نظرا لانصراف الحكومة إلى الأمور المتعلقة بالحج ، في الأشهر الأخيرة من العام الهجرى .

وقد تشرفت عقب وصولى إلى الرياض، بمقابلة حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم، الذى أظهر لى اغتباطه بما تم حتى الآن، من تقدم ملحوظ فى أمور البلاد النقدية ، وأظهر كعادته استعداده للتضحية بكل مرتخص وغال ، فى سبيل إسعاد شعبه الكريم ، وكلفنى بالتعاون مع حكومته ، إعداد الموازنة ، وإنجازها فى المواعيد المقررة لها .

وقد سألنى جلالته عن رأيى فى الحالة الاقتصادية فى البلاد ، فأظهرت له اغتباطى بما تحققته من مطالعة التقارير ، التى ترسل إلىّ تباعا فى واشنطن ، من مؤسسة النقد العربى السعودى ، وماشاهدته فى أثناء زيارة عابرة ، فى ربيع الثانى الماضى ، من تقدم عجيب ، يعود الفضل فيه ـ بعد الله ثم جلالة الملك ـ إلى حكومته ، فقد عالجت الأمور بحزم وعزم ، وأمرت بتنفيذ برنامج تدعيم النقد بدقة وعناية ، وقامت بما وعدت به فى بلاغها الرسمى ، الصادر فى ١٥ ذى القعدة سنة ١٣٧٧ ، من وضع حد نهائى للعجز المتواصل فى الموازنة العامة ، وإيجاد فائض ليس بالقليل يُرد كله إلى مؤسسة النقد ، تدعيما للنقد ، وتثبيتا له . وقد تم هذا فى الوقت القصير ، دون إخلال بالتوازن الاقتصادى فى البلاد ، فتخلصت المملكة من براثن تضخم مالى فظيع ، بغير أن تقع فى انكماش

اقتصادى خطير، وصمد الريال السعودى، ثم ظل يصعد حتى وصل الآن إلى (٤ر٥ ريالات) للدولار ، بعد أن كان (٤ر٦ ريالات) منذ عام واحد ، ولا نعلم لهذا النجاح من نظير فى كافة البلدان الأخرى . .

وفى نحو هذا الوقت من العام الماضى، كان الماليون الأجانب وأهل الرأى فى الشئون الاقتصادية الدولية ، فى ريب عظيم، من مقدرة هذه البلاد على وقف التدهور الاقتصادى، ومنع الانهيار التام .

ولكى نشرح مدى التقدم الذى أحرزته المملكة ، يجب استعراض الماضى القريب ، ومقارنته بالحاضر .

وإنى أذكر هنا أنه فى شهر شوال من عام ١٣٧٧ هـ رفعت تقريرا لجلالة الملك ولحكومته، بينت فيه خطورة الحالة المالية ، والخلل التام الذى أصاب الموازنة وأسبابه. ولا حاجة بى إلى الرجوع تفصيلا إلى هذا الموضوع ، فكله مبين فى التقرير السالف الذكر ، وإنما أقول : إن ماتحقق عن نفقات الدولة فى خلال الثمانية الأشهر الأولى من عام ١٣٧٧ ، كان يزيد على ما كان مقدرا صرفه نسبيا فى تلك المدة ، بأكثر من (٢٠٠) مليون ريال، وقد تسدد هذا العجز بطرق غير مقبولة ، أضرت ضررا بليغا بالنقد ، فقد أقرضت المؤسسة فى ذلك الوقت الحكومة ، (وهذا أمر يحرمه قانون المؤسسة نفسها) ١٠٠ مليون ريال ، أضيفت كلها إلى النقود المتداولة فى الأسواق ، بغير أن يكون لها مايقابلها من غطاء كامل ، فكان لذلك أسوأ الأثر فى انخفاض الريال ، وارتفاع الأسعار .

ومن جهة أخرى حصلت الحكومة على قروض جديدة بالدولار، مقدرة بالريال بنحو ٠٠٠ ر ٨٧٠ر٥٢ وذلك بدلا من سداد بعض ماعليها من قروض أجنبية (كما أوصيت بذلك) واستردت مادفع لفرنسا ثمنا لأسلحة سبق شراؤها ، ولم تسلم مبلغ

٣٣٫٧٥٠٫٠٠٠ ريال ، وأخيرا قضت الحكومة على الوفر الذى كان مخصصا لتدعيم النقد ، ومقدار ١٢٥ مليون ريال، قضاء كليا ، ولما تمض ثمانية أشهر من العام .

كل هذا وغيره ذهب بغير جَدْوَى ولا نفع ، وترك وراءه أبلغ الضرر ، من تضخم مالى ذريع ، وزيادة جديدة فى ديون الدولة ، من خارجية وداخلية . وكانت المؤسسة خاوية من الاحتياطى ، ومن غطاء النقد ، وليس بها إلا القدر اليسير من الذهب والفضة ، وليس بها نقد أجنبى أصلا ، بل كانت غارقة فى الديون ، وعليها التزامات جسيمة بالعملات الأجنبية ، وليس بها من النقد الخارج عن التداول ، سوى مبلغ ٣٠٤ ريال فقط .

وبالجملة ، فقد كانت الخزانة العامة خاوية ، والمؤسسة فى حالة عجز تام .

وفى شوال ١٣٧٧ قبضت الحكومة على زمام الأمر بيد قوية ، وقررت ألا يصرف إلا الضرورى اللازم ، وعلى شرط أن يكون هذا فى حدود الواردات العامة. وقد قدرت الواردات وقتئذ بحوالى ١٠٦ مليون ريال شهريا ، (أى حوالى ٣١٨ مليون ريال فى الثلاثة الأشهر الباقية) .

وقدر للحكومة النجاح ، فمرت تلك الأيام العصيبة بغير الالتجاء إلى وسائل عنيفة غير مرضية ؛ ولا إلى عقد قروض جديدة ، ولم يكن هناك من يقرض بلادا وصل حالها إلى تلك المرحلة ، بل لقد انتهت السنة ورصيد الحكومة لدى المؤسسة ٤ و ١١٧ مليون ريال ، كلها تحققت فى الثلاثة الأشهر الأخيرة من عام ١٣٧٧ .

وعلى ضوء هـذا الاستعراض للماضى القريب ، يجب أن تقارن الحالة فى الوقت الحاضر .

وجاء العام الجديد (المحرم ١٣٧٨) ولم تنشر موازنة جديدة ، واكتفى بمراقبة النفقات العامة مراقبة صارمة ، حتى لا يصرف غير الرواتب والأجور ، إلا ما كان ضروريا لامفر منه ، واقتطع الكثير من البَذَخ والترف والإسراف .

وكانت نتيجة ذلك أنه فى خلال الستة الأشهر، من المحرم إلى أول رجب، زادت الواردات على النفقات، بما قدر بنحو ١٠٥ر٥ مليون ريال سعودى، إذا أضيفت إلى ال ١١٧ر٤ مليون ريال السابق ذكرها، أصبح المجموع حوالى ٢١٣ مليون، دفع منها إلى مؤسسة النقد العربى السعودى، مبلغ ١٩٧ر٥ مليون ريال، بالإضافة إلى ما يقرب من ١١٦ مليون ريال حققتها المؤسسة من أرباحها فى السوق الحرة، فى نحو ستة أشهر، بدأت من أواخر ذى الحجة سنة ١٣٧٧، فيكون مجموع مارد إلى المؤسسة فى المدة المذكورة، هو ٣١٣ر٥ مليون ريال، وهو أكثر بكثير مما كان منتظرا وروده إليها فى عام بأكمله. وقد كان لهذا الوفر الكبير أثره الفعال فى قوة العملة وكيانها، وارتفع غطاء النقد إلى أكثر من ٥٠ فى المئة من النقد المتداول، فى أوائل الشهر الماضى، بعد أن كان منذ بضعة أشهر ١٤ فى المئة فقط، وهو غطاء هزيل، غير كاف كلية لحماية النقد، وعلى الأخص أن المؤسسة كانت مستغرقة بالديون والالتزامات، بالعملات المحلية، وبالعملات الأجنبية.

ولثقة الناس فى مقدرة الحكومة على منع الريال من التدهور، ولظنهم أنها قد تستمر فى رفع قيمة الريال تدريجيا، عمد كثير منهم إلى تخزين الريال، واقتراض مايلزمه من العملات الأجنبية، على أن يسددها فى شهور مقبلة. ولذلك شح الريال فى الأسواق، غير أن الحكومة تراقب الحالة عن كثب، وإذا لزم الأمر، فستتخذ الإجراءات اللازمة لمواجهة هذه الحالة فى الوقت المناسب.

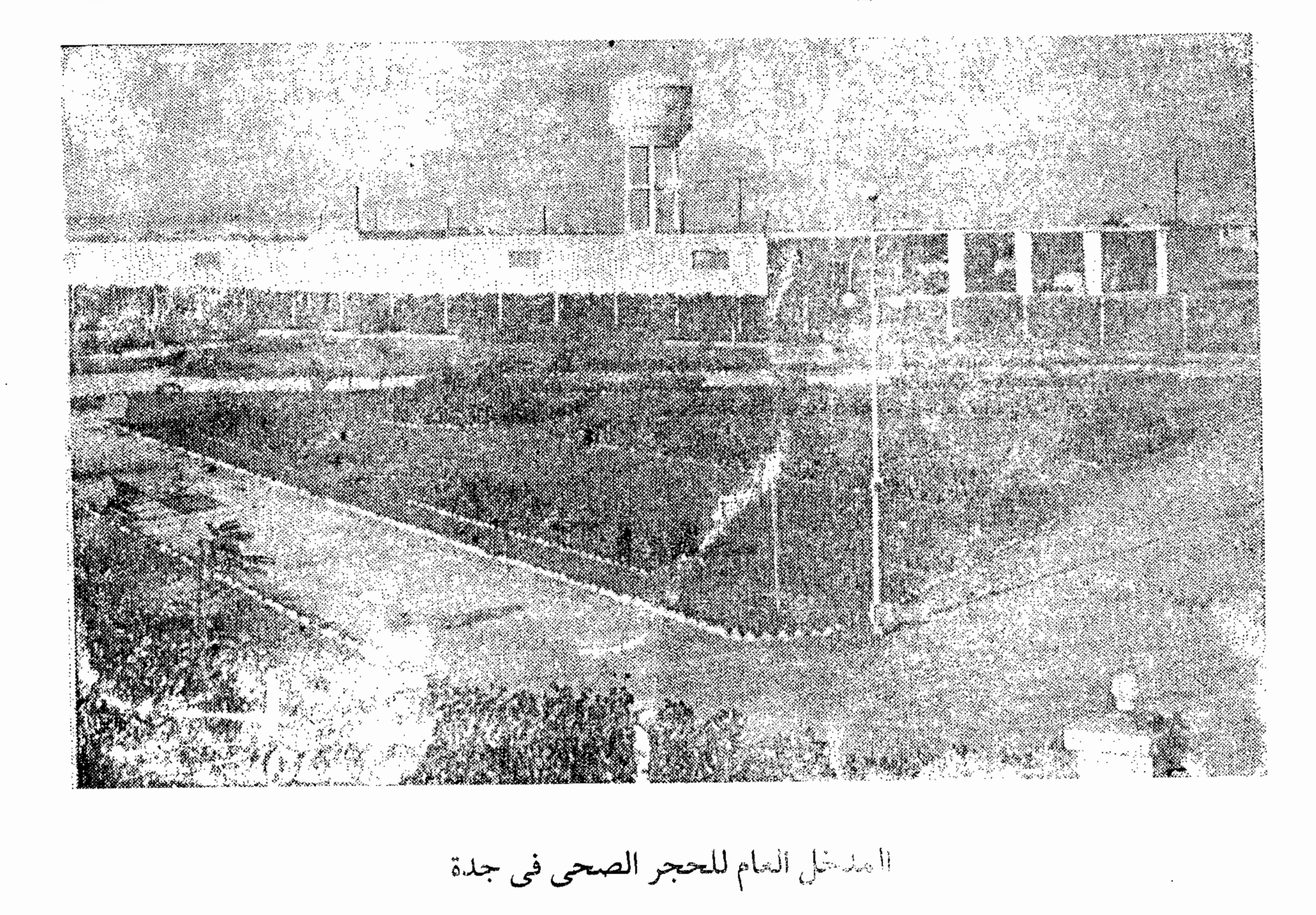
أما الديون العامة، من محلية وأجنبية، فقد تم حصرها، تمهيدا لسدادها بطريقة منظمة، على أقساط معقولة. وقد خُصِّص في الموازنة العامة مبلغ ١٣٠ مليون ريال، لسداد ديون المؤسسة، وبعض الديون العاجلة، التى لا تحتمل التأخير، ويضاف إلى هذا المبلغ ما تستحقه المؤسسة من عملياتها فى السوق الحرة، وكذلك مايزيد فى الواردات وما يتوفر من النفقات العامة..

وقد صدرت الموازنة هذا العام فى ميعادها ، بعد أن دُقِّق فى جميع بنودها تدقيقا عظيما ، وأهم مايلفت النظر فيها ، هو النقص الكبير فى موازنة الخاصة الملكية ، فقد أمر جلالة الملك بتخفيض مصروفاتها ، تخفيضا كبيرا ، وتنازل ـ حفظه الله ـ هو وباقى أفراد الأسرة المالكة ، عن جزء كبير من مخصصاتهم . ولا يزال البحث دائرا حول إمكان تخفيض آخر فى الفوائد السنوية ، والمخصصات الذاتية ، سواء أكان ذلك خاصا بأفراد الأسرة الملكية، أم كان بالنسبة لغيرهم ممن يتناولون مبالغ أخرى بالإضافة إلى رواتبهم، فى أغلب الأحوال .

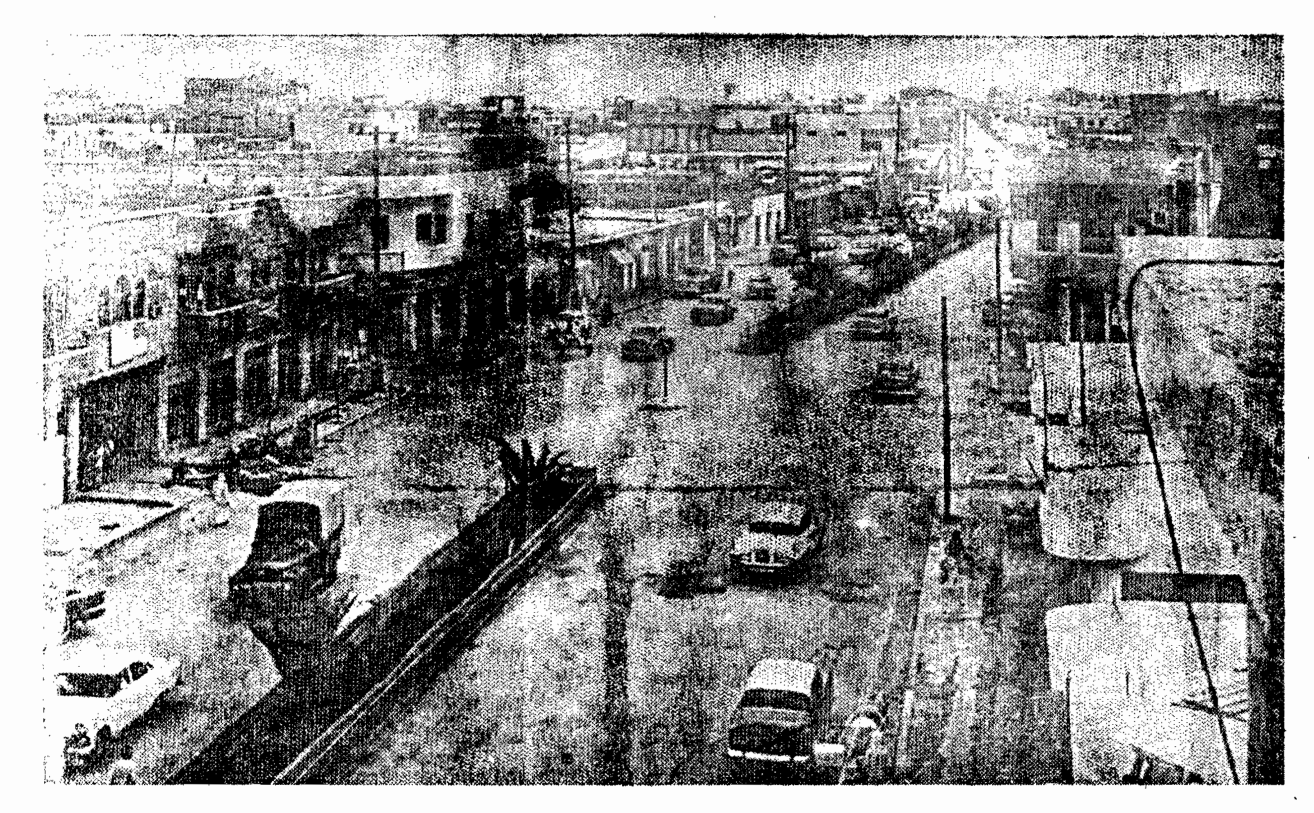
وقد خصص فى الموازنة مبلغ ٥٥ مليون ريال للمشاريع العامة ، ولايشمل هذا المبلغ المشاريع الأخرى ، الخاصة بالوزارات المختلفة ، وهى كثيرة ، وستنشر الحكومة بيانا بجميع المشاريع قريبا .

ونرى أن المبالغ التى خصصت للمشاريع ، فيها الكفاية فى هذا العام ، ولا يمكن زيادتها بغير المخاطرة ببرنامج تدعيم النقد فى هذه المرحلة الدقيقة ، التى يجب أن توجه فيها الجهود لتخفيض أكبر مبلغ ممكن اقتصاده ، بدون إضرار باقتصاديات البلاد ، لسد ديون المؤسسة ، وتغطية النقد ، وبغير نقد سليم لايمكن لمشروعات إنتاجية أن تدوم أو تثمر .

وأخيرا ، فإنه مع اغتباطى بما شاهدته من تقدم عظيم فى حالة البلاد، وما رأيته من سيرها فى طريق النجاح بخطا واسعة ، أقول : إن الطريق لا يزال طويلا وعرا ، محفوفا بالمخاطر ، يقتضى دوام اليقظة والانتباه ، وتمحيص الأمور ، وفحصها على أسس فنية سليمة . وينبغى ألا يفوتنا أنه لا يزال على الحكومة لمؤسسة النقد وحدها نحو ٣٦٥ مليون ريال ، منها ٢٩٥ر٥ مليون ريال تنقص من غطاء النقد ، هذا غير مئات الملايين من الريالات ، من الديون المحلية والأجنبية الواجبة الأداء ، وكلها أموال اقترضت علاوة



المدخل العام للحجر الصحى فى جدة



أحدث أسواق الرياض الآن

على واردات الدولة الضخمة ؛ وذهبت مع الريح ، ولم تستفد منها البلاد شيئا، وعليها الآن أن ترزح تحت أعبائها حتى تعيدها كاملة .

والفترة التي تجتازها البلاد الآن ، هي بداية تحول خطير في سياسة البلاد المالية والنقدية ، ونحن على يقين أن الجميع سيتكاتفون لتنفيذ برنامج تدعيم النقد ، ويقبلون التضحيات التي يستلزمها مثل هذا التحول ، عن طيب خاطر ورضا ، ما دام أن العاقبة هي الاستقرار التقدمي ، وهو أساس كل رخاء اقتصادي ، وتقدم اجتماعي » .

الرياض في ١٣٧٨/٧/٨ — ١٩٥٩/١/١٨ «زكي سعد»

•••

إن كل ما نستطيع أن نكتبه الآن ونحن نكتب للتاريخ ، أنه بالرغم من الأخطاء التي وقعت ، لا يستطيع المؤرخ إلا أن يذكر مع الثناء ، الأعمال الإصلاحية التي قامت بها المملكة ، في الخمس السنوات الأخيرة، سواء منها ما كان في ناحية التعليم، أو في إنشاء الطرق والمستشفيات ، ولكن لا يزال الشيء الكثير من الإصلاحات التي تتطلبها البلاد منتظرا . كما أن هنالك مجالا واسعا للإصلاح الإداري ، فالجهاز الإداري قديم ، لا يتفق مع العصر الذي نعيش فيه ، ولا مع التطور الذي حققته البلاد .

إن كل ما نرجوه للبلاد العربية السعودية ، أن يطّرد فيها الرخاء واليسر والازدهار، وأن تتبوأ مكانها اللائق بها في رَكْب الحضارة. والبلاد العربية التي كانت مَهبِط الوحي، والتي شع منها نور العدل والحق والمساواة بين العالم ، ليس بعزيز عليها، ولا بغريب منها ، أن تكون مصدر نور روحي جديد، بعد ما طغت على العالم المادة وحدها .

سدد الله الخطا ، ووفق العاملين لخير الأمة العربية إلى سبيل الرشاد .

(وقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُه) .

والله يهدي من يشاء إلى سواء السبيل .

ميلاد الجامعة العربية

كان الاتحاد العربى ، أو الوحدة العربية ، أمل كل عربى ، بعد أن ذاق العرب الأمرّين فى احتلال الأتراك لبلادهم . واتخذ ظهر هذا الاتحاد بصور مختلفة .

ففى الحركة السعودية الأولى، ظهر هذا الاتحاد فى شبه الجزيرة، ولكن القوات السعودية اصطدمت بالقوات التركية فى العراق وسورية ، فوقفت عند حدود هذين الإقليمين ، وقد قُضِى على هـذه الحركة فى ١٨١٨ بغزوة إبراهيم باشا لنجد .

وأراد محمد على أن يكوّن اتحادا آخر بين مصر وفلسطين وسورية ، ولكن أوربا تألبت عليه ، وأرجعته إلى مصر .

على أن هنالك حركات استقلالية محدودة ، كانت تقوم من وقت لآخر فى اليمن وسورية ونجد ، وغيرها من شتى البلاد العربية .

وبالرغم من أن مصر كانت ملجأ لأحرار العرب والأتراك على السواء ، فإن زعماءها على اختلاف آرائهم السياسية ، قد حصروا جهودهم فى التخلص من النّير البريطانى الملقَى على كواهلهم ، أما متعلمو العرب وزعماؤهم، من عراقيين وسوريين، أمثال الزهراوى ، والسيد رشيد رضا ، والكواكبى، وعزيز المصرى، وياسين الهاشمى، وجعفر العسكرى، ورفيق العظم وغيرهم - فكانوا يرون أن البلاد العربية يجب أن تستقل، وأن تدير شئونها بنفسها، ولم يكن أحد من هؤلاء الزعماء يسعى لفصل بلاده فصلا تاما عن تركيا، لأن الرأى العام الإسلامى فى تلك البلاد وفى غيرها ، كان متأثرا بالشعور الدينى ، ولأن العامة فى البلاد العربية كان ينقصهم الوعى القومى .

كان العرب فى حاجة إلى زعيم سياسى شجاع وقائد حكيم ، يرضى عنه جمهور المتعلمين ، ويتبعه جمهور العامة .

لقد اشتدت الحاجة إلى هذا القائد ، حينما أعلنت تركيا الحرب على الحلفاء ، وكان الواجب يقضى على زعماء العرب وقادتها تقرير مصيرهم ، على ضوء المصلحة العامة .

غير أن الحكومة البريطانية لم تترك هذه الفرصة تفلت من يدها . وكان هنالك تيارات : تيار حكومة الهند ، يفضل أن تكون القيادة للأمير عبدالعزيز بن سعود . ووزارة الخارجية البريطانية تفضّل أن تكون قيادة الثورة للشريف حسين وأولاده ، لقربه من العالم المتمدن ، ولأن للحجاز مركزا عظيما محترما فى نفوس المسلمين . فبعد مكاتبات متبادلة بين الشريف حسين والمندوب السامى بمصر ، أعلن الشريف ثورته على الأتراك (ويسميها النهضة) . غير أن الشريف حسينا لم يكن الزعيم الموفق لقيادة حركة خطيرة مثل هذه الحركة ، إذا وُوزن بزعماء بولونيا وتشيكوسلوفاكيا ، فلم يستشر أحدا من زعماء العرب وحكامها ، ولا من قادة الرأى فيها ، فباءت حركته بخذلان كبير ، وإخفاق ذريع ، ووقعت البلاد العربية تحت الانتداب البريطانى ، وأعطى (بلفور) وعده المشهور للصهيونيين ، وكان هذا الوعد أول حجر فى بناء الدولة الصهيونية ، وتفككت الروابط التى كانت تربط الأقاليم العربية ، ولاسيما الروابط الاقتصادية .

لم تكن هنالك حواجز جمركية ولا جوازات ، وبالرغم من هذه الخيبة ، فإن الآمال لم تزل تراود الشعوب العربية فى الاتحاد بأية صورة ، ولكن الحكومات الأجنبية المسيطرة كانت العقبة الحقيقية .

وفى سنة ١٩٢٥ تم لسلطان نجد توحيد شرقى الجزيرة وغربيها ، فكان ذلك اتحادا موضعيا ، ولكنه اتحاد محبوب ، ولولا وجود الإنكليز فى العراق والأردن ، لتمكن سلطان نجد من جمع شمل هذه الأقاليم مع الجزيرة العربية ، ولكن الإنجليز صخرة عاتية ،

لا يستطيع ابن سعود أن يزيلها من طريقه ، ففضل أن يتفاهم ويتعاون مع جيرانه ، فى كل مايعود على العرب بالخير .

وفى سنة ١٩٣٤ مررت بالعراق كعادتى ، وكان يرأس الحكومة إذ ذاك السيد على جودت الأيوبى ، فاتصلت بالحكومة القائمة ، وبالزعماء العراقيين ، مثل المرحوم السيد ناجى السويدى ، وياسين باشا الهاشمى ، وحكمت سليمان ، وسواهم من قادة الفكر ، وعرضت عليهم مشروعا ابتدائيا ، يمكن أن يكون نواة لاتحاد عربى ، يتلخص فيما يلى :

(١) توحيد سلاح الجيش .

(٢) رفع الحواجز الجمركية .

(٣) إلغاء جوازات السفر بين البلدين .

(٤) توحيد العملة .

(٥) توحيد البريد :

فرضى جميعهم هذه الاقتراحات ، ولكن ظروف البلدين لم تساعد على التغلب على العقبات .

وربما كانت أول خطوة قربت ميلاد الجامعة العربية ، هى اجتماع الحكومات العربية فى مؤتمر فلسطين ، الذى عقد بلندن سنة ١٩٣٨ وأوائل سنة ١٩٣٩ ، وتعاونها وتضامنها لحل قضية فلسطين ، ولولا المنافسة الحزبية بين محمد محمود رئيس الحكومة فى ذلك الوقت ، وعلى ماهر رئيس الديوان الملكى ، لكان للمؤتمر نتيجة عملية ، خير من النتيجة التى انتهى إليها .

لقد كان من رأى محمد محمود والملك عبد العزيز ورأى على ماهر ، قبول الكتاب الأبيض ، وعدم التعجل برفضه ، ونصح السيد أمين الحسينى الزعيم الفلسطينى بقبوله ،

ولكن السيد جمالا الحسيني رسول السيد أمين ، وكانت تربطه رابطة صداقة بنوري السعيد ، أخبر نوريًا السعيد بأن الملك عبد العزيز رفض الكتاب الأبيض ، مع أن الملك عبد العزيز لم يقبل الكتاب ولم يرفضه ، بل ترك الباب مفتوحا ، وجاءت الحرب العالمية الثانية، ومرت أيام حالكة على بريطانيا بعد استسلام فرنسا، حتى ظن كثير من الناس أن بريطانيا قد انتهى أمرها ، ولكنها أخذت تَضْمِد جراحها ، وتصوب لإيطاليا الضربة تلو الضربة ، فحُررت سورية من حكومة « فيشي » ، وفكرت فى أمر ترضى به شعور العرب ، ففي فبراير ١٩٤٣ سئل مستر إيدن فى مجلس العموم : هل اتخذت الحكومة البريطانية أية خطوة لتحقيق تعاون اقتصادى وسياسى أكبر ، بين الدول العربية فى الشرق الأوسط ، تمهيدا لإنشاء اتحاد عربى فى النهاية ؟ فأجاب بأن الحكومة البريطانية تنظر بعطف إلى أية حركة بين العرب ، ترمى إلى تحسين وحدتهم الاقتصادية والثقافية والسياسية . ولكن من الواضح أن المبادرة بأى مشروع من هذا القبيل ، يجب أن تصدر من العرب أنفسهم .

ولم يكن هذا أول تصريح للمستر إيدن إذ سبقه تصريح آخر سنة ١٩٤١ .

وقد دارت مشاورات طويلة بين الحكومة المصرية ، التى كان يرأسها مصطفى النحاس ، والحكومة العراقية ، التى كان يرأسها نورى السعيد ، حتى ظن بعض رؤساء الحكومات الأخرى ، أن الأمر سينحصر بين الحكومتين .

على أنه فى الوقت الذى كان نورى السعيد يبادل فيه الحكومة المصرية آراءه ، كان يبحث فكرة تكوين الهلال الخصيب مع (مستر كايسى) وزير الدولة البريطانى فى مصر ، وقد طبع كُتيبا سريا ضمنه مراسلاته وآراءه فى هذا الموضوع ، وأرسله إلى بعض أعضاء البارلمان البريطانى، المهتمين بشئون الشرق الأوسط؛ وقد وقع فى يدى نسخة منه أطلَعَت زميلى الدكتور حسن نشأت عليها ، كما لخصتها لجلالة الملك عبد العزيز ،

الذى لم تـكن تنام عينه عن نشاط الهاشميين وقدأرسل إلىّ جلالته فى هذه الأثناء البرقية الآتية ، التى تدل على بَلْبلة فـكره فى هذا الموضوع ، الذى بدأه البريطانيون ، وأراد أن يستغله نورى السعيد لغاية الهاشميين .

نص البرقية

هذه البرقية لحافظ ، لا أحد يطلع عليها غيره . وهى بشفرتنا الخاصة معه : « ما ذكرته فهمته . وإن الأخبار نحرص عليها هذه الأيام ، فواصلنا بها ، وأنت ماوراءك حُسوفة .

أما نورى السعيد وجماعته فمساعيهم غير خافية ، دعاية لأنفسهم ، حتى يسكت الناس عنهم فى العراق ، والواقع أن الناس لا تخفى عليهم مساعيهم . إن نورى يريد إلحاق سورية وفلسطين بالعراق ، وهذا أمر يتوقف على الحكومة البريطانية ، فإن كل أمر لا توافق عليه الحكومة البريطانية لا يمكن أن يتم .

نرجو منك أولا : أن تفيدنا بالأخبار الخاصة بهذا الموضوع ، دقيقها وجليلها . وثانيا : نحن كما تعلم أحرار ، لا نريد أن ندخل فى شبكة ليست لنا ، ولا للعرب مصلحة فيها .

نحن مستعدون أن نتعاون مع بريطانيا ، ونحافظ على مصالحها ما دامت مصالح العرب مصونة ، وهذا أمر أنت تعرفه ، كما أخبرنا الحكومة البريطانية عنه أكثر من مرة ، والعرب يعرفون هذا عنا .

إن الأمر يجب أن يكون واضحا كل الوضوح . كل حكومة حرة فى بلادها ، وليس لأحد غرض فى أحد، مصر لمصر، وفلسطين لفلسطين، وسورية لسورية ، والعراق للعراق ، والمملكة العربية السعودية للعربية السعودية ، واليمن لليمن ، ويجب أن يسود الوفاق بين الحكومات العربية ، وترك الجدل الذى ما فيه فائدة للعرب .

يجب أن يتولى هذا الموضوع رجال خالون من الأغراض، ولا يُدْخلوننا فى مشاكل مع بريطانيا أو غيرها من الدول، فنحن أحوج ما نكون إلى إصلاح أمرنا، ولَمّ شملنا، ونحن لا نريد خلق مشاكل لا نقدر على حلها.

احرص على أمرين:

الأول: ألا يطلع على هذا الموضوع غيرك.

الثانى: أن يكون كلامك كأنه من عندك، حتى يتضح الأمر، فغايتنا مصلحة العرب وراحتهم، ولا أحب فى الوقت الحاضر أن يكون بيننا وبين بريطانيا ما يعكر صفو الصداقة.

هذه تعليماتى، وهى سر عندك، لا يطلع عليه خاص ولا عام، والله يوفقك».

ولقد أخبرنى اللورد كِليرْن فى ديسمبر ١٩٤٣ أنه أخبر النحاس ونوريا السعيد، أنه يجب ألا يُهْمَل رجل الجزيرة، فالرجل له قدره، وخبرته، وبعد نظره.

وبذلك اتجهت مصر اتجاها صحيحا، فدعت الحكومات العربية، لإرسال مندوبيها. فاجتمع مندوبو الدول العربية كلجنة تحضيرية، فوضعت بروتوكول الإسكندرية، الذى ينص على تأليف جامعة للدول العربية، ويبين أغراضها، وقد أمضت هذا البروتوكول فى (٢٠ شوال ١٣٦٣ / ٧ أكتوبر ١٩٤٤)، فكان هذا البروتوكول أساسا لميثاق الجامعة العربية، الذى وافقت عليه الدول العربية فى (٢٢ مارس ١٩٤٥)، وتركت الباب مفتوحا للدول الأخرى، حتى يمكن أن تنضم إليه فى المستقبل.

وقد ظهر اتحاد الدول العربية وتضامنها فى الاعتداء على سورية ولُبنان من قبل، وكان لهذا التضامن أثره الفعال فى جلاء القوات الفرنسية عن هذين البلدين العربيين، كما ظهر أثره فى الاعتداء الثلاثى على بور سعيد.

وقد تعرضت الجامعة العربية ودولها لامتحان قاس فى الحرب الفلسطينية، ولكن

مهما كانت الخسائر المادية ، باحتلال جزء من الوطن العربى، وتشريد مليون من سكانه ، فإن هذا الامتحان القاسى قد خلق وعيا عربيا ، و بعث شعورا فياضا كان كامنا ، كما تعرضت مصر لامتحان أكبر، بالاعتداء الثلاثى على بور سعيد ، ولكن الإيمان بالله ، والثقة بقدرته التى لاتغلب ، وتضامن بعض الدول العربية مع مصر ، قد قلب المعركة فى جانب الدول العربية ، (وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ ، إِنّ اللهَ لَقَوِىٌّ عَزِيز) .

لقد انضم إلى الجامعة العربية ليبيا والسودان وتونس ومرا كش ، وغدا ستنضم إليها الجزائر المجاهدة إن شاء الله .

لقد قامت الجامعة بنشاط عظيم فى تنظيم إداراتها ، واتصالها بالوكالات المختصة بالأمم المتحدة .

ولا يزال أمام الجامعة طريق شاق طويل، للوصول إلى الهدف الأسمى، من اتحاد الدول العربية ، بصورة تتفق مع آمال الشعوب العربية .

على الجامعة أن تسعى دائما لتوثيق الروابط الاقتصادية ، فهى الدعامة الصحيحة للتعاون السياسى .

ولقد اتحدت سورية ومصر اتحادا كاملا ، كما انضمت اليمن إلى هذا الاتحاد ، فأصبحت الجمهورية المصرية تدعى «الجمهورية العربية المتحدة» ، كما اتحدت العراق مع الأُرْدُنّ ، ولكن قَضَى على هذا الاتحاد الثورةُ العراقية .

إن كل ما يتمناه كل عربى أن يرى العرب على الأقل متحدين فى الأهداف ، واقفين صفا واحدا أمام أى اعتداء يقع على أية دولة عربية .

وعلى الجامعة أن تسعى دائما لإزالة الجفاء الذى يحدث من حين إلى حين بين زعماء العرب وقادتهم ، فالتعاون الصحيح لايكون إلا بعد صفاء القلوب .

إن رائد الجميع هو قوة العرب ، ولاقوة بغير اتحاد . سدد الله خُطا الجميع ، ووفقهم إلى سبيل الرشاد .

لقد رأينا البلاد العربية قبل الحرب العالمية الأولى وبعدها ، ورأيناها قبل الحرب العالمية الثانية وبعدها ، ونراها الآن مقبلة على مستقبل باهر ، وشتان بين الروح العربية فى سنة ١٩١٤ وبينها الآن. إن أكثر البلاد العربية قد استقلت،ونزح الأجنبى عن بلادها، وأصبحت ترسُم سياستها على ضوء مصالحها ، ولكننا لا نزال نؤمل مزيدا من التطور والتقدم ، يتفق مع العصر الذى نعيش فيه ، وما ذلك على قادتنا بعزيز .

ملحق

الرسائل الصادرة عن جلالة الملك « عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل آل سعود » والواردة إليه ، من المؤلف وغيره ، مما له علاقة بموضوع الكتاب ، غيرما تقدم فى تضاعيفه .

١

من المؤلف، إلى جلالة الملك

عرض على جلالته بعض مقترحات، لإصلاح الشئون الداخلية للمملكة

بسم الله الرحمن الرحيم

الكويت فى ٢١ ذى الحجة سنه ١٣٤١ هـ

حضرة السيد الإمام، وفخر العرب الكرام، السلطان عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، حفظه الله.

أيها السلطان:

يتقدم إليكم رجل مصرى عرفتموه فى الكويت قبل بضع سنوات، بإسداء النصيحة، قياما بواجبه نحو الله وملته، وشعبه وجنسه. كى تعلموا أنى من المشتغلين بالمسائل الشرقية والإسلامية والعربية، منذ خمسة عشر سنة. وإنى لم أكتب إليكم قبل الآن، لأنى لم أكن على علم تام بنياتكم الحسنة، وأفكاركم البعيدة المرمى، ولما درست أحوالكم من بُعْد، على قدر ما سمح به وقتى، وما اتصلت به خبرتى، رأيت بعد إمعان الفكرة، الكتابة إليكم بأفكارى، وذلك بعد درس هذا المحيط السياسىّ. وهذه الآراء وإن كانت تُرَى صعبة أو خيالية، أو بعيدة المنال، فإن عظمة الرجال، بعظم الأعمال.

أيها السلطان :

لقد درست أحوال أمراء العرب كلهم، فى الكويت والبحرين وعُمان ومَسْقَط ، وإمارات الشِّحر ومَكَلّا و بعض ولايات اليمن ، فلم أجد فى أحد منهم مايصبح الاعتماد عليه، بل لم أجد أحدا منهم يفكر فى مستقبله الخاص ، فضلا عن مستقبل العرب أو المسلمين. والرجل الوحيد الذى يصح أن يتولى زَعامة العرب فى الجزيرة، هو فى نجد اليوم ، هذا الرجل الذى يستطيع أن يحافظ على استقلال العرب ، وشرف العرب ، ويستطيع أن يبقي الجزيرة وداخلية العرب محافظة على حياتها ، بعيدة عن متناول يد المستعمرين ، هو عبد العزيز بن سعود سلطان نجد اليوم .

أيها السلطان :

أظن أنه لم يخف عليكم من اطلاعكم على مشاكل العرب ، أن بعض الدول تحاول أن تنال من العرب والإسلام، ولكن لا بالجنود المسلحين، بل بأذنابها وسماسرتها يحاولون النيل من العرب ، والسيطرة على بلاد العرب ، بآلات وضعوها فى الحجاز والعراق وشرقى الأردن ، أى بالشريف وأولاده ، أولئك الذين اتخذوا منهم سياجا حول جزيرة العرب ، لينالوا بهم مالا يستطيعون نيله بالسيف والنار .

لقد عرفوا فيكم الأنفة والغيرة ، وإن حيل المستعمرين لا تفوت عليكم ، وإن عين الله لا تنام (وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ) .

إن الشريف وأولاده ليسوا بأعداء لكم فقط، بل هم أعداء أنفسهم، وأعداء للعرب عامة ، والمسلمين كافة ، فالعمل لاستئصالهم عمل لإحياء الجسم ، يقطع بعض الأعضاء الضارة ، التى يخشى من سريان ضرره للجسم كله .

أيها السلطان :

إنكم — مهما أوتيتم من العقل، والحذر، و بعد النظر، وحدة الذهن، رجل واحد،

تعجزون عن إدارة هذا الملك الواسع ، الذى يحتاج إلى أيد كثيرة لتحفظه دهرا داهرا ، لا لتحفظوه لأولادكم وحدهم ، بل لتحفظوه للمسلمين ، فإن اليوم الذى ستصاب الجزيرة فيه بضرر ، هو الذى سيكون فيه القضاء الأخير على العرب ، بل على الإسلام . فماذا فعلتم ؟ أو ماذا أنتم فاعلون ؟

أيها السلطان :

إنى حين أكتب إليكم أرانى مدفوعا بروح المحبة والغيرة على دينى وجنسى ، فإن رأيتم فيما أكتب به إليكم صلاحا ، فالحمد الله على فضله ، وإلا فالأمر لمن بيده الأمر وحده .

وسأضع أرقاما مسلسلة لكل فكرة ، وأشرحها بالإجمال :

١ — نشر الدعوة

اعذرنى أيها السلطان إذا قلت : إن أكثر المسلمين فى الهند ومصر وسائر الأقطار الإسلامية ، لايعرفون عن نجد شيئا يذكر ، ولا يعرفون ما تصرفونه من الجهد العظيم لخدمة العرب والإسلام ، بل إن معلوماتهم مُهَوَّسة مضطربة ، فإن كلمة نجدى فى الهند قرينة لكلمة « مبتدع » أو « ملحد » . وسبب ذلك أن أعداءكم من قديم ، شوّهوا تعاليم نجد الدينية ، ومقاصدها الإصلاحية ، وألبسوها لباسا ينفر منه سائر الناس .

ما الفائدة من نشر الدعوة ؟

الغرض من نشر الدعوة هو إفساد الخطة المدبرة التى يبثها الشريف وأولاده ، و بيان الإصلاحات الدينية التى تحدث فى نجد ، و بذلك يعرف العالم مقاصدكم ونياتكم . و إنى أعتقد تمام الاعتقاد أن العالم سيمطركم بوابل من الأمانات والتبرعات ، لأن القضاء على الشريف وأولاده ، إنما هو قضاء على تلك القوة المستترة التى تؤيده .

إن مصطفى كمال لم يحز ما حاز من الشهرة ، إلا بنشر الدعوة ، وبث الدُّعاة في مصر والهند وسائر الأقطار الإسلامية .

وبنشر الدعوة يمكن أن يكون لكم أصدقاء من الأحرار في الهند ومصر، ويمكن أن يقوموا لكم بخدمات عظيمة لا تقدر .

٢ — الإصلاح المالي

تعلم عظمتكم أن أساس كل عمل إنما هو المال ، وأن الشعب أو الدولة التي لا تملك من المال شيئا ، لا تملك من وسائل العمل شيئا ؛ فالعامل والتاجر والملك يجب أن يفكروا في كيفية تدبير المال ، وإذا كانت أبواب الإنفاق تزيد بكثرة على أبواب الدخل ، فالمستقبل يحتاج إلى تدبر وتفكر ، وإلا فالاستقلال السياسي مهدَّد ، والحياة في خطر .

أما وسائل التدبير المالي ، فتكون بوضع الضرائب المعتدلة ، التي لا تُرهق الشعب ولا تحول دون إنماء الثروة . وأنواع الضرائب كثيرة ، لا محل لتفصيلها ، ولكن ربما كانت غير كافية لأبواب الصرف ، التي تحتاج إليها البلاد ، وحينئذ يجب التفكير في استغلال الأرض ، لأنها منبع ثروة عظيم ، يمكن الانتفاع من ظاهرها بالمزروعات المختلفة التي تلائم الجو والتربة ، والبحث عن الأسواق التي يمكن تصريفها فيها . وذلك كله سهل على همة أمثالكم .

إن إقليم الحسا تتوافر فيه المياه ، وجودة التربة ، وخصب الأرض ، ولكن هنالك حاجة إلى الأيدي العاملة ، وبعبارة أخرى إلى السكان ، وهو أمر سهل إذا تحققت العدالة والأمن ، وهي من الأمور الممكنة في مملكة يديرها رأس مفكر مثلكم .

٣ — الجيش

إن نجدا بلاد عسكرية بطبيعتها، ولكن العسكر يحتاج إلى مال عظيم، ولابد أن يستفاد منه فائدة تعادل ماينفق عليه . إن نجدا لا تكون فيها حرب فى جميع الأوقات، فما قيمة هذا الجيش ؟ وما الفائدة التى توازى كثرة الإنفاق عليه ؟ أظن أنه لو كان لديكم مهندس خبير ، لاستطعتم أن تصلحوا الطرق العامة ، التى تحتاج إليها المواصلات ، و إذا أصلحت الطرق، فيمكن ربط البلاد بالتليفون، فإن نصف الحرب فى المفاجآت والسرعة .

وأعداؤكم يستخدمون أحدث الوسائل فى النقل ، فالواجب على الأقل ألا يتفوقوا عليكم فى هذه السبيل .

أما مسألة توفير السلاح والذخيرة ، وعدم الاعتماد على مصدر واحد ، فلابد أن عظمتكم تفكر فى ذلك كثيرا .

٤ — التعليم

إن نشر التعليم الدينى والدنيوى من الضروريات التى لايستغنى عنها فى البادية والحضَر ، وإن السنوسىّ فى المغرب قداستطاع تأليف القلوب كلها حوله ، بما كان يبذله فى نشر التعليم الدينى الأخلاقى ، فى الزوايا المنشأة فى الصحراء ، وإن من السهل إنشاء مدارس صغيرة فى كل قرية كبيرة ، على أن يقوم بنفقاتها أهل القرية ، ولكن يجب أن يكون منهج التعليم واحدا ، فإذا عمت القراءة والكتابة ، وذلك مضمون فى زمن يسير، أمكن إنشاء مدارس نظامية بالتدريج ، فيمكن مثلا إنشاء مدرسة حربية ، لتخريج ضباط مقتدرين من العرب ، ويمكن الاستعانة برجال من العرب أو الترك ، أما الفرنج فالأولى عدم الاستعانة بهم مادام فى المسلمين رجال ، و إذا حدثت ضرورة لاستخدام الإفرنج ،

فالأولى اختيارهم من الذين ليس لهم مطمع فى بلادكم ، مثل السويسريين والسويديين . وهذا بحث واسع لا يخفى تفصيله على فطنة عظمتكم .

٥ — السياسة الخارجية

ركنا السياسة الخارجية هما مصافاة الإمارات والممالك المجاورة ، مع المحافظة على الحدود الفاصلة، والعين الناظرة للسياسة الخارجية هم القناصل والسفراء ، فهم يطلعون على كل شيء، وينقلون إلى ممالكهم كل مايرونه مفيدا . ولا يخفي على عظمتكم أن جزيرة العرب قد قُسِّمت إلى إمارات صغيرة ، حتى تبقى دائما ضعيفة ، وحتى يسهل ابتلاعها واحدة بعد أخرى . وإن أكثر الإمارات المحيطة بكم، قد دخلت أو توشك أن تدخل حظيرة الاستعمار . ولذلك سيكون مركز نجد خطرا ، ومستقبلها فى غاية الخطورة ولكن السياسة دائما بنت الفُرص ، وهنالك ظروف وطوارئ متى استمسك الإنسان بعُراها، استفاد فيها فائدة عظيمة . وأظن مسألة البحرين وماجرى فيها من الانقلاب ، وما جرى على رعاياكم فيها من الغَبْن، يمكن الاستفادة منه فى تحسين مركز نجد ، واكتسابه الزعامة على سائر البلاد العربية .

أما دول أوربا ، فهى من غير استثناء ، دول ذات مطامع ، ومداخلتها لاتخلو من الخطر. وهنا يجمل بى أن أنقل لكم وصية الفيلسوف (ه.سبنسر) الإنجليزى، للبارون كاينكو اليابانى ، التى أوصى ألا تُنْشَر إلا بعد وفاته ، خشية أن يمسه سوء من قومه . قال :

سيدى العزيز :

(إنى أجيبك إلى ماطلبته ، وهو أن ترسل ترجمة كتابى إلى « الكونت إيتو » وزير اليابان الجديد ، فافعل ماتريد . أما من جهة المسائل الأخرى التى سألتنيها فأقول بوجه عام : إن سياسة اليابان يجب أن تكون إبعاد الأمريكين والأوربين عنها ولو قيد

ذراع ، فإن موقفكم حرج ، وَالخطر المحدق بكم مزمن ، لوجود أمم أخرى أقوى منكم ، فابذلوا أقصى جهدكم ، فى منع الأجانب من أن يتمكنوا من بلادكم .

ويظهر لى أن المعاملات التى تفيدكم ، ولا تضر بكم ، إنما هى المعاملات اللازمة لتبادل الحاصلات الضرورية ، الطبيعية وغير الطبيعية ، من صادرات وواردات ، فلا تمنحوا امتيازات لأمم أجنبية ، وخصوصا الأمم التى هى أقوى منكم ، إلا ما كان لازما منها لهذه المعاملات ، فإنى أرى أنكم تريدون من تنقيح المعاهدة التى بينكم و بين دول أوربا وأمريكا ، أن تفتحوا سلطنتكم كلها للأجانب ولأموالهم ، فسناءتنى هذه السياسة : لأنها الضربة القاضية عليكم . فإذا أردتم أن تعلموا ما سيحل بكم ، فاقرءوا تاريخ الهند ، لا تنيلوا إحدى الدول القوية موطىء قدم فى بلادكم ، وسندا تستند إليه ، فتتحول إلى الاعتداء عليكم بمر الزمن ، ويفضى الأمر إلى وقوع النزاع بينها وبينكم ، فتُشيع أن ذلك النزاع إنما هو اعتداء منكم عليها ، فيجب أن تثأر لنفسها منكم ، فتضع يدها على قسم من بلادكم ، وتستعمره بأبنائها ، وتتخذه قاعدة تحمل منها عليكم . نعم ، إنكم تجدون المصاعب العظيمة فى تجنب هذا الخطر ، ولكن إذا منحتم الأجانب امتيازات غير التى ذكرتها ، سهلتم عليهم ما يسعون إليه .

ولتفصيل هذا الإجمال ، أقول جوابا عن سؤالكم الأول : إنه يجب أن تمنعوا الأجانب من امتلاك أرض فى بلادكم ، ومن استثمارها إلى مدة طويلة ، وإنما تسمحون لهم باستئجارها سنة فسنة .

وأقول جوابا عن السؤال الثانى : امنعوا الأجانب من التعدين فى مناجم حكومتكم منعا تاما ، لأن ذلك قد يفضى إلى وقوع النزاع بين الأوربيين أو الأمريكيين الذين التزموا المعادن و بين الحكومة ، يستنجد الملتزمون بدولهم ، ويطلبون منها أن ترسل الجنود لإنصافهم و إنالتهم ما يطلبون ، مهما جاروا فى طلبهم والعادة عند الأوربيين أن يصدقوا جميع ما يقول وكلاؤهم وعملاؤهم الذين فى الخارج .

« وأقول جوابا عن السؤال الثالث : إنه يجب عليكم أن تبقوا تجارة سواحلكم فى أيديكم، ولاتجعلوا للأجانب يداً فيها » .

أما الأصناف التى تأتيكم من الخارج ، ويباح للأجانب أن يأتوكم بها ، فليكن موزعوها والتاجرون بها فى البلاد منكم ، لا من الأجانب الذين يأتون بها إلى بلادكم ، لئلا يفضى ذلك أيضا إلى خصومات كثيرة ، تجر إلى التعدى على أملاككم .

وأختم كتابى بما بدأته ، وهو أن تُبعدوا الأمم الأخرى عنكم ما استطعتم .

هذه نصيحتى أسرّها إليكم، راجيا أن لاتذاع فى حياتى، لأنى لا أحب أن أهيج أبناء وطنى ، ولا أن أسخطهم علىّ » .

هذه ياعظمة السلطان ، نصيحة رجل أوربى لرجل شرقىّ ، فَلَبُّها على جميع وجوهها تر الإخلاص واضح الجبين فيها .

أيها السلطان :

إنى لا أريد بكتابى هذا جزاء ولا شُكُورا ، ولكن الذى يسرنى ، أن أرى بلادكم سائرة فى طريق النجاح ، وأن ملككم يكون موطَّدا على أساس متين، لايتوقف على حياتكم . كم يكون سرورى وسرور قومى إذا سمعنا أن الإمام ابن سعود نهض نهضة جديدة بالإسلام و بالعرب ، فأرجعهم إلى سابق مجدهم .

إن العالم الإسلامى محتاج إلى زعيم مصلح مخلص، يرشده إلى نهج الحق . وإن المسلمين الأحرار ، وإن كانوا قلة اليوم ، فسيكونون قوة غدا . لقد خاب أمل المسلمين فى الأتراك ، كما خاب أملهم فى شريف مكة ، فلعل المسلمين يجدون فى عظمتكم ما يحقق أملهم . والله الهادى إلى سواء السبيل .

٢

من بعض أحرار السوريين
يستحث السلطان « عبد العزيز »
لغزو سورية ، وتحريرها من أيدى الغاصبين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، محمد الأمين ، وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين . أما بعد : فإن عريضتى هذه تُقَدَّم إلى الإمام العادل الموفق للخير إن شاء الله ، ليعلم أنى وإن قصرت بإرسال عرائضى ، فلن أقصر بمعاناة أموره ، وأجلّها تبديد الأوهام ، وكشف القناع عن الحقائق ؛ فإننى بعد جهد عشرة أشهر متوالية ، توفقت مع إخوانى إلى التبيان للدمشقيين خاصة ، ولجميع أرباب الأقلام والعلماء ، أن خطة الشريف وأبنائه ، هى خِطة ضلال ، وأن السعى الصالح هو أن يرجع الناس إلى رأى الإمام العادل ، إمام المسلمين ، عظمة « السلطان ابن سُعود » ، القائم بالدعوة والإرشاد ، وهَدْى العباد إلى طريق الحق ، فكان لنا بإذن الله أكثر ما نتمناه .

وقد كنت أريد أن أكتب فى كل وقت ما يجدّ وما يحدث ، ولكن لعلمى أن الجزئيات من الحوادث لا تفيد ، صبرت حتى ظهرت مساعى أحزابنا وجمعياتنا ، فقدمت رسالتى هذه ، لأبيِّن بها بعض ما هو جار اليوم ، وما جرى حتى اليوم ، ليكون الإمام

العادل على بيِّنة من حالة البلاد ، وليعلم أن آل البلاد وقلوبهم معه ، وعلى الأخص إذا هم بأمر خلاصهم من تلاعب الشريف حسين وأولاده ومن ضغط الأجانب .

وبما أن البلاد تدين بالإسلام ، وهى تستغيث بالله من الجَور ، فواجب كل مسلم هو معونتها ، والمؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص ، ولا أبرَّ بعمل خيرى من السيد الإمام ، حفظه الله .

أما نحن فإن كنا اليوم عاجزين عن أداء كل الواجب المحتوم علينا ، فإنا غدا بفضل الله ، إذا انضمت إلينا جيوش الإمام ، سنقوم بواجبنا خير قيام .

إننا حتى اليوم ما زلنا متمسكين بحول الله وقوته ؛ راجين من المولى عز وجل أن ييسر لكم ، ويلهمكم خلاص هذه البلاد ، وستجدون من أهلها أرباب غَيرة وعصبية دينية ، وإخلاص لله تعالى ولرسوله وللمؤمنين ، مما يجعل السيد الإمام يهتم لما نعرضه عليه فى هذه الرسالة ، والأمل أن يُمعِن السيد الإمام العادل فى قراءة الرسالة بالتمام ، ليكون على بينة الحالة الحاضرة .

والله الموفق للصواب ، نرجو منه الهداية . آمين .

حالة سورية اليوم وقبائلها :

إن غزو جيوش الإمام قبائل الْحوَيْطات ، فى أوائل المحرَّم ، وكسرهم شوكة بنى صخر ، وهزْمَهم عرب البَلقاء ، كالعجارمة ومن شا كلهم ، وإنزال الرعب فى قلوب جميع البادية والقرى، فى البلقاء ، وحَوْران ودمشق ، وحلب ، مما جعل القبائل تقول : لم يبق لنا ملجأ نلتجئ إليه ، إلا أن نرسل فنصطلح ونتدين مع وعلى يد الإمام . وقد أثر ذلك فى بنى صخر والْحويطات تأثيرا جعلهم يقولون للشريف عبد الله : إما أن تغزو نجدا كما تغزونا جيوش الإمام، وإما أن ننضم لنجد، ولإمام نجد. وكان الناس يؤملون أن يأخذ

جيش الإمام القريتين (قريّات الملح: أثْرى، وكاف) ،ولم نعلم لماذا تقاعس عنها الجيش؟ فلعل ذلك يكون قريبا .

وقد علم من التحقيق ، أن بنى صخر قد قتل منهم مايتجاوز الثلاث مئة، أما غيرهم ممن لفّ لفهم ، فلم نعلم قتلاه بالتمام، ولكن التقدير يوصلهم إلى المئة ، ماعدا الجرحى . أما الإخوان فقتلاهم وجرحاهم مع أسراهم، قد تحقق أنهم لا يزيدون على المئة والخمسين. وأهم مافى الأمر أن بنى صخر ونصراءهم قد انهزموا شر هزيمة ، فلم يقفوا أمام الإخوان ولا دقيقة ، بل بعد لحظات فروا وجبنوا، وتركوا قراهم وبيوتهم لجيوش الإمام ، حتى دخلوا عمّان يستجيرون بالسلطة الإنكليزية هناك ، لذلك خرجت الأوتوموبيلات المصفحة ، والطيارات يقودها رجال إنكليزيون ، وضربوا جيوش الإمام .

وأما جيش شرق الأردنّ (أعنى العسكر المأجور من أبناء البلاد) فلم يدخل المعركة غير آخر النهار . وعلى ما أعلم أن الإنكليز يتنصلون مما عملوه ، مع أنه كان يجب عليهم أن يبقوا على الحياد فى هذه المعركة ، التى كان سببها تعدى الحُوَيطات و بنى صخر على قوافل نجد، وعُرْبان نجد، بتحريك الشريف عبد الله وأذنابه: (ابن حازى ومثقال الفايز) . ولو رأى سيدى أن يستفسر من الإنكليز عن هذا العمل، ومعاونتهم لبنى صخر وغيرهم من القبائل ، ويطلب ذلك بإلحاح منهم ، لأن معاونة العدوّ عداوة .

حالة الرأى العام :

ما زال الواجب الوطنى وما علمناه من الحقائق، تدفعنا بإخلاص للكتابة والخطابة، و بث الروح الصالحة فى قومنا العرب عامة ، والسُّوريين وفيهم آل فلسطين ، بأن زعيم هذه الأمة سيكون الإمام ، لما له من الأيادى البيض فى نشر الدعوة السّلَفية ، وتواضعه وحبه للحق ، ولخير الناس والعرب ، وصدقه و إخلاصه ، وتيسير المولى له ما تعسّر على

غيره ، وإفهام العلماء أن الوهّابية هى دِين السَّلَف ، وأن المتدينين بها هم أهل السنة والجماعة ، وأن ما يقال عنهم هو افتراء على الله وعلى رسوله ، وكنا نريهم الكتب المطبوعة والمنشورة من قِبَل الإمام ، فأثر عملنا بعض التأثير المفيد، وتنبه القوم أن هنالك فى نجد نفوسا أبية رضية ، وأن شعائر الدين محترمة ، وأن الإمام عامل على النهوض ببنى قومه ، والكل يأمُلُون أن يكون للإمام العادل مجلس شُورَى دائم ، من العلماء الأعلام ، وذوى البيوتات ، الذين اشتهروا بالدِّين ، ورُجحانيةِ الرأى ، ومن رؤساء القبائل ، الذين أخلصوا فى أعمالهم ولأوطانهم ، وفى غيرهم من الحضَر : تجارا وأغنياء ، ومن يراه الإمام العادل مُشْكَة فى العلم والأمانة .

وسبب طلب الناس لذلك ، هو أن يتفرغ الإمام العادل لمهامّ الأمور ؛ لأن هذا المجلس يقدر أن يفكر فى تحسين أحوال السلطنة ، فيوفّر على السلطنة النجدية المال ، ويقصِّر الطرق المتخذة الآن لتنظيم البلاد ، من تشكيل البلديات ، وغرس الأشجار ، وحفظ الأراضى السلطانية ، والقيام بكل عمل عمومىّ ، ويتحمل مسئولية تنظيم القوانين ، وطرح الضرائب العُشْرية والجمارك ، وما يؤخذ من الزكاة ، ويكون قوة للامام العادل ، وأمنا من الدسائس ، ورابطة لجميع من يستظلون براية الإمام من نجد واليمن .

هذه بعض فوائد المجلس الشورى فى الداخل . وأما فى الخارج فإن جميع الأقطار العربية، ستأخذها الدهشة، حينما تسمع بأن صاحب نجد قد فاق جميع أمراء العرب، بدعوته السلفية ، وبزه بالرجوع إلى الشورى أيام الخلفاء الراشدين ، فأحيا واجبا به حياة الأمة العربية .

هذا ما أسمعه ممن يهمهم أمر الإمام العادل ، وأمر العرب ، وحياة الإسلام والمسلمين . وهنالك تعلم أوربا ، وفى مقدمتهم الإنكليز والفرنسيون أن نجدا وإن

تسكن بأزيائها بدوية ، فهي فى أعمالها حَضَرية ، ذات شريعة غراء ، يقوم بتنفيذها إمام عادل ، يرجع فى أمورها إلى مجلس شورَى ، بِحَسب الكتاب المجيد ، والسنة المطهرة . وهنالك لايبقى لمحتج حجة على شكل الإدارة ، وعلى نظام البلاد ، وما ذلك على الله بعزيز ، أن يلهم الإمام العادل الإسراع بمثل هذا العمل ، الذى بفضل الله يقرب القلوب ، ويجعل جامعتنا العربية جامعة علم وقوة ، مؤسسة على التقوى ، ولعل الله ييسر كل أمر عسير . آمين .

معتمد للإمام فى سُورِيّة :

إن حالة سورية اليوم غير حالتها بالأمس ، فإن أعمال الشريف حسين بن على وأبنائه المنكرة ، واتفاقهم مع الأجانب ضِدّ الوطنيين ، وتعذيبهم الحجاج ، وقتل الآلاف منهم عطشا ، وحبس طلاب الاستقلال الذين عاونوهم على بلوغ مآربهم ، حبا فى العرب ، مثل السادات : أحمد مريود ، والأمير عادل أرسلان ، وحلمى باشا ناظر المالية بشرقىّ الأردن ، والسيد نبيه بك العظمة ، وأخذهم إلى (مكة) ، ونشر الملك وأبنائه عنهم تلغرافات تنافى الحق والحقيقة ، وافتراء الشريف حسين على الفلسطينين أنهم راضون عن وعد بِلفور ، وزد على ذلك غضب الله على هؤلاء الذين يسمون أنفسهم أشرافا ، جعلت أرباب العقول تحتج على أعمالهم فى الجرائد المصرية والشامية ، ومتى وصلت الاحتجاجات ، فستقدم الإمام العادل . وإن العلماء والكتاب والشُّبان والمخلصين من العرب ، ظهر لهم اليوم أن طريق التمسك بالشريف طريق ضلال ، والواجب أن يكون للعرب زعيم غير هؤلاء الزعماء ، وأن يكون للزعامة فى العرب بيت غير هذا البيت ، وقد كتبت هذا ، ليصغى إلىّ الإمام العادل ، فأقول :

كنا نقول للعرب : إن الحسين بن على وأبناءه ، أجراء الأجانب والـكافرين ، فـكانوا يجادلوننا فى هذه القضية ، وينكرون علينا مانقول ، ويتجاوزون فى إنـكارهم حد المعقول ، فيقولون . إن هؤلاء من نسل سيد المرسلين ، فنجيبهم بأن الإسلام يطلب من المسلمين العمل ، لا القول ، وأعمال هؤلاء تُبعدهم عن الدين القويم ؛ ومن كانت هذه صفاته فالله ورسوله صلى الله عليه وسلم برَاء منه . ودام هذا الجدال ، حتى أظهر الله عز وجل الحق ، واتضح للناس خبث الشريف ، وميله هو وأبنائه إلى أهوائهم ، وتنكبهم عن السبيل السَّوِىّ ، ساء ما يحكمون .

مُهِمّ : ولـكن بدأ الناس اليوم يقولون : هانحن قد تركنا الشريف وأبناءه ، ونزعنا كل عهد لنا معهم ، ونحن متفرقون بسبب استيلاء الأجانب على بلادنا ، فمن ياتُرَى يكون زعيمنا فى الحجاز وسُورِيَة وفلسطين ، فيجمع شمل هـذه البلاد أولا ، ثم ندعو له أهل العراق ، فينضمون إلينا ، ونتفق مع صاحب اليمن الإمام يحيى ، فنشكل الجامعة العربية ، ونحفظ كيان المسلمين والعرب فى الجزيرة ؟

أما جواب أحزابنا وكتابنا وأهل الرأى منا ، فسيكون اليوم وغدا إن شاء الله (الإمام ابن سعود) سلطان نجد اليوم ، وملك البلاد العربية المتحدة غدا . ولـكن الوصول إلى هذه الأمور العظيمة ليس بالهيّن ، كما يعلم الإمام العادل (أَنَّ النفيسَ عليه يَسْهُلُ الخطَرُ) .

فأول ما نتطلبه من الإمام العادل ، أن يعلم أن الدعوة قد أسست لها فى السابق ، وبُثت بين رجال العلم فى سُورية ، بواسطة معتمده السابق الشيخ «فوزان السابق» ، وقد كان الشيخ فوزان أول من عرّف الناس هنا ، وفى جميع أنحاء البلاد ، بمزايا الإمام ، وعدله ، وحبه للخير ، وحلمه وكرمه ، وقد كان بيته محفِلا لذوى الرأى ،

وأهل العلم والدين وأصحاب الجرائد ، وحملة الأقلام وذوى النفوذ فى البلاد والأحزاب وكنا ممن أحبوا الإمام العادل ، بسبب دعوة فوزان ، وتبشيره بما انطوى عليه قلب الإمام العادل فى الرحمة والحنان للمسلمين والعرب . وكانت ألسنة الناس ولا زالت تمدح الشيخ فوزان السابق ، لدماثة أخلاقه ، ولصفاء سريرته ، ولحبه نشر الدين الحق ، ولصبره وتدينه بالدين السَّلَفى ، ولعلمه بأخلاق البداوة والحضر ، ومعرفة البلاد وأهلها وحلمه وتواضعه ، مما جعل له مكانة عند الخاصة والعامة ، فكان خير معتَمد ووكيل ، لأسمى سيد وإمام . وكان فى سياسته مع الناس ، ومع أرباب الرأى متيناً ، يدأب ليله ونهاره ، ليفهم الناس ما لعظمة الإمام السلطان ، من الأيادى البيضاء ، فى سبيل هداية البداءة السُّذَّج إلى الدين الحنيف ، وما كانوا عليه من الخصام ، وما مُنُوا به من التفرقة ، لجهلهم دينهم ، ولعوامل الشرك التى طمسَت على قلوبهم ، فأنار الله بالإمام قلوبهم ، وهداهم إلى الإيمان ، فكانوا إخوة لا قبائل ، وإخوانا لا أعداء متفرقين يضرب بعضهم بعضاً . وكنا نؤمل أن يبقى الشيخ فوزان دائبا على عمله ، حتى يتسنىّ لنا أن نرى لأبناء وطننا مثالا للدين والأخلاق الفاضلة ، وتتمم معه ما بدأ به .

فقد علمنا أن مولاى الإمام عيّن غيره لوكالة دمشق ، فلا نقول عن الرجل الآن شيئاً ، لأن وظيفته وعمله ينحصر فى تسهيل أشغال تجار نجْد ، الذين يتاجرون فى الإبل ، بين نجد والشام ومصر ، ولكن الرجل مع قولنا ، يمكن أن يكون أكرم عند الله منا ، فهو لا يعلم القراءة ولا الكتابة ، ولا يقدر أن يباحث العلماء ، ولا أن يتدخل مع أرباب الأقلام والأحزاب ، وجُلّ ما يقدر على عمله ، هو أنه يأخذ الرسم من أصحاب الابل ، ويحل لهم بعض مشاكلهم إذا قدر على ذلك ، فعمله محدود ، وقليل جدًّا ، بالنسبة لما يتطلبه الزمن والمملكة وتأسيس المُلك ، والصعوبات التى تصادف المعتمدين أمثاله .

ولا يظن السيد الإمام العادل أن صداقة فوازان للفقير إلى ربه ، هى الدافعة على تصديع « عظمة السلطان » ، بل هو حب الخير لقضيتنا العربية ، والوصول إلى الغاية المنشودة ، ألا وهى جمع الحجاز وسُورية بما فيها فِلَسْطين وشرقىّ الأرْدُن ونجد ، تحت راية واحدة ، يجعلنا أن نفكر فى تأسيس نفوذ الإمام فى فلسطين ودمشق وشرقىّ الأُرْدُن ، ونرى أن مركز دمشق الشام ، عاصمة هذه البلاد جميعها ، هى مركز الحركة المنوَّه عنها . فالأمل أنْ تُعِينونا ، بتعيين الشيخ فوزان السابق مندوباً ومعتمداً لعظمة الإمام السلطان ، وأن تقوُّوه بنفوذكم ، وتُمِدُّوه بكل مايلزمه ، ليكون العمل صالحاً ونافعا فى آن واحد .

أما نحن الفقراء إلى الله ، والراجين معونته فى السراء والضراء ، فنعرض مايأتى :

هيأنا الأفكار ، وبدأت تتوحَّد للغاية الآتية ؛ وقد كتبت الجرائد بعد أن عمت دعوتنا البلاد ، أن الرجل الذى يُرْجَى على يديه تشكيل الوحدة العربية ، هو الإمام « ابن سعود » . وقد قدمت بالبريد فى طريق بغداد ، ما كتبته الجرائد ، وكنا ولانزال نكتب فى جميع الجرائد المصرية والسُّورية ، وفى فلسطين ، كل مامن شأنه رفع درجة نجد ، وصاحب نجد ، الإمام العادل . وكنا لا نريد أن نذكر ماعملناه من واجب ، لولا أن يكون فى ذكرها منفعة للعرب ، وهو وقوف الإمام العادل على ما يجرى .

إن البلاد الشامية بما فيها من فلسطين وشرقىّ الأردن ، تأهبت لتصافحكم وتعاونكم إذا أردتم خلاصها من ألاعيب الشريف ومكره ، وأن تحلوا فيها ، لتخلص من أنياب الأجانب .

قد يخطر على البال أننا كيف يمكننا تخليص البلاد من دوله إنكلترا وفرنسا ، وعندهم من العُدَد مالا يحصى ونحن ضعفاء ؟

فأقول : إن حالة إنكلترا وفرنسا اليوم ، وحتى أوروبا جميعها ، هى حالة استثنائية

يجب أن نستفيد منها. فحكومة إنكلترا يرأسها «ماكدونالد» زعيم العمال الاشتراكيين، وحكومة فرنسا يرأسها أيضا «هيريو» أحد الاشتراكيين، وزعيم حزب السلام: وأكثرية الناس عند الدولتين، ينفرون من الحرب، ومن شرورها وويلاتها وقد قويت الأحزاب الاشتراكية فى هاتين الدولتين، حتى خفَتَت صوت الأحزاب المخالفة، فلو قام الإمام بعد إعداد العُدَد، وتنظيم جيشه بالمدافع والرشاشات التى عنده، وأرسل له الضباط الأكفاء، وبذل القليل من المال، ونظم حكومته وماليته، وتقدم إلى «الجوف» جيش يحمل راية العرب؛ وطالب باستقلال البلاد، لانضمت قلوب العرب إليه فى الشام وفلسطين. ولهرع المتطوعون إلى جيشه، ولعلم القاصى والدانى؛ أن سيد العرب هو إمام «نجد» لا من كانوا يدّعون السيادة، ولفهمت أوروبا أن القوس أعطيت باريها.

ولا يظن أحد أن إنكلترا وفرنسا تجهز جيشا لمقاتلة جيش يتطلب فك أسر قومه، لأن الإفرنج اليوم محتاجون للراحة، فقد خذلوا «لويد جورج» رجلهم العظيم، لأنه أراد أن يحارب الأتراك، ويحفظ للإنكليز «استانبول» والبواغيز. وخذلوا «بُنْدُوِين» لأنه يريد زيادة القوى والعساكر فى مصر والهند؛ وقد كان عندهم أعز رجل فى الدهاء والعلم، كل ذلك حبًّا فى السّلم، لأنهم ملّوا الحرب وويلاتها، وأصبحوا فقراء فى المال والرجال. وقد خذلوا الفرنسويون «بُوانكاريه» ذلك الرجل العظيم، رجل فرنسا، لأنه أراد زيادة الجيش فى بلاد الألمان المحتلة من عسكر فرنسا، وأطاعوا «هيريو» لأنه وعدهم بتقليل نفقات الجيش، وتسريح القسم الأعظم منه.

فالأمتان الإنكليز والفرنسويون، هم اليوم محتاجون للسّلم والراحة، أكثر من جميع الدول، والإنكليز هم كالظل يمشى مع صاحبه، فلا يعاكسون قويا، ويهزءون بالضعيف والفرنسويون أمثالهم، وقد كان يظن الإنكليز أن الشريف شيء فاليوم وقد

أخذت حقيقته تظهر لهم ، فسأعرض على السيد الإمام العادل ، محادثة أحد إخواننا مع رجل إنكليزى مستشرق ، سأل أخانا السؤال الآتى : هل بقى نفوذ للشريف فى جزيرة العرب ؟

— أخـــونا : نعم ، له نفوذ فى مكة وَجدة فقط .

— المستشرق : هل هذا نفوذ حقيقى ، عن محبة من أهل البلاد ؟

— أخـــونا : كلاّ ، ولكنه نفوذ تحكم وتجبر .

— المستشرق : إذن لا نفوذ له .

— أخـــونا : أنتم الإنكليز جعلتم له هذا النفوذ .

— المستشرق : ظنناه بعض رجل (يرتقى بحسب ما يتطلبه الزمن) ولكن خاب أملنا .

— أخـــونا : وما تظنون هل تبقون مرتبطين معه ؟

— المستشرق : إننا لم نقدر على البقاء مرتبطين مع الدول الأوروبية بعهودنا ، فكيف نقدر أن نرتبط مع رجل يخلق هو نفسه المشاكل مع جيرانه ، ثم يتظلم إلينا لنعاونه ؟ فالدم الإنكليزى لا نريد أن نهريقه حباً فى سواد عين أىّ أجنبى عن الإنكليز . واعلم أن ساستنا ، وأخص لك منهم بالذكر لورنس ذلك الرجل الذى عاون الشريف وأولاده ، قد يئس من نجاح الأشراف ، وهو قال لوزير المستعمرات قبل سنة و بضعة أشهر إنى تركت الاشتغال بالحركة العربية ، لأن الأشراف جعلونى أخجل أمام قومى ، لسوء سلوكهم ، وقلة درايتهم اه .

إن الفرنسيين يكرهون الشريف الحسين بن على وأبناءه كرهاً لا يتصور ، وقد سعى الإنكليز فى الماضى والحاضر ، ليقربوا بين الشريف والفرنسيين فلم يفلحوا . فلو علم الفرنسيون أن منافعهم الاقتصادية ومنافع شركاتهم تصان لهم من قبل الإمام

العادل ؛ لتركوا سُورية له على شراط ألاَّ يسلمها لأعدائهم الإنكليز ، ولرضُوا أن يكون نجل الإمام « فيصل آل سعود » ، أميرا عليها ، وما ذلك على الله بعزيز .

مهمّ : أمّا الإنكليز فقد كانوا يظنون أن العرب ينضمون تحت لواء الشريف حسين بن على ، لذلك كانوا يراعون جانبه ، فإذا رأوا بأعينهم وبصائرهم أن العرب انضموا تحت لواء صاحب الدين القويم ، وإمام الهُدَى ، هنالك لايبقي مجال إلاّ أن يديروا الدفة ، فيصافحوا الإمام ، لأن الإنكليز لهم مَثَلُهم : (إياك ومعاكسة الرأى العام ، أو المشى ضد التيار) فقد كانوا مع السلطان التركى وحيد الدين ، فلما خُذِل وحيد الدين ووزيره فريد باشا ، مَدُّوا أيديهم وصالحوا مصطفى كمال أعدى عدوّ لهم . وقد صرفوا لمحاربته القناطير المقنطرة من الذهب والفضة ، وكانوا فى مصر مع « عدلى باشا » وحزبه ، حتى تبين لهم أن « سعد باشا » هو أقوى من عدلى ، فتركوا « عدلى باشا » وخذلوه ، ثم انضموا إلى «سعد باشا» وعَزَّزوه ، وأعطوه أكثر طلباته وهكذا حال الإنكليز مع القوىّ ، فهم يجارونه ، ويخشون الاصطدامَ معه ، و بالأخص فى هذه الأيام

أهم : فما على المولى الإمام إلاّ أن ينظر لهذه الأمور الهامة بنظر الجدّ والسرعة ، فيثير الرأى العام والجرائد ، وينشر دعواه فى البدو والحضر ، ويسرع فى تنظيم جنده ، وأخذ القريتين (أثرى وكاف) لتكونا مركزا من أجل تهديد البادية ، وموطناً لجيشه وضباطه . وإنى أقول مستعينا بالله : إنه لا تمضى سنة إلاّ ووفود البلاد تدعوكم ، لتشرّفوا البلاد ، والإنكليز والفرنسيون سيكلفونكم أن تكونوا حكاماً مستقلين فى هذه البلاد ، فهم سيوفّرون عليهم جندهم ومصاريفهم ، ويضمنون حفظ الأمن فى البادية ، وتأمين طرق الحجاج ، وكل ذلك مما يدعوهم للاتفاق مع السيد الإمام المقدام العادل له وعلى مايقول جميع الناس (القوة تدعم الحق) .

حالة الشريف وأبنائه اليوم :

تبرأت جميع الأحزاب السورية منهم ، نزل قدرهم عند البدو والحضر، ظهر للناس جميع مفترياتهم ، أصبحوا مُضْغة فى أفواه الناس ، أخزاهم الله بسبب غشهم وخداعهم للعرب والمسلمين . وهم الآن يسعون لأن يرسلوا بواسطة فيصل دراهم لابن الرشيد وأتباعه ولبعض القبائل ، من أجل أن يحركوهم ضد الإمام .

وقد أرسلوا قبل أربعة أشهر رجلاً إلى « عُجَيْمِىّ السّعدون » إلى « أطَنة » فى بلاد الترك، يَعِدُه وعوداً كثيرة ، إن هو أتى إلى العراق ، واشتغل ضد «ابن سعود». فكان جواب « عُجَيمِى السّعدون » أنا لا أقدر أن أذهب إلى العراق ، ولا أعترف بحكومته ، ولا بالملك فيصل الذى يُحرضنى هو وأبوه أن أقاتل مسلمًا ، لأثبِّت رجلاً على مُلك العراق يطيع كافراً ، بأن يكون تحت أمره ، بل عبدا خاضعا له ، وأنا لست من الذين يَقدِرون على غزو « ابن سعود » . فرجع الرسول خائباً خاسراً ، لا يَلْوى على شىء .

يصرف الشريف وأبناؤه آلاف الجنيهات فى كل شهر ، لتكتب الجرائد عن الإمام وآل نجد ، أنهم قساة ، لادين لهم إلا الغزو . ولكنّ أحزابنا بإذن الله ، كلما افترى الشريف وأبناؤه فريتهم تقابلهم بتفنيد كذبهم ، وتبين للناس ماهم عليه ، وما يقصدون من حَطّ كرامة الإمام ، والله من ورائهم محيط .

بعد أن حازت النصر جيوش الإمام على قبائل البلقاء ومَعان ، بدأ الناس يفكرون فى إرسال وفد من رجال سُورية ليوفدوه إلى الحجاز ونجد ، ويسمعوا أولا دعوى الشريف حسين ، ولماذا يجاهر بالعداء للإمام ؟ ثم يتوجهوا إلى الإمام فيعرضوا عليه

أقوال الحسين بن على ، ويسمعوا من الإمام حُجَجه وبراهينه ، ثم يرجعوا إلى بلادهم فيقولوا للناس رأيهم فى هذا الخلاف .

هذا الوفد أكثره من الناس المخلصين ، ولكنهم يعلمون أن الشريف حسينا ليس ذا رأى وتدبير ، ولكنهم يقولون أيضاً إذا أمكن أن تحقن دماء آل نجد والحجاز بإفهام الشريف حسين أنه لاقوة لديه ، فعليه ألاّ يصطاد فى الماء العكر ، يكون خيراً .

فنحن لم نحط رأياً بهذا الأمر ، إلاّ أن قولنا لهم كان أن الشريف وأبناءه هم بعيدون عن النصح واتباع الحق ، ومن جرّب المجرَّب حات به الندامة ، وعلى كلٍّ لم أر رجلاً زار الشريف حسينا ولم يقل فيه غير الكلمة الآتية : (مغرور كذاب) لذلك أرجو الله أن يرى من الناس الشريف حسينا من لم يره ، حتى يتضح الحق لطلابه ، وعسى يجهز وفد من قِبَل الأحزاب جميعها ، للاجتماع بالإمام عن قريب ، إذا شاء الله الميسر كل أمر عسير .

حاجتنا العاجلة : إن « المدينة » اليوم تتطلب التنظيم ، وإن التنظيم قوة الملك والعلم ، والمعرفة أساس القوى جميعها ، فلو استعجل الإمام بنشر ما يريد من إصلاح ، لاطمأنّ الناس إلى مَسعاه ، وعلموا أن نيات الإمام مصروفة للحضارة ، أكثر منها إلى البداوة ، ولسعادة العرب أكثر منها إلى الاستسلام إلى العادات القروية . فالحمد لله على الإسلام ، فهو أسس الحضارة ، والتشريع ، والمدنية والتهذيب ، وينبوع مكارم الأخلاق ونبراس الهدى واليقين .

إننا قد أرسلنا بعضا من خبرة رجالنا أهل الدين والأمانة والعلم والجد ، ومن ذوى البيوتات الطاهرة ، ليكون عوناً للإمام العادل ، على تنظيم الشئون ، فعسى أن يوفقهم الله للخير ، وأظن أن عملهم هذا كان عن إخلاص ، لا عن منفعة يتلمسونها ، فهم أباة

الضيم ، آل نجدة ، لا تلهيهم المطامع عن خدمة أمتهم وأوطانهم ، فهم بفضل الله خير أعوان على إقامة الحق والعدل ، وخير من تمسّك بدينه ، مبتغياً فضلاً من الله ورضوانا .

لى رجاء من الإمام العادل ، وهو أن البلاد مازالت تتطلب أن ترى رجلاً من آل « سعود » تسمع قوله وتعيه ، وتنظر إليه لترى درجة حنوّه على العرب ، وما يضمر لقومه ، وما يمكنه أن يعمل لهم من خير أراده الله تعالى . وقد كلفنى أكثر أرباب المكانة ، وكل إخوانى من الأحزاب ، أن أعرض هذا الأمر على الإمام العادل ، وهو أنه لو سمح لنجله الكريم « فيصل آل سعود » أن يشرّف مصر ، فيمكث بها ماشاء ليتعرف هناك برجال العرب من شاميين وفلسطينين وعراقيين ويمنيين ، ثم يزور فلسطين والشام ، ويأخذ بطريقة إلى الجوف ، ليرى العرب روح الإمام متجلية بنجله ، الذى يسمع به العرب عن بعد ، ولا يرون غير رسمه وصورته فى الجرائد . وإن هذه السياحة ستفيد الإمام . وبلادنا أيضاً ، إذ يرون آداب الأمير « فيصل آل سعود » ، وحبه لقومه ، وعزة نفسه ، ورباطة جأشه ، وأنه يصلح لأن يكون أميراً فى البلاد الشامية ، وإذا أراد الله إنفاذ هذه السياحة ، فليأمرنا الإمام ، وليعلمنا وقت تشريفه ، لنكون فى معيته بمصر ، وفى فلسطين ودمشق . والأمل أن تكون هذه السياحة فى موسم الخريف هذا ، أو فى الشتاء من هذه السنة المباركة .

وستحدث هذه السياحة انقلاباً فى أفكار الذين كانوا يتصورون أن نجداً لا يوجد فيها رجال يستميلون نفوس الحضر إليهم . وسنتمكن من إقامة حفلات له فى مصر ، والجهر باسمه على رءوس منابر الخطابة ، وسنطريه فى الجرائد بالمديح والثناء ، وسنقابله بالعلماء ، وكل ذى حيثية وشرف ، ولنا الأمل بالله أن تكون زيارته فاتحة خير للبلاد .

هذا ، وإنى أنتظر الجواب ، لأقوم بخدمة سيدى الإمام . أطال المولى بقاءكم ، وحفظكم ورعاكم ، بعنايته ورعايته ، وهدانا وإياكم الصراط المستقيم آمين .

صلى الله على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، إلى يوم الدين .

الداعى

م . م .

١٢ صفر الخير سنة ١٣٤٣

٣

من جلالة الملك إلى المؤلف وصحبه يخبرهم بالاستيلاء على قرى الطائف

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل إلى جناب الإخوان الكرام ، الشيخ حافظ وهبة ، والدكتور محمود ، ومحمد بك ، وبشير ، ومحمد العجاجي ، المحترمين ، سلمهم الله تعالى .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام ، مع السؤال عن حالك . أحوالنا والحمد الله جميلة .

تقدَّم لكم قبل هذا خطوط فيها مالزم بوقته .

حالا وفد علينا بُشَراء الإخوان أهل الغُطْغُط والبيارق معهم ، يبشروننا بما مَنّ الله به من عزهم وسلامتهم .

وتفصيل ذلك أنهم فى هلال هذا الشهر ، أصبحوا مصبحين كتائب الشريف وقُراه التى جهة الطائف ، وحاصرها المسلمون يومهم وليلتهم ، وفى صبيحة اليوم الثانى استولوا عليها جميعا ، بعضها عَنوة ، وبعضها أمنوهم على رقابهم ، وهى قرى الأخَيضر وعرفا والعُبيلة وجليل ، وفض المسلمون فرقها وقصورها ، وغنموا مابها من أسلحة وذخيرة و بعدها مَشَوا إلى بلاد فتن ورتبها، ووجدوا الشريف شَرَفًا مرتبا عدده ومدافعه بالحوية وشُوَيحط ، وحاصره المسلمون بقية يومهم ، إلى أن فرقهم الليل عنه .

وفى صبيحة اليوم الثانى تجهز المسلمون إليه ، فوجدوه منهزما وتاركا وراءه جميع ما كان معه من مدافع وعدد وأسلحة وذخائر . وقد غنم المسلمون ذلك وما قبله فى القرى والفرق ، التى بلغت عدتها اثنتى عشر فرقة لم يتركوا شيئا إلا من سبق له أمان على شئ ماله، فجميع من آمن على شئ لم يُغَيَّر عليه فيه ، وكل من أحب العافية ، ولم يبدُر منه مقاومة ، لم يتعرض له بأدنى ضرر . وأما الغنائم والقتلى من الأعداء ، فلا تحصى ، والمسلمون ولله الحمد والمنة سالمون ، لم يُستشهد منهم سوى أحد عشر نفرا من الجميع ، ومشت الطروش والبيارق منصورة لحصار الطائف ، الذى لم يكن بينهم و بينه سوى مسافة ساعتين ، وقريبا إن شاء الله تأتينا بشائر استيلائهم عليه ولعلمنا بحرصكم على الأخبار ، بادرنا وعجلنا لكم هذا على وجه الحقيقة ، لتكونوا على معلومية منه .

هذا مالزم تعريفه ، ودمتم محروسين .

١٥ صفر سنة ١٣٤٣

٤

من جـلالة الملك إلى المؤلف وصحبه عن الانتهاء من فتح الطائف وتطهيرها من العدو

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل ، إلى جناب الإخوان الكرام : الشيخ حافظ وهبه وإخوانه المحترمين ، سلمهم الله تعالى .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام ، مع السؤال عن حالكم ، أحوالنا الحمد لله جميلة .

بعد ذلك قبل هذا، عرفناكم بما من الله به من عز المسلمين ، واستيلائهم على كتائب الشريف وقراه ، التي دون الطائف ، وذكرنا لكم ممشاهم لحصار الطائف ، وحالا ورد علينا بشراؤهم ، يبشروننا باستيلائهم على الطائف ، فله تعالى الحمد والمنة على دوام نعمه ونصر دينه ، وإعلاء كلمته .

وتفصيل ذلك أنهم وصلوها نهار الخميس ، رابع شهرنا الجارى ، وكانت فُرسان المسلمين وطلائعهم متقدمة قدام البيارق ، وفى طريقهم وافقوا سرية للأعداء انكشفت لهم ، فأحاطت الخيل بها ، وقتلتها عن آخرها ، واستمروا فى سيرهم حتى وصلت البيارق وأحاطت بالبلد من كل جانب ؛ وقبضوا المُلازم والمَرامى ، وحاصروها من كل جانب ولما كان الليل ، زحف عليها المسلمون ، حتى لزموا أطراف جدرانها ، ودامت محاصرتهم

لها إلى عصر النهار الثانى، أى يوم الجمعة فلما صار العصر حمل المسلمون عليهم حملة صادقة ودخلوا البلد، وصاروا يقتلون كل من اعترضهم بقتال، حتى لزموا مواقع الأعداء وقصورهم وحصونهم ، ولم ينج من جندهم وعسكرهم أحد سوى ولد الحسين علىّ ، الذى كان وصوله للطائف قبل حصارها بيومين ، ومعه خمسمئة ذَلول ، ومئة خَيَّال ، وجملة ذخائر مرسلها الحسين مَدَدا وعضدا لمن بها . وقد أذلّ الله الجميع ، وجعل قدومهم لمصارعهم، ولم ينج منهم سوى المذكور (علىّ) والشريف (شَرَف) فقد خرجوا من وقتهم على ظهور خيلهم ، قبل أن يعلم المسلمون بهم ، وكان دخول المسلمين للطائف فى آخر النهار، وأول ليل ، فرتبوا كتائب فى جميع حصونها ، وقصورها وأبوابها وطرقها ، وصاروا يدورون فى جهاتها ، وكل من وجدوا من جند الأعداء قتلوه ، حتى اتضح نهارُ يوم السبت ، ونادى منادى المسلمين : من أراد السلامة والإسلام ، فليقبل ويلق سلاحه ، فأقبل الأهالى ، وظهروا من أماكنهم ، وكل منهم حامل ماعنده من قوة وسلاح، وهم يدعون الله ويحمدونه على ذهاب الظلم والظَّلَمَة . وقد تم استيلاء المسلمين على البلد ، وعلى جميع ما فيها من الحصون والقصور والأسلحة والمدافع والعُدد والذخائر ، والأموال التى لا تحصى ولا تعد ، ومن جملة الأسلحة النارية ، خمسة مدافع ، وخمس آلات عظيمة من أحدث طراز . وعند ضحى يوم السبت أتت طيارة ، مرسلها الخبيث « الحسين » من جدة ، فلما قربت من المسلمين ، وتوسطت من فوقهم هتفوا بها من كل جانب ، فقاد الله سهامهم عليها وأصابتها ، ورماها الله وطرحهم ، فوجدوا بها اثنين من عسكره ، قتلوهما لوقتهما . ووجدوا بها جملة مفرقعات ، ومبلغا عظيما من الذهب ، لا نعلم ما قصدهم بحمله معهم . وبعد أن اطمأن المسلمون . وطهروا البلد من عسكر الأعداء ، وأمنوا الأهالى وطمَّنوهم ، رتبوا أُناسا منهم لجمع الغنائم وإحصائها ، واقتضى نظر الإخوان والمشايخ تنصيب خالد بن منصور فى البلد للنظر فى أحوالها ، واستقبال وفود القبائل من الأشراف وغيرهم ، الذين يطلبون الأمان ، والدخول فى حوزة الإسلام والمسلمين.

والاستيلاء على ماعندهم من قوة وأسلحة وأموال للحسين، والجميع منقادون حق الانقياد ولم يبق أحد من القبائل إلا ركب وقدم السمع والطاعة ، والخضوع للأمر ، حتى إن الأشراف وغيرهم من القبائل التى فى مكة جاءت مراكيبهم يطلبون الأمان ويقدمون السمع والطاعة .

أما الحسين فقد توجه إلى جدة وغالب أهالى مكة أخلَوها ، والباقون بهـا مرجَف بهم .

هذا تفصيل ما وقع شرحناه لـكم، لعلمنا بحرصكم وشفقتكم على ذلك . أما المسلمون فسالمون بحمد الله ، لم يستشهد سوى سبعة عشر نفرا من الجميع ، كلهم من عامّة الناس ، ما فيهم المسمّى غير هُوَيْل بن جِبرين ، وتوّاب الدحاوى ، رحم الله الجميع برحمته الواسعة .

هذا ما لزم تعريفه ، ودمتم محروسين .

٢٢ صفر سنة ١٣٤٣

٥

ملحق من جلالة الملك إلى المؤلف وصحبه
يعلمهم بالانتهاء من أمر الطائف

ملحق

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل ، إلى حضرة الإخوان الكرام ، الشيخ حافظ وهبه ، والدكتور محمود ، ومحمد بك ، وبشير ، ومحمد العجاجي ؛ ...مهم الله تعالى .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، مع السؤال عن حالكم ، أحوالنا من كرم الله تعالى جميلة .

تقدم قبله مافيه اللازم بوقته ، حالا وردت علينا بشائر جندنا الذى يحاصر الطائف ولا هم الله سبحانه إياه . وتفصيل ذلك كما تجدونه بطى هـذا على وجه الحقيقة ، بدون زيادة ولا نقصان .

نرجو أن الله تعالى يديم علينا وعليكم نعمتة ، ويرزقنا شكرها .

هذا مالزم تعريفه ، ودمتم محروسين .

٢٢ صفر سنة ١٣٤٣

٦

ملحق رسالة من الأمير عبد الله بن جَلَوِيّ إلى السلطان عبد العزيز عن قرب اتفاق انجلترا وفرنسا وأثر ذلك فى جزيرة العرب . ويقترح تأخير نشر الكتاب الأبيض[١]

ملحق

بسم الله الرحمن الرحيم

الله تعالى يديم حياتكم . هالأيام لابد بلغكم خبر ذكرته الجرائد ، قُربُ إتفاق دولة الإنكليز وفرنسا . وبموجب إتفاقهم لابد يصير تغيير وتبديل فى « جزيرة العرب » ، ولهذا السبب رأيت أن أبين لحضرتكم رأى محبكم ، بموجب أننى رأيت فى بعض الجرائد المصرية ، عزمكم على أن تظهروا « كتابا أبيض » فيما صار بينكم وبين هذه الدولة الكافرة من المكاتبات ، وما صار فى المجلس بالكُويت ، وأخاف أن يكون فيه شىء يؤخذ عليكم من هؤلاء الكلاب . فإذا رأيتم ، الله يديم بقاك ، أن تنتظروا فى هذه المسئلة ، ولا تستعجلوا ، حتى تعرفوا مايؤدى إليه إتفاقهم ، وتتبين لكم المسئلة ، كان الصبر أحسن .

هذا نظر محبكم ، ونظركم إن شاء الله هو المبارك . والله تعالى يديم وجودكم .

---

(١) كان اسم « الكتاب الأبيض » مقترحا أولا . ثم نشر بعد ذلك بإسم « الكتاب الأخضر ».

٧
من جلالة الملك إلى المؤلف بصدد تأخير نشر الكتاب الأخضر

ملحق

خير وسرور إن شاء الله تعالي

بسم الله الرحمن الرحيم

ماعرّف حضرتكم بكتابيكم رقم ١٨ فى ٢٠ المحرم فهمناه .

أما ماذكرتم بخصوص الكتاب الذى أرسل للرافعى لأجل الطبع ، وماذكرناه لكم بخصوص ذلك ، وأنكم لا ترون فيه شيئا يتعلق بعلائقنا ، ويوجب لتوترها مع من ذكرناه لكم ، ومع أن رأيك لم يتغير فى وجوب نشر الكتاب المذكور ، فقد أخذتُ بالأحوط ، وأرسلت برقية للرافعى ، أن يقف نشر الكتاب ؛ حتى يصل إليه تعريف آخر ، ورأيك إزاء هذا الأمر أن نكتب كتابا حسَب المسودّة المرسلة منكم بطريق الإخبار بما عزمنا عليه ، ولا بأس من تأخير نشر الكتاب شهرا أو شهرين ، إلى آخر ما ذكرت بهذا الشأن ، فهمناه . وعليه فقد بيضنا الكتاب المذكور ، وتجدونه بطىّ هذا ؛ مع خطّ منا للقُصَيْبى ، نعرِّفه بخصوصه ؛ فأنتم بوصوله إليكم إذا كنتم تعلمون وتجزمون أن الكتاب المذكور لم ينشر بعد ، ولم ينشر منه شىء ، وتتحققون من ذلك فالخط هذا أرسلوه للقصيبى ليتقدمه ، ونرى كيف يكون جوابهم عنه ؛ وإذا كنتم تظنون

أو تعلمون أن الكتاب قد نشر وظهر ، فلا فائدة من إرسال الخط ، بسبب أنه ما يمكن أن نراجعهم في أمر ، ويظهر قبل معرفة جوابهم .

المقصود إذا كان يمكن عدم ظهور الكتاب الآن ، فإرسال الخط لازم ، وهو عين الصواب ، وحسب الظن أنه فيما بعد يمكن نشر الكتاب المذكور ، وأن الرافعى لا بد أنه توقف بعد ورود تلغرافكم إليه . فإذا كان كذلك فإرسال خط الرئيس(١) لازم ، والانتظار حتى نرى مايقولون . وإذا كان عندك علم أن الكتاب قد انتشر ، فلا فائدة من إرسال الخط ، ودعوا الأمور تجرى على ما كانت عليه . هذا نظرنا بيناه لكم ، وفيما ترونه البركة إن شاء الله .

أما ماذكرتم بخصوص هاشم ، ومابلغكم عنه من المتاجرة بأسرارنا ، وسخطكم من ذلك ، فلانهتم لمثل هذا وأفعاله : حيث إن الذي مثله ما يستنكر عليه ، لخلوه من الأنفة والدين معا والحمد لله على كونه ماعنده أسرار نحاذر عليها ، أبداها أو أخفاها ولا يتندم إلا راعى الشين إن شاء الله ، إن عاجلا أو آجلا .

نسأل الله أن يجازى كلا بقدر نيته وعمله آمين .

وبحسب مابان لنا ، أن جنابكم تظن أن الملحق الذى أرسلناه لكم آت لنا منه أو ممن يتصل به ، فلا والله لاهو منه ولاممن له أىّ اتصال أو معرفة به . بل هو من بعض أناس دائما يكاتبوننا ، ولاهم مداخلة مع أحد ممن له تداخل فى الدوائر وذويها ، يكون معلوما .

---

(١) المقصود هنا رئيس القناصل البريطانيين فى الخليج العربى .

٨

من جلالة الملك إلى المؤلف

تعليق على نشر برقية نفى التهم والإشاعات

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل ، إلى جناب الأخ المكرم الأفخم ، الشيخ حافظ وهبه المحترم . سلمه الله تعالى ، آمين .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام . أخذت كتابكم المفيد بوصولكم الأحساء بالسلامة ، جعلها الله دائمة على الجميع .

عرّفتم حضرتكم عما كتبتموه فى تكذيب ما يُشاع من اتهام الإخوان بقتل النساء والأطفال ، للجرايد السورية والمصرية ، وعما ستكتبونه فى ذلك وفى غيره من أخبار قُواتنا فى الحجاز ، بوجه التفصيل .

إنما رأيتم المبادرة بتكذيب التهم ، بتلغراف باسم فيصل ، أرسلتموه لجرائد الهند ومصر وسُورية وفِلَسطين ، وأرسلتم لنا صورة ذاك التلغراف ، حسنا فعلتم ، ولا شك أنكم محل الروح ، ورأيكم فوق كل شىء . جعلكم الله موفّقين لما فيه الخير .

وعرّفتم عن اطلاعكم على التلغراف الوارد لنا من الحكومة ، وشكواها من قتل بعض من رعاياها ، وأسر واحد منهم ، ورأيكم بصفة الجواب صار معلوما ، وفى الحال حررنا لهم جوابا كما ذكرتم وزدنا عليه ، ولا بد أنكم تطلعون عليه من الأخ عبد الله بن جَلَوِيّ قبل إرساله ، وفى اطلاعكم عليه كفاية . وأما ما أشرتم إليه من

الرغبة فى قدومنا إليكم ، فكما عرّفنا كم بالخط الذى قبل هذا ، نحن عازمون على القدوم لو لم يحصل هذا الأمر ، وضرورة نظرنا لنتيجة الأحوال ، ولا بد إن شاء الله بعد عشرة أيام ، تبين لنا الحقائق الميسرة ، ويأتيكم منا خبر بعزمنا إن شاء الله . ولهذا يلزمكم ألا تتحركوا من محلكم والانتظار لازم ، يكون معلوما .

هذا ما لزم تعريفه ودمتم محروسين .

٤ ربيع أول سنة ١٣٤٣

٩

من جلالة الملك إلى المؤلف فى تأمين غير المحاربين على أموالهم وأنفسهم والتعهد بتعويض المنكوبين فى حرب الطائف

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل، إلى جناب الأخ المكرم الأفخم ، الشيخ حافظ وهبة المحترم ، سلّمه الله تعالى ، آمين .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام . تقدّم قبل هذا جملة مكاتيب ، فيها اللازم بوقته ؛ ومع هذا إليكم ، أخذنا كتابكم بدون تاريخ ، وجميع ما شرحتموه أحطنا به علما . ولا سيما ما بلغكم من تولينا على مكة والمدينة ، وسروركم فى ذلك ؛ الله تعالى يسر خاطركم بما تحبون . أما نحن فلا نستبعد ذلك وخصوصا أمر مكة ، شرفها الله ، وإنما لا نقدر نجزم به قبل ورود التعريف لنا من قيادة الجيش ، وللآن لم يرد لنا علم بذلك ، وإنا لمنتظرون إن شاء الله ، وعند ورود خبر إلينا نعرفكم به إن شاء الله .

وأما ما أشرت إليه من تدارك الأمور ، والاحتياط لتأمين الناس على أرواحهم وأموالهم ، فهذا أمر لازم ، وسنأخذ بالأسباب القوية له . بحول الله وقوته ، لا يحصل أقل خطر على أرواح وأموال أى أحد ممن لا يكون له تدخل فى محاربة ولا غيرها من مساعدات الأعداء . فكن على ثقة إن شاء الله ، أن من لا يتدخل فى هذه الأمور ، يكون فى أمان على كل عزيز لديه وتأكد ـ سلمك الله ـ أننا محتاطون للأمر .

ومؤكدون غاية التأكيدات على رؤساء الجيش وعلمائهم، بالاحتراز من ذلك، ولا يدخل في فكرك أنهم يتعدّون الأمر ، أو يتهاونون به : مع هذا كله ، نحن فقط ننتظر ورود الأخبار في هذه الأيام : التي لا شك إن شاء الله أنها قريبة منا ، وعند معرفتها نحن عازمون إن شاء الله ، على إرسال أحد الأسرة ، ونُصْحبه من نعتمد على معرفتهم ، وحسن تدبيرهم : وكل الأمور إن شاء الله تكون طبق الإرادة ، بحول الله وقوته ، ولا بد أن تبلغكم الحقائق منا بعد هذا بما يسركم إن شاء الله . هذا ما لزم تعريفه ودمتم محروسين .

٨ ربيع أول سنة ١٣٤٣

ملاحق خبير :

سلمك الله ، مرسل إليكم صورة البرقية التي أبهيتم إلى الجمعيات الإسلامية والجرايد تكذيبا لإشاعات الأعداء القائلة بانتها كنا لحرمة السكان والمجاورين ، فقد وصلت صورة ذلك ، وأسماء من أبهيتموه لهم . والحقيقة أن التكذيب ، والنفي جائز ، وحسنا فعلتم ، غير أني ـ سلمك الله ـ ما كنت أود أنكم تتعهدون بأننا مستعدون لتعويض كل من حصل له ضرر في دمه أو ماله بمقتضى ـ سلمك الله ـ أنه غير خاف عليكم أن غالب جند هذا الخبيث الطاغية ، مجتمعون من كل البلاد ، فيهم الهندى ، والجاوى ، والعربى ، وهم ناس مأجورون ، وليسوا من أهل الحجاز وهؤلاء عند من لا يعرفون الحقيقة أجانب ، ولكنهم بالواقع جند محاربون أيضا . هنا أناس مر عليهم نصف قرن ، وأزيد أو أدنى ، وهم بالحجاز متوطنون ، وربما يحصل منهم مساعدة للأعداء في أمورهم الحربية وقوميتهم بذلك ، وغير ظاهر عليهم لجند المسلمين سبيل توجب جرمهم فيه . المقصود الأسباب كثيرة ، والناس يأخذون بالظواهر ، ولا يدرون ما بطن من الأمور ،

بسبب بعدهم عنها ، فقط يقيسون قياس فلان بن فلان الهندى أو الجاوى أو غيره ، هذا يعد أجنبيا، والواقع خلاف ذلك ، أعماله أعمال وطنى ، وأزيد من أعمال أهل الوطن .

وكل تعريفى هذا قياس ، وهو بالحقيقة هو الواقع ، وبموجب ذلك يوم احتج الإنكليز علينا فيما ذكروه بتلغرافهم ، ما سلمنا لهم بالخضوع للتعويض ، ولا بحصول ذلك الأمر الذى ادّعوا به ، بل نفيناه ، وقلنا إن صح شىء منه فسوف نتفاهم مع الحكومة فيه ، لأجل ما نحب أن نقرهم بشىء لم نكن على يقين من أمره .

فلهذا ، أود أنكم لا تتعهدون باستعدادنا للتعويض ، ولو راجعتمونا بذلك لبيّنا لكم الذى نراه ، ولكن حضرتك — سلمك الله — تحب المبادرة بنفى الإشاعات الملفقة ، وأنا أحب من جنابك أن لا تجعل بها شيئا يوجب تقيدنا بشىء تجاه العالم ، أردت أن أبين لك رأيى فى ذلك ، ولا تظن أن لكتبه شيئا فى نفسى ، لا بل أحب أنك دائما تواصل عملك بما تراه مفيدا ونافيا عنا تهم الأعداء . وإنما أريد منع الشىء الذى نتعهد به إذا رأيت فيه تمسكا علينا لو تراجعنا فيه .

هذا رأى محبكم . والله أسأل أن يوفقنا جميعا لما فيه الخير والصلاح[1] .

حفظك الله .

---

(١) يشير كتاب جلالة الملك إلى البرقية التى أذاعها المؤلف بعد فتح « الطائف . ونفى فيها التهم والإشاعات التى أرجف بها الأعداء لتشويه سمعة الإخوان النجديين الفاتحين ، والتأثير فى نفوس البعيدين عن مجرى الحوادث ، وهذا نصها :

« تكذب حكومة (نجد) ما يذيعه خصومها من انتهاك جنودها حرمة السكان المسالمين فى الحجاز . إن حكومة نجد على أتم الاستعداد ، لتعويض كل من أصابه ضرر من أهالى الحجاز ، أو للمجاورين فيه ، الذين لم يقاتلوا مع الجنود الحجازية ، فى الدفاع عن الحجاز » .

وقد أرسل نص هذه البرقية إلى كثير من صحف العالم والجمعيات الإسلامية فى الهند ومصر وسورية ، وهذه أسماء تلك الصحف :

بالهند : تيمس أف إنديا ، الديلى كرونيكل ، همورد ، الخلافة ، جمعية الخلافة ، مسلم أو تلوك (لاهور) ، الجامعة (كلكتا) .

القاهرة : الأخبار ، الأهرام ، المقطم ، السياسة ، وادى النيل ، المحروسة ، البلاغ ، اللواء المصرى ، جمعية الخلافة ، (الأزهر) .

بسورية : ألف با ، فتى العرب ، المقتبس .

١٠

من جلالة الملك إلى المؤلف

يتضمن رأى جلالته فى الأمور المعتادة فى موسم الحج

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل ، إلى جناب الأخ المكرم الشيخ حافظ وهبة ، سلمه الله تعالى ، آمين .

سلام عليك ورحمة الله وبركاته . وبعد . الخط الكريم مصدق ، وماعرّفت كان معلوما . أما ما يتعلق بالأمور المعتادة فى الموسم :

فأولا : الناس يعلمون فى اليوم السابع ، أنّ الناس فى المناسك ، هذا ما يخالف عُرف المشايخ ، إنك مُراجعنا ، وإنى موافقك على ذلك .

وثانيا : الخطبة ننظر فيها إن شاء الله وأعرفك .

وثالثا ورابعا وخامسا : هذى مواد تبحث فيها أنت والمشايخ تتذاكرون فيها ، وتذكرلى أىّ شىء يقولون ؟ وهذا واصلك خط لهم .

وسادسا : هذا شىء واجب وحده ، إن شاء ننظر وندخل محمدا أو أحدا من العيال والغالب أنه الأخ محمد ، تبيّنون له الأمور والملاحظات اللازمة ، ويمشى على مقتضاها .

وسابعا : القوة التى فى عرفة ، هذا شىء واجب . وأما من يعين لينفذ الحكم فى الناس ، فهذا شاقّ علىّ ، ولا بد أن تبحث عمن يقع نظرك عليه ، وتعرفنى فيه . أما

الرجل الذى من أهل الشريعة ، فتبحث أنت والمشايخ فيه ، وتبين المسائل كلها التى تتعلق بالحج ، ابحثوا فيها كلها ، وعرفنى حتى يجيئك تعريف ، وأنت إنسان موفق ، لموجب اجتهادك فى هذه المسألة ، وتعريفى إياها لأن كثرة الشغل تصدنى عنها ، واعتمادى على الله ثم عليك ، وقد أهملتها فيكون جميع ما يبدو لك من هذه الأمور موضع بحث بينك وبين المشايخ . ثم تعرفنى لأعرضها على الذين عندى ، وتصدر عن اتفاق من طرف ابن سليمان ، وبعض الشغل الذى بعرفات ، هذا وأصلك له خط أيضا ، بشرتونا بخصوص العين ، وهذى بشارة طيبة ، والأصل فيها أنت ، بارك الله فيك ، وبخصوص الشيء ونواقص الكسوة ، لابد أن تسلموا هذه القيمة ، تستسلفها وتسلمها له على كل حال . كذلك جاءنا مكتوب عرض حال من خدام الحرم الذين لهم معاش ونحن اليوم تضيق علينا المسألة . ونحن مقبلون على أمور تدعو إلى الانفاق ، إن رأيت لها سدادا من أحد ، فلا تدخر ، لأن المصرف علينا كثير فى هذا الوقت ؟ وعرفنى بذلك عاجلا . وأما مسألة الشيخ نورى فطانى ، فيصل إليكم قراره وخط لأهل المجلس ، هذا ما لزم ، ودم سالما محروسا .

الختم ٢٢ ذو القعدة سنة ١٣٤٣

١١

من جلالة الملك إلى المؤلف ، يبين له موعد قدومه إلى مكة لقضاء الموسم ؛ ويذكر بعض التدبيرات فى حصار جدة

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل ، إلى جناب الأخ المكرم ، الشيخ حافظ وهبه ، سلمه الله تعالى ، آمين :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام . بعده الخط المكرم وصل ، وما عرفت كان معلوما منه قبل ماصنعنا ، وقد عزمنا اليوم أن نستقيم فى مكاننا إلى نهار الثامن ، وهو الأمر الذى يراه المسلمون ، ولكن إرادة الله تغلب كل إرادة . أهل الرويس قسم الله أنه يتغير عليهم الماء والهواء إلى آخر درجة ، ولهم أيام يتصبرون ، ولكن صار الأمر ضروريا بعدم استقامتهم ؛ ورأينا أننا نتوكل على الله ونرحل ، وخلَّينا من المسلمين طوائف ، كل طائفة مع واحد من قوادهم ، الذى قعد إن شاء الله خير ، وصار مقدار الذين ينبغى أن يتأخروا ... ألفا أو خمس مئة من دون ابن حشر وقومه ماندرى ، مبلغ عددهم ، الله ينفع بهم ولا يكلنا إليهم ، وأبقينا معهم مدافع وعُدَدا ، وهؤلاء إن شاء الله يستقيمون فى حصار جُدة حتى يقضى الله الحج ، أُرَجِّى أن الله لا يكلنا إلى جهدنا ، ويذلّ كل عدو . أما نحن فالغالب أننا نروح عليكم ثانى نهار الأحد ، ولابد إن شاء الله أن يصل إليكم منا تعريف ثان .

هذا مالزم تعريفه ، ودمتم محروسين ، والسلام .

٢٨ ذى القعدة سنة ١٣٤٣

١٢

من جلالة الملك إلى جلالة ملك مصر
فى الثناء على بعض المصريين الذين أدوا خدمات فى موسم الحج

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل آل سعود ، إلى حضرة صاحب الجلالة ملك مصر ، وصاحب بلاد النُّوبة والسُّودان وكُرْدفان ودارفُور ، أيده الله بتوفيقاته .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد فإنى أنتهز فرصة مُثول الأستاذ الشيخ حافظ وهبه مستشارنا الخاصّ ، بين يدى جلالتكم ، فأذكر لكم بكل فخر وإعجاب ، أن الدكتور « عبد الهادى أفندى خليل » حكيمباشى ، مستشفى الأوقاف المصرى . وأحمد أفندى صابر ناظر التكية المصرية بمكة المكرمة ، قاما بخدمات جليلة وقدّما تضحيات عظيمة ، لخدمة الإنسانية ، فى بلد الله الحرام ، فجملا لمصر ومليكها أسمى مكان فى القلوب ، وإنى لا أشك أن جلالتكم تشعرون بذلك ، وتشاركوننا فى هذا الإحساس . وإنى إزاء ذلك أرجو من جلالتكم أن تتعطفوا عليهما برتبة البكوية ، مكافأة لها على إخلاصهما ، وتنشيطاً لها ولأمثالها ، وتذكارا للمجهود العظيم الذى بذلاه ولا يزالان يبذلانه ، فى ظروف صعبة .

وتفضلوا يا صاحب الجلالة بقبول أسمى احترامات ومحبة أخيكم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الختم　　　　عدد ٢٤١ ، ٢٣ جمادى الأولى سنة ١٣٤٤

١٣

من جلالة الملك إلى المؤلف يعلق على اقتراح المؤلف استقدام موظفين مصريين لتنظيم شئون الجمرك والحجر الصحى وغيرهما . ويبدى بعض المخاوف من حدوث مشاكل

بسم الله الرحمن الرحيم

جناب المكرم الشيخ حافظ وهبه ، سلمه الله تعالى :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . بما أننى أعدك أشفق على نفسى وملكى من نفسى ، ولاشك فى جميع ما يصير علىّ فيه انتقاد ، لأنك أحرص على نفسى وملكى من كل قريب ، وبهذه الأيام عرّفتنى أن الأحسن أن نكتب للدكتور سالم[1] من قِبَل جَلْب موظفين من الحكومة المصرية ، لأجل الجمرك والحجر الصحى وغيرها ؛ وكتبت وثوقا بالله ثم بك ، أن هذا الأمر ما فيه خلاف ، ولا يلحق منه ضرر باستقلال البلاد ، ولا فيه انتقاد علينا من جميع الناس. ولكن فهمت ، فإما أن يكون الفهم غلطا أوحقيقة ، أن مثل جلبنا لمثل هؤلاء الموظفين ، يكون نقصا فى استقلال البلاد ويحصل فيه انتقاد ، كأن البلاد تابعة لبلاد الآخر ، أو من هذا القبيل . ومعلومك أنه إذا صار انتقاد أو تدخل ، أن هذا شئ مشكل. لهذا أحببت أن أعرفك لأجل أنك المسئول عن ذلك ، إذا كان فيه بأس . إذا جاء الموظفون ، وصاح أهل الحجاز أو أهل الهند ومصر

---

(١) المرحوم الدكتور سالم هنداوى .

وانتقدونا ، فإن رجعنا الموظفين صار نقصا فى حقنا وفى حق حكومة مصر . وإن أثبتناهم صارت الأخرى .

المقصود أنت أعرف بالقوانين والمشكلات . إن صار هذا الجواب الذى سمعته أنه غلط ووهم . فالحمد لله أنا على عزمى ، وهذا الذى أريد . فان كان الأمر فيه مشكل . فأنت تعرف أنك المسئول ، لأجل أن اعتمادى هو على الله ثم عليك .

ودم محروسا

٢٨ رجب ١٣٤٤

١٤

من جلالة الملك إلي المؤلف يناقشه في أمور مبينا له ثقته به إلي أبعد غاية

بسم الله الرحمن الرحيم

جناب المكرم الشيخ حافظ وهبه ، سلمه الله تعالى ، آمين .

السلام عليكم ورحمة الله و بركاته . مكتوبكم وصل ، وماذكرت كان معلوما .
وأما مابينت لى من نصحك وحميتك الدينية العربية ، فأنا أشهد لك بذلك ، والدليل على شهادتى وثوقى بالله ثم بك ، واعتمادى على الله ثم عليك ، أعظم مما أعتمده على نفسى . ولكن الذى جعلنى أعتب عليكم أمران : الأول أنك نقدتنى بالخطأ بخصوص فؤاد ومصر ، وأنت ترى احتقار فؤاد لنا ، حتى الجواب مايرده لنا . وهو والحمد لله ماهو على شيء من القادرين إلا ما يكون تشنيعا أومنع حج أومثله . وكنا قائمين بحقوق المصريين فى كل مايلزم . وجميع ماصنعت أنت لأجلهم أجبناك إليه وشيء تراه أنت بعينك وقد أحدث بعض القلق وهو مسئلة المؤتمر . وقد كتبت لك مكتوبا فيه بعض الشدة . ولكن منعت نفسى وتركته . ثم بعد ذلك جاءت حكاية هذا المصرى المارق الذى أمسك بواحد من كبار المسلمين يضربه ويلعن دينه وحكومته ، وتطالب بمسامحته. فالحقيقة أن هذه أزعجتنى كثيرا . وحكيت من غير وعى . لأننى أجزم فى نفسى أنه لو كان الأمر يتعلق بنفسك أوولدك . لكان الفداء له نفسى وحكومتى : هذا هو أملى وظنى . وتعرف ياحافظ ياأخى أن الرجل الذى لايجزع على حكومته ورعيته مافيه خير . والحمد لله رب العالمين ، الحق مبذول للخاص والعام والحقيقة عندك . ومثل ما قالت العامة : « الفعل مُكذِّب الألسن » وأما حقك وواجبك علينا . فهذا إن شاء الله تجده ونحن محافظون حتى على اسمك ومن ينتدب إليك إن شاء الله .

١ شوال سنة ١٣٤٤

١٥

من جلالة الملك إلى المؤلف ، يستنكر عدم اعتراف أمير الحج المصرى بخطئه فى قتل الناس ، فى كتابه الذى أرسله عند أزمة دخول المحمل المصرى الأراضى المقدسة

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة المكرم الشيخ حافظ وهبه سلمه الله تعالى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد ، الخط وصل ، وما عرفت كان معلوما وخط أمير الحج وصل ، وهذا يا أخى ما يكفى ، لأن ما فيه ما يثبت أن الخطأ منه . بقى الآن أنه لم يكتب ولم يبين أن الخطأ منه فى حربه هذا ، وقتله هذه الأنفس وغيرها ، ويعتذر عن خطئه ، وإلاّ فلا يمكن إثبات أن الخطأ منه ، والإقرار به ، فنحن نكتب للقنصل ، وهو يقدم احتجاجنا الذى عنده ، وتجرى الأمور على حسَب ما يدبره الحى القيّوم ، يكون معلوما ودمتم .

١٥ ذى الحجة سنة ١٣٤٤

١٦

من جلالة الملك إلى المؤلف فى أزمة المحمل المصرى وعجز المؤلف عن إقناع المصريين بوجهة نظر النجديين، وطلب إعفائه من خدمة الملك

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل ، إلى جناب المكرم الشيخ حافظ وهبه المحترم ، سامه الله .

السلام عليكم ، خطك وصل ، وما عرّفت كان معلوما .

تذكر من أمر المحمل ، أنك أقنعتهم . وأنك بعد ذلك سمعت أن السيد رشيدا ويوسف تكلما معى . نعم ، أما أنت فقال لى ابن سليمان : إن حافظ يقول عجز عنهم ولا بقى لى فيهم حيلة أبدا . وجواب ابن سليمان هذا وصل إلىّ عند الضحى ، ثم بعد صلاة الظهر تكلم معى رشيد ويوسف ، وقالوا لى هؤلاء غُشُم ، و بين لى الذين تكلموا معى ، حتى ظننت أنك متفق أنت وهم على هذه المسألة ، فكيف يصير لك مشورة علينا ؟ وأنت تقول : عجزت وأيست . وأما استعفاؤك من الخدمة ، فهذا أمر لا نرى له موجبا ، فإن كان هنا سبب ثان فبينه لنا ، والله لا يضيع أحدا ، يكون معلوما . ودم محروسا .

١٦ ذى الحجة سنة ١٣٤٤

١٧

من الشيخ عبد الله السليمان إلى المؤلف بأمر جلالة الملك
أنه لا بد من إخراج المحمل المصرى من الحرم
إن طوعا وإن كرها

بسم الله الرحمن الرحيم

جناب المكرم الشيخ حافظ . سلمه الله :

سيدى بلغت مولاى بخصوص المحمل وعدم قبول الجماعة خروجه ، وقد أمرنى أن أبلغ حضرتكم أن خروجه لازم على كل حال ، فإما أنهم يخرجونه هم بأنفسهم ، وهو أولى وأحسن ، وإلا كنا مجبرين على إخراجه نحن بأنفسنا ، فلا يمكن أن نقبل تمسح هؤلاء الناس ، ولا دفعهم ما يعد صدقة له من قروش .

المقصود سلمك الله ، الملك مُلزم أنكم تحرصون على إخراجه بأى حالة تكون ، وتصبرون على المشقة والكلفة ، وتعطونا الجواب السريع ، بإنجاز خروجه من الحرم فى يومنا هذا . ودمتم .

١٦ ذى الحجة ١٣٤٤ عبد الله

١٨

من جلالة الملك إلى المؤلف بصدد استشفاء سمو الأمير سعود بمصر والحديث فى مسائل شتى

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل إلى الأخ الكريم الشيخ حافظ وهبه ، حفظه الله تعالى آمين .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد فقد وصلنا كتابكم ، وسرنا جدا مالقيه ولدنا « سعود » من الحفاوة والإكرام من الحكومة المصرية ، ومن الشعب المصرى الكريم ، وقد كان لهذه المظاهر الأبوية أحسن أثر فى نفسى وإنى أتمنى كما تعلم ، أن تكون صلاتنا مع مصر على الدوام ، على أحسن وأتم ما يكون ؛ وإنى أحمد الله على هذه الفرصة التى سنحت لتوطيد دعائم الوداد بين البلدين ، وأتمنى من الله أن يوفقنا على الدوام لكل ما به وسيلة لتوطيد روابط الصداقة والولاء بين جميع المسلمين .

ذكرتم فى كتابكم تستفسرون عن حقيقة ما ذكره ناظر التكية عن شكل ذهاب ولدنا « سعود » قد كتبت فى هذه المسألة حتى لا ينتشر الخبر إلا كما هو ، وقد ذكر فى بعض الصحف المصرية حقيقة الخبر ، فاطمأن فكرى من هذا القبيل . أما ناظر التكية فقد زار يوسف ياسين فى المطبعة ، وأخبره فى عرض الحديث ، بأن الحكومة هنا، هى التى طلبت من الحكومة المصرية ذهاب « سعود » وكتب بذلك أمير الحج والأستاذ الظواهرى ، وبطيه المكتوب المقدم إلينا من يوسف ياسين فى هذا

الخصوص ، اطلاعكم عليه كفاية . أما ما رواه العتيق فذلك الظن بكم : بأنكم لا تقدمون على مثل ذلك الطلب فى هذا الموضوع ، وعلى الأخص إلا بعد مراجعتنا ، لأن هذه المسألة من المسائل الداخلية ، وأنتم تعلمون أنه ليس من مصلحتنا قبول تدخل أحد فيها . وبطيه الكتاب المقدم إلينا من العتيق و باطلاعكم عليه كفاية . أما مسألة الشركة ، فإن المصلحة قضت بإنذار أرباب الامتياز ثلاث مرات ، بحسب شروط صك الامتياز ، ولما لم يعملوا بما فى الصَّك ، كان لابد من اعتبار الامتياز ملغى ، وأنت تعلم أننى أنا الذى أجبرت أهل الحجاز على قبول إدخال الرجل المصرى فى امتياز الشركة ، وكنت أنتظر أن ينتظم أمر هذه الشركة ، وتتآمن راحة الحجاج وراحة أهل الحجاز ، ولكن الأمر جاء على العكس، وأصاب الحجاج وأهل الحجاز والحكومة من الشركة الحاضرة مضارٌ كثيرة ، لذلك اضطررنا للعمل بصك الامتياز ، وجرى الإنذار ثلاث مرات .

أما الخبر الذى شاع عندكم من المؤامرة فلا أصل له بتاتا ، ولم نسمع به إلا من جرائد الخارج .

وأما مسألة المفاوضات مع حكومة مصر ، فليس منها فى الوقت الحاضر شىء ذو بال، والمسألة بيننا وبين الحكومة جزئية ، وإذا كان لا بد من بحث ، فنحب أن يكون البحث معنا هنا ، لأنه أضمن للمصلحة ، وأحفظ للعمل . وأرى أن تكون أعمالكم فى مصر مقصورة على المعالجة والمجاملات الودية .

وفى الختام أتمنى لكم ولمن معكم الراحة والهناء ، وأسأل الله التوفيق لنا ولكم .

والسلام ؟

تحريراً فى ١٠ صفر سنة ١٣٤٥ الختم

١٩

من جلالة الملك إلى المندوب السامي البريطاني بالعراق . احتجاجا على مخالفة الحكومة العراقية المادة الثالثة من بروتوكول المعاهدة العراقية السعودية

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العزيز بن عبدالرحمن آل فيصل آل سعود، إلى حضرة صاحب الفخامة المندوب السامى البريطانى بالعراق .

بعد التحية والاحترام : نحيط فخامتكم علما، أننا تلقينا فى الآونة الأخيرة تذمرات عديدة من « نَجْد » . ذكر مقدموها ما حصل عندهم وعند جميع سكان البلاد النجدية من القَلَق والاضطراب ، حينما بلغتهم أنباء الأعمال العسكرية التى تقوم بها السلطات العراقية على الحدود . فقد تواتر أن هنالك إجراءات وتدابير جديدة تقوم تلك السلطات ببنائها قلاعا وأماكن مستحكمة ، وثكنات لإقامة الجند فى « بَصَوة » الواقعة فى نقطة قريبة جدا من الحدود النجدية . ولا يخفى على فخامتكم : أن القيام بأعمال عسكرية كهذه ، وبناء تحصينات وثكُنات لإقامة الجند فى الأماكن الواقعة على الحدود ، يخالف مخالفة صريحة للمادة الثالثة من البروتوكول المنعقد فى (العُقَير) فى ١٢ ربيع الثانى سنة ١٣٤١ ، وقد بذلنا كل جهدنا فيما مضى للمحافظة على نصوص هذا البروتوكول والاتفاقيات الأخرى ، حبا منا فى تقوية العلاقات الودية وتوطيدها . فمنعنا كثيرا من

العشائر التى راجعتنا ، بخصوص إقامتها فى بعض المواقع الكائنة على الحدود ، ولم نمكنها من ذلك ، رغبة منا فى المحافظة على نصوص المادة الثالثة المذكورة آنفا .

ولذلك فاننا نقابل عمل الحكومة العراقية هذا بالدهشة والاستغراب ، والأسف فى آن واحد ، ونظهر لفخامتكم امتعاضنا من هذه الأعمال ، ومن الأعمال الأخرى التى شاع أنها عازمة عليها ، من مد سكة حديدية أيضا ، من العراق إلى « بصوة » ، ولا يمكننا كذلك إلا الاحتجاج الشديد عَلَى تصرفات الحكومة العراقية ، المناقضة لنصوص المعاهدات الصريحة ، آملين أن الحكومة البريطانية لاتسمح بهذه الأعمال ، التى لامبرر لها ، وأننا نتلقى منها تأكيدا فى القريب العاجل ، بعدم موافقتها للحكومة العراقية عَلَى خَرْق عهودها .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام .

فى ٩ ربيع الأول سنة ١٣٤٦

٢٠

من جلالة الملك إلى المندوب السامى البريطانى فى العراق ، للاحتجاج على بناء الحكومة العراقية قصورا وثكنات قريبة من الحدود ، وأن ذلك مخالف لنصوص المعاهدة التى بين العراق والسعودية

بسم الله الرحمن الرحيم

فى ٢٤ ربيع أول سنة ١٣٤٦

من عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل آل سعود، إلى حضرة صاحب الفخامة المندوب السامى البريطانى فى العراق .

بعد الاحترام

نحيط فخامتكم علما بوصول كتابكم (رقم ٩٩٦٣ تاريخ ١٧ أغسطس ١٩٢٧) بخصوص التدابير التى رأت حكومة العراق أن تتخذها لمنع وقوع غزوات من قِبَل عشائر (شمّر) التى اجتازت الحدود العراقية إلى الحدود السورية ، فأحببنا أن نوجه نظر فخامتكم إلى النقاط الآتية :

١ — أننا نأسف لعدم تلقينا جواب كتابنا الذى تشيرون إليه إلى الآن ، وبعد أن انقضت مدة قريبة من السنة عليه ، مما جعلنا نشك فى تلقى الحكومة العراقية لمطالبنا بالارتياح .

٢ — أن التدابير التى تشيرون إلى أن الحكومة العراقية تتخذها على الحدود لأجل إنفاذ نصوص معاهدة (بَحْرة) تخالف مخالفة صريحة نصوص المادة الثالثة من البروتوكول المعقود فى «العُقير» فى (١٣ ربيع أول سنة ١٣٤١) لأن الحكومة العراقية بإقدامها على أن تنشىء على الحدود، وفى أماكن قريبة منها، ومن المنطقة المحايدة ثكنات ومواقع عسكرية، تكون غير قائمة بما تفرض عليها نصوص المعاهدات الجارية المفعول، ولا يمكن أن يُفَسَّر هذا العمل إلا بأنه لقصد لاتنظر إليه القبائل النجدية بعين الارتياح. وقد سبق وذكرنا لفخامتكم فى كتابنا (رقم — ٣ — ٢٧ — بتاريخ ٩ ربيع أول سنة ١٣٤٦) أن شيوع أخبار تحصين الحكومة العراقية للحدود، وإقامة المخافر والمواقع العسكرية عليها، قد أوجب قلق القبائل النجدية، وهياجها هياجا لايمكن إخماده، إلا بإقناعها بحسن نية الحكومة العراقية، وعدم توجيه تلك التحصينات لمقاومتها.

من أجل ذلك، نكرر لفخامتكم ماورد فى كتابنا الآنف الذكر، ونرجو من فخامتكم اتخاذ التدابير اللازمة لإزالة تلك التحصينات من الحدود، وإفهام الحكومة العراقية، أنه مهما كانت صادقة النية فى اتخاذ التدابير، للوقوف دون قدوم المغيرين من القبائل الداخلة فى الحدود السورية على الأراضى النجدية، فإن استعمالها الحدود كنقط عسكرية، لايمكننا أن نغفل عنه، بل إننا نصرّ كل الإصرار على إزالة كافة التحصينات والنقط العسكرية، وعلى إعطائنا الضمانات الكافية على قيامها بنصوص المعاهدات.

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام.

٢١

من جلالة الملك إلى جميع دوائر الحكومة بالمدينة لاستقبال هيئة التفتيش والاصلاح ومعاونتهم على أداء مهمتهم

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبدالعزيز بن عبد الرحمن الفيصل ، إلى كافة دوائر المدينة المنورة ، سلمهم الله تعالى آمين :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام .

بعد ذلك واصلكم الشيخ حافظ وإخوانه أعضاء « هيئة التفتيش والإصلاح » فعند مايصلون إليكم تحسنون استقبالهم ، ويفتشون جميع الدوائر ، وجميع ما يطلبونه أطلعوهم عليه ، وجميع مايقررون امشوا عليه .

المقصود : أوامرهم التي معهم هي تقريراتي ، ولا لأحد حق الاعتراض عليهم في جميع مايفعلونه ، وتحرصون إن شاء الله على جميع ماذكرنا لكم يكون معلوما .

هذا مالزم تعريفه ، ودمتم محروسين .

٢٨ ربيع أول سنة ١٣٤٦

٢٢

كتاب من جلالة الملك إلى دوائر أهل المدينة . يبين تجديد بعض هيئات الموظفين وتعيين اختصاصهم

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل ، إلى كافة أهل المدينة ، سلمهم الله تعالى آمين :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام .

بعد ذلك بارك الله فيكم .

من قِبَل الولد « مشارى » هاليوم استرخص منا ، لأجل تغيير الهوا فى نجد ، ولم نأذن له ، وبعد ذلك لما اشتد المرض عليه سمحنا له ، وحالا عمّدنا عبد العزيز بن إبراهيم وكيلا للإمارة ، وياسين الزواف معاونا له . أما الوظائف الباقية ، فقد أرسلنا هيئة التفتيش والإصلاح ، تنظر فى جميع الدوائر ، وأموركم جميعاً ، فبينوا لهم ما لكم وماعليكم ، حتى جميع الأمر الذى معهم فيه تفويض ، يمضونه ويفعلونه ، والأمر الذى ليسوا مفوضين فيه ، علنا أوسرا تبينونه لهم ، وهم يبدونه لنا ، والآن أنتم خرجتم من ذمتنا إلى ذمة أنفسكم إذا مابلغتونا بكل شىء ، وإلى ذمة هيئة التفتيش والإصلاح ، فثلاث أمور لابد أن تحل ، وينتخب لها انتخاب جديد ، هيئة الأوقاف ، ومجلس الإدارة ، وهيئة البلدية ورئيسها ، كلها تُعمل من جديد ، بالانتخاب العادى .

المقصود من ذلك ، أنكم إن شاء الله تساعدون على أنفسكم ، وتبينون كل مهم

وانتخابَ الرجال الذين فيهم صلاح الأمر فى الدين والدنيا .

وأما أمر الدين ، فالعمدة على ما يقرره الشيخ عبد الله وإخوانه المساعدون له كذلك فلعلكم تسمعون بشدة عبد العزيز بن إبراهيم ، وتهابون منه ، وهذا شيء لا حقيقة له ، ابن إبراهيم شديد على العاتى ، حبيب لمن سلك الطريق ، وعرف حق نفسه ، وعلاوة على ذلك أوصيناه بما يلزم ، وأكدنا عليه التأكيد الذى إن شاء الله لايتعداه . أما غلبة اعتماده وأموره فهى على الله ، ثم على الأحكام الشرعية ، بجميع أمر يرد إليه ، يقدم فى ذلك الشرع ، ويتقيد بذلك ، ولايتعداه مثقال حبة . فأما أمور الدوائر العائدة إلى مالا مدخل للشرع فيه ، فهو يمشى على ماشُرِع له فى كل دائرة بمشروعها لا يتعداه ، ولايتدخل فيه إلا بإمضاء الأوامر ، التى هو ملزم بإمضائها ، ولكن له النظر فى جميع مايجرى ، وجميع مايحدث خلافا لما شرع ، مما كان يمضى فى البلد من الجزئيات ، فهو يمشى على المشروع ، وما كان مرجعه إلى النيابة فى جميع الأمور الراجعة لها ، وأوصيناه بالرفق ، وتقويم أوامر الله ، والأخذ بيد من قام بها . وستجدونه إن شاء الله كما ذكرنا لكم وأزيد ، وإن شاء الله تكونوا متعاونين أنتم وإياه على البر والتقوى ، وتجتهدون فى حسم مادة الشقاق والقال والقيل ، وترويج الأغراض الخصوصية .

نرجو الله تعالى أن يوفق الجميع للخير ، وأن ينصر دينه ، ويعلىَ كلمته ، إنه على كل شيء قدير .

هذا مالزم تعريفه . ودمتم محروسين .

١٠ ربيع ثان سنة ١٣٤٦

٢٣

عهد من جلالة الملك بتعيين وكيل لأمير المدينة ومعاونه من الحكام، مع بيان اختصاصهما، واختصاص الهيئات المسئولة عن الإدارة والحكم والأمن والنظام والدين في المدينة

[نمرة ١ / عدد ٧٢٣ سنة ١٣٤٦]

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل، إلى جناب المكرمين: عبد العزيز ابن إبراهيم، وياسين الروّاف، سلّمهم الله آمين.

بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

ثم الأمر الذي نأمركم به أنت يا عبد العزيز بن إبراهيم، وياسين الرّوّاف.

أولاً أنت يا عبد العزيز تكون وكيلاً لأمير المدينة، على شرط أنك تراعى الناس بمراعاة الحق واللين والطمأنينة.

أما مسألة الحاضرة وأحوالهم وترتيباتهم، فلك النظر على جميع أمر يخالف الشرع أو يخل بالولاية، أو يضر بالأهالى، أن تؤدّى رأيك فى ذلك، ولا تقبل جميع أمر يخل بأمرنا كما ذكرنا.

وأما مسئولية الأحكام وتنفيذ الأمر المشروع، والقيام بالواجب نحو البلد، فالمسئول عنها ابن رَوّاف، ومجلس الإدارة، فهذا موجب دوائر البلد وحالتها.

وأما الإمضاء فلا يجرى أمر إلا تحت إمضائك . فالأمور التى عائدة لتنفيذ أمير المدينة فنفِّذها ، والأمور التى تحتاج إلى نظر ومراجعة النيابة ، يجب عليك مراجعة النيابة فيها ، و بعد نظر النيابة وتنفيذها ، تنفِّذها أنت .

فأما البادية فرجعها كلها إليك ، ليس لمجلس الإدارة تدخل فيها ، بل مرجعها إليك ، ومراجعة النيابة فى أمور البادية لازمة عَلَى كل حال ، ولكن أمر البادية كما قيل : (أكرب وجْهك وأرْخ يديك) .

أما القتل والضرب والنَّكال ، فهذا كله ما يصير إلا بعد تنفيذ أمر الشرع ، ويحكم على أن يصير عليه تعزير ، فلا تمض فى ذلك ، خصوصا فى القتل والنكال الشديد ، أو الحبس الطويل ، حتى تراجع النيابة ، وإذا أمضتْه فنفذه . ومن قِبَل التحرّص على الطرق ، والأمان ، وموازنة الناس ، فهذا شىء اعمل به جدَّك ، وأُحرِّصك عليه جِدًّا . ولكنّ عُمدة أمرى لك ، أن يكون جميع الناس راضين عنك الحاضرة والبادية ، ولا تمض شيئا إلا بأمر المحكمة الشرعية ، لأن ذلك أتم لأمر الله وأحسن للنفوس .

وافهم أن الناس كلهم يتهمونك بالشرّ ، ولكنك إن شاء الله ، تبدل اتهامهم بالخير .

[نمرة ٢ / عدد ٧٢٣ فى سنة ١٣٤٦]

وأكبر ما أوصيك به :

أولاً تقويم أوامر الله ، وتنفيذ أمر الشرع ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، والأخذ بأيدى المأمورين بالأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، ومساعدتهم على كل حال ، فإذا انتقدت عليهم فى شىء ، فلا تتكلم فى حقهم ، لا عند خاصّ ولا عامّ ، بل اطلب رئيسهم أو كلهم ، وبين لهم الأمر ، أنّ هذا أمر فيه زيادة ، أو أنه لم يصلح ، فإن أقرّوا به ، فالحمد لله ، وإلا فراجعنا إذا نحن حاضرون ، أو تراجع النيابة . ثم لا تجعل لك من جميع الموظفين ظنينة ، بل اجعلهم جميعهم أصدقاء وبعيدين .

ومن طرف العسكرية ، خذوا بخواطرهم ، وخذوا على أيديهم ، فإذا حصل من أحد منهم، تقصير فلا ترسل خادماً من قِبَلِك ليأتى به ، بل أرسل إلى كبيرهم ، وقل له يجىء مع فلان ، فإذا جاء فنفّذ الأمر .

ومن قبل دوائر الحكومة جميعها : اجعل النظر عليها عن الفساد ، ولا لك حق تتدخل فيها، إذ بموجب القرارات المنظمة لها ، أن كلا يمشى حسب النظام المقرر عنده ، فإذا ذكر لك أن أحدا يشكو من أحد أو أنه قصر ، فاكشف على المسئلة ، وانههم عنها ، فإن صلحت المسئلة فعسى ، فإن كان الأمر غير ذلك ، فارفعه إلى النيابة .

ومن جهة خدامك الذين تحت يدك ، فافطُن إليهم ترهم هم الخراب ، لا يحق لأحد منهم أن يتدخل فى جميع الأمور إلا بأمر منك ، فإذا أمرت أحدا منهم يروح إلى دَرْب مّا ، وجاءك وقال : فلان لم يطع الأمر ، وسبّنى وعمل وعمل ، فلا تأخذ كلامه بالقبول ، بل أرسل إلى الرجل هذا بعينه ، وقابله معه ، فتراك تجد الأمر مختلفا . والحلم فى محله زين كما أن الغضب فى محله زين .

وأما من قِبَل الخدمة على الدَّعاوِي ، أما الحاضرة فليس للخدام عليهم حق خدمة ، لا قليلٌ ولا كثير ، جمع دعاويهم تَصدُر إلى الشرع ، ويصير الذى يمشى فى أمرهم الشرطة ، موجب تنفيذه كجارى العادة ، وأما البادية إذا شدّوا جيشا وراحوا بخدمتهم ، فالخدمة على المئة عشرة ، وغير ذلك لايؤخذ شيء .

[نمرة ٣ / عدد ٧٢٣ فى سنة ١٣٤٩]

وأهل العوالى وأهل العيون ، فحسابهم حساب أهل المدينة فى جميع الأمور . أما من قِبَل إخوانك الذى يصيرون عندك فلا يكونون أزيد من ثلاثين . وخيّرهم : هل رغبتهم فى الراتب مثل العسكر ، ولا نعرفهم ولا يعرفوننا ، أو يصيرون مثل إخوان مشارى .

وأما أنت يا ياسين الرّواف فمسئولية الأحكام والتقريرات جميعها عليك ، فى الأمور كلها ، فأما الأمور الحادثة فعلى طبقتين : الطبقة الأولى فهى الأمور التى مرجعها إلى الشرع ، فهذا ما أمضاه الشرع ، فامضوه ، ولا لكم حق الاعتراض عليه . وأما الطبقة الثانية ، فهى تنقسم إلى طبقتين : الطبقة الأولى هى الأمور الكبار ، التى تقرّر فى المدينة ، وتراجع النيابة عنها ، فاعملوا كما تأمركم به النيابة ، فإن أخطأتِ النيابة فمسئوليتها أعظم من مسئوليتك . وأما الأمور الخفيفة ، وأحكام البلد التى لا تحتاج إلى مراجعة النيابة ، فمسئوليتها على المجلس ، وأكبر مسئوليتها على الأمير . وعليك إذا قررتم فيها وهى مخالفة ، ولا لأحد حق ، أن يعترض على أمر مّا يمضيه الأمير والمعاوِن . وهذا الذى خطر لى .

أما الترتيبات ، فلا ترتيبكم ، ولا ترتيب حالتكم ، فالعمدة على ما قررته هيئة المراقبة ، حافظ وجماعته ، والنيابة هذا فى أمور الدوائر .

وأما ترتيب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمحكمة الشرعية والحرم ودوائره وما يجرى فيه ، الراجعة للدين وللشرع ، فالعمل على ما قرره الشيخ عبد الله بن حسن ، فيعمل به ويجيئكم الأمر فيه إما من عندنا أو من النيابة . كذلك من قِبَل الإخوان الذين يأتونكم إلى المدينة ، فاحشموهم غاية ، وإذا جاءكم أحد منهم ، وقال : رأيت منكر كذا وكذا فقل نرفعه إلى هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهي إن شاء الله تزيله ، وما أمرت به فعلناه ، وهم لا تخلوهم يمدون أيديهم ، وإذا مدُّوا أيديهم فانهَرْهم بالتي هي أحسن ، وأخبروهم بألاّ يعودوا مرة ثانية ، ولما ذكر حرر ، ليكون معلوما ، والسلام .

١٠ ربيع الثانى ١٣٤٦

٢٤

من جلالة الملك إلى المندوب السامي البريطاني في العراق لمنع مجاوزة الطائرات والسيارات العراقية الحدود السعودية

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل ، إلى صاحب الفخامة المندوب السامي البريطاني في العراق :

التحية والاحترام. وبعد، فقد وصل إلينا أنّ بعض طيارات من العراق تحوّم فوق أطراف ديارنا ، وعلى عُرْباننا ، وبعضها ينزل في وسط الأرض ثم يطير ، وأن بعض السيارات (الأوتومبيلات) تسير أيضا في بعض المناطق المحايدة ، وفي أطراف الحدود . وتعلمون فخامتكم أن أهم ما يهمنا ، هو المحافظة على حسن العلاقات بين الحكومتين ، ونكره كل ما يوجب أي سبب لتعكير الصفو، وأن الطيارات في مطارها، والسيارات في مسيرها لا تمر على بادية تستنكر ذلك ، فأخشى أن يمر بجاهل من الجهال ، لا يعرف شيئا من شأنهم . فأرجو أن تصدروا أوامركم على الموظفين وغير الموظفين ، أن يجتنبوا الطرق الداخلة في حدودنا ، صيانة لهم وللعلاقات الودية بين الفريقين ، أن يصيبها أي تعكير لا نريده ولا نرضاه .

وتقبلوا فائق احترامي .

١٠ جمادى الأولى سنة ١٣٤٦

٢٥

من ميجر « برث » باليوز دولة بريطانيا فى البحرين إلى جلالة الملك يدافع عن وجهة نظر حكومة العراق فى اتخاذ مبان قريبة من الحدود

عدد ١٢٧ سنة ١٩٢٧

بسم الله الرحمن الرحيم

فى ١٧ نوفمبر ١٩٢٧ موافق ٢٢ جمادى الأولى سنة ١٣٤٦

من ميجر برث باليوز دولة بريطانيا العظمى فى البحرين

إلى حضرة صاحب الجلالة ملك الحجاز وملحقاتها ، الإمام عبد العزيز ابن عبد الرحمن آل فيصل آل سعود ، المعظم .

بعد التحية ، وتقديم ما يليق لجلالتكم من الاحترام .

لقد أمرنى باليوز خليج فارس فى بوشهر ، أن أقدم لجلالتكم الرسالة الآتية من فخامة المعتمد السامى فى العراق (نمرة ٥٧٢ المؤرخة فى ٢٩ تشرين الأول ١٩٢٧ موافق ٤ جمادى الأولى سنة ١٣٤٦ المبرق بها من بغداد إلى جدة ، والمرسلة صورتها له لتقديمها لجلالتكم ، وهى :

وصلنى كتابكم المؤرخ (٥ أيلول) فتعجبت حيث احتججتم على بناء نقطة « بصية » من قبل حكومة العراق .

تبعد « بصية » خمسين ميلا عن المنطقة المحايدة، وخمسة وسبعين ميلا عن الحدود النجدية ، لذلك من الواضح أن المادة الثالثة من ملحق «العقير» لا تشمل هذه المسألة ، ولكن الظاهر أن جلالتكم وصلتكم أخبار مبالغ فيها كثيرا ، عن صفة هذه النقطة التي يتكون حرسها من خمسة عشر شرطيا من الهجّانة، وهؤلاء الشرطة كان تعيينهم هناك من كانون الأول ١٩٢٦ ، ولكن لم يبن لهم مكان لسكناهم ووقايتهم ، إلا من وقت قريب ، وسأقدم بالبريد ، لإطلاع جلالتكم على صورة هذا المنزل ، مأخوذا بصورة .

ليس من وجود النقطة ضرر ما ، إنما هى لمنع الغزو على الحدود ، لما فيه من الفائدة المشتركة ، التى تعود على العراق ونجد . وقد أوضح هذا (مستر بوردلن) فى كتابه الوارد من جلالتكم (كلمة هى حسبما ذكر بالتلغراف ، ولكن يجوز أنه أرسل لجلالتكم المؤرخ ١٧ آب موقع نقطة الغور هو ٣٧ ميلا جنوب غربى الديوانية ليس الناصرية كما جاء خطأ فى ذلك الكتاب : لاصحة أبدا لما يشاع من أن حكومة العراق تنوى مدّ خطوط حديدية إلى « البصية » أو تقوم بحركات عسكرية كما يشير إليه جلالتكم ، ولتكن جلالتكم مطمئنا بأن حكومة صاحب الجلالة البريطانية ، لا تقبل أبدا أن ينقض العراق ما عليه فى المعاهدة من التعهدات) .

انتهت الرسالة

هذا ودمتم باحترام

ميجر (سى جى برث) باليوز دولة بريطانيا العظمى فى البحرين

٢٦

من جلالة الملك إلى المندوب السامى البريطانى بمصر يذكر فيه ما بينه وبين دولة بريطانيا من صداقة، ويعرض عليه خلاصة الموقف فى جزيرة العرب

فى ١٢ جمادى الثانية سنة ١٣٤٦

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العزيز بن عبدالرحمن آل فيصل آل سعود، إلى جناب صاحب الفخامة المندوب السامى للحكومة البريطانية، بالديار المصرية الأفخم.

التحية والاحترام:

وبعد: فقد رفع إلينا الشيخ حافظ وهبه، خلاصة الحديث الذى كان بينه وبين سكرتير فخامتكم، وأخبرنا أن سعادة السكرتير سأله: هل يرغب فى إبلاغ الحديث بصورة خصوصية للحكومة البريطانية؟ كما أشار سعادة السكرتير أيضا بأنه لايرى مانعا من أن نجعل بيننا وبين فخامتكم صلة مراسلة، لمعالجة الحوادث التى قد تقع فى مثل الموضوع، الذى جرى فيه الحديث بين الشيخ حافظ وسكرتير فخامتكم.

وإنه ليسرنا أن نفاتح فخامتكم فى موقف «جزيرة العرب» وعلاقتها مع الحكومة البريطانية من بعض الوجوه، لنتمكن من معالجة الموقف الحاضر، بما تقضى به مصالح الفريقين المتقابلة. وغير خافية على فخامتكم، بل على كل من تتبع تاريخ علاقاتنا الشخصية مع الحكومة البريطانية، السياسةُ التى سرنا عليها فى سيرتنا السياسية، التى كنا ولا نزال نلقاها من معاملة بعض موظفى الحكومة البريطانية، أو

معاملة بعض الأشخاص الذين احتموا بالحكومة البريطانية ، ولا نزال ندافع عنهم . كما أننا فعلنا ولا نزال نفعل فى مقاومة نفوذ بعض الحكومات التى تريد مسابقة النفوذ الاقتصادى فى«جزيرة العرب» وذلك رغبة منا في المحافظة على المصالح البريطانية، وعدم تمكين خصومها من أن تبلغ منها مبلغا له أهمية .

لذلك كان من مقتضى ماتطلبه حقوق صداقتنا للحكومة البريطانية ، إنعام النظر فى مصالحنا ومصالحها توفية هذا الثبات فى صداقتنا حقه من العناية .

وبهذه المناسبة أخص لفخامتكم خلاصة الموقف الحاضر ، لنتعاون معاً على معالجته بما فيه حفظ مصالح الفريقين .

أمامنا ثلاثة أمور هامة ، تحتاج لمعالجة .

(١) موقف حكومة إيطاليا الجديد أمام « جزيرة العرب» .

(٢) موقف الأشراف فى العراق وشرق الأردن ، وعلى الأخص فى المدة الأخيرة ذلك الموقف الذى إن ترك على حاله فسينتج عواقب وخيمة .

(٣) موقف البولشفيك بإزاء « جزيرة العرب » ، ومحاربته النفوذ الاقتصادى البريطانى .

لقد كانت الحكومة البريطانية ولا تزال أكثر الحكومات علاقة بجزيرة العرب ولم نجد دولة من الدول تزاحمها فى علاقاتها هذه ، ولكن ظهرت مجددة حكومة إيطاليا في البحر الأحمر ، وجعلت تفكر فى توسيع أطماعها توسيعا عظيما . وقد عرضت علينا – حتى قبل مداخلتها مع الإمام يحيى – الدخول فى اتفاق معها ، وكان ذلك فى بدء دخولنا الحجاز ، فلم نرد عمل تلك الصلة ، رغبة فى توطيد علاقاتنا السياسية بالحكومة البريطانية ولما يئست الحكومة الإيطالية من هذه الجهة ، أسرعت للامام يحيى ، وعقدت معه ذلك الاتفاق التجارى الذى أعلن ، ثم أعقبته فيما يغلب على ظننا باتفاق سرى ظهرت بوادر شره من آثار، فى مفاوضاتها الأخيرة معنا ، بشأن اعترافها بملكية الحجاز ونجد وملحقاتها

فقد كان آخر مطالبها منا أن نتعهد لها بحفظ السلم والسكينة فى « جزيرة العرب » التى هى غاية حكومة جلالة ملك إيطاليا ، ووَضَعت مسألة عَسِير على بساط البحث ، بصورة جلية ، بحيث طلبت أن تعترف بنا ملكا على الحجاز ونجد وملحقاتها ، مع إخراج عسير من ذلك الاعتراف ، فماذا تريد إيطاليا بهذا الموقف ؟ وهل لاترى الحكومة البريطانية أن هذا تجاوز من إيطاليا على حقوق البلاد وسيادتها القومية .

ومن جهة ثانية ، لقد عملت لتقوية حليفها وتأييده ضد الحكومة البريطانية ، من جهة حدوده الملاصقة لها ، وعملت ضد صديق الحكومة البريطانية . كما أننا نرى ذلك منافيا للحديث الذى بلغنى إياه (السير جِلبرت ِكلايتُن) فى اجتماعنا فى جدة بأن نتيجة اجتماعه مع (السكافاليير غاسباريني) فى روما ، كان لإخبار الحكومة الإيطالية ، بموقف الحكومة البريطانية، فى أنها لا تريد أن تتداخل فى شئون « جزيرة العرب » كما أنها لاتقبل أن ترى غيرها يتداخل فى شئونها . فموقف الطليان هذا فى اعتقادى ، موقف غير محمود ، بالنسبة لنا ، وبالنسبة للحكومة البريطانية . أما نحن فقد أبلغنا إدارة شئون خارجيتنا ، أن تبلغ الحكومة الإيطالية ، إماأن تعترف لنابحقوقنافى بلادنا كاملة بغير شرط أو قيد ، وإلا فلسنا بحاجة لاعترافها . هذا هو الموقف مع إيطاليا ، وإنا نريد أن نكون على وِفاق تام مع الحكومة البريطانية فى هذه القضية ، حفظا على مصالحنا ومصالحها ، وإنا ننتظر ما ينتجه درسكم لهذا الموقف من النتائج الطيبة للفريقين ، إن شاء الله تعالى .

٢ — وأما مسألة موقف الأشراف فى العراق أو فى شرق الأردن ، وعلى الأخص فى الأيام الأخيرة ، فلا يدعو للارتياح ، ولا يبشر بمستقبل هدوء وسلام ، ولو كان الأمر بيننا وبينهم وحدهم لهان الأمر ، ولأنهينا القضية بوجه حازم بحول الله ، ولكن بيننا وبينهم الحكومة البريطانية ، وعهودنا وصداقتنا معها ، تلك العهود التى يهمنا المحافظة عليها ، وتلك الصداقة التى نحرص عليها ، فقد كان من شرق الأردن

بعد معاهدة جُدّة التى تقرر منع الغزو فيها ، أن تعدّدت الغارات من عشائر شرق الأردن ، بصورة كبيرة ، وكثيرة على أهل نجد ، ولم نتمكن برغم جميع المخابرات والمفاوضات السّلْمية ، من الوصول إلى شيء من المنهوب ، حتى مللنا المطالبة ، وأدّى بنا الموقف إلى أن تركنا لجناب (السير جِلْبرت كِلايتُن) حلّ هذه القضية ، بحسب التحقيق العادل ، الذى تجريه الحكومة البريطانية ، ولم نحصل على شيء بعد ذلك .

هـذا موقف شرق الأردن التى لم تنقطع غارات قبائله على عشائرنا حتى يومنا هذا .

أما موقف العراق ، فقد أقدمت حكومة العراق على نقض كثير من مواد الاتفاقيات التى كانت بيننا وبينهم ، نسرد لكم منها ما يأتى :

١ — كانت قبائل (شمّر) التى التجأت إلى العراق ، وكانت حكومة العراق أغرتهم بالالتجاء إليها ، ثم كانت تغريهم بغزونا أرادت أو أراد أولئك الأشقياء غزونا ، فأجمعوا أمرهم ، وخرجوا للأراضى السورية ، ليغزونا منها ، فأنبأنا بذلك المندوب السامى فى العراق ، فاحتججنا على ذلك ، وقلنا لهم : إذا غزونا فلا بد أنهم سيمرون إما بأراضى شرق الأُردُنّ ، وإما بأراضى العراق ؟ فلم يكن لاحتجاجنا هذا جواب إلا بعد عشرة أشهر تقريبا ، إذ أنبأنا فخامته أنه رغبة فى اطمئناننا قد بنت حكومة العراق سلسلة من قصور وقلاع على الحدود ، لمنع دخول الغزو إلينا ، فى حين أن المادة الثالثة من بروتوكول « العقير » المنعقد فى (١٢ ربيع الأول سنة ١٣٤١) تمنع كلا من الفريقين من البناء على المياه الواقعة فى الحدود ، ولم يفسر هذا العمل فى نجد إلا بأنه نقض للعهد ، وأن هذه الأبنية لم تُبْن إلا لإيقاع الشر بنجد ، وإنا نقاسى أشد المصاعب فى الوقت الحاضر على الحدود ، فى ضبط القبائل عن مقابلة الشر بمثله . وقد احتججنا على هذا العمل أربع مرات ، وأنذرنا رئيس خليج فارس بسوء النتائج ، إذا لم تُحفَظ

العهود ، و يُزال البناء ، وحتى هذه الساعة لم نحصل على نتيجة ، فى حين أن هذا الموقف الحاضر من أحرج المواقف على الحدود .

(٣) حرّمت الاتفاقات بيننا و بين العراق ، و بيننا و بين شرق الأردن ، مكاتبة أى فريق عُرْبان الفريق الآخر ، ولـكن حكومه العراق لم تمتنع عن مثل ذلك ، فقد كان آخر ماوقع بيدنا ، كتاب « لمتصرف الديوانية » يستدعى بعض رؤساء عشائرنا ، للمذاكرة فى بعض الشئون التى تتعلق بالعشائر ، فاحتججنا على ذلك للمندوب السامى فى العراق بتاريخ (١ ربيع الأول سنة ١٣٤٦) ، ولم يرد إلينا جواب حتى هذه الساعة .

مازال بعض السيارات لموظفى حكومة العراق ، و بعض طيارات تصل بين حين وآخر ، فتختلط بالعُربان ، وهذا مسبب لإحدى حالتين : إما حالة تقضى بأن العُربان التى تجول بينهم ، ينفرون منها فيأتون من الأعمال مع أصحابها ، مالا تحمد عُقباه ، ويكون بعد ذلك الخلاف من قال وقيل بيننا و بينهم . و إما أن تكون المداخلة للتأثير على بعض العُربان ، فى اتباع حكومة العراق ، وعمل المشاغبات فى داخل بلادنا . وهذه أمور نبهنا عليها حكومة العراق غير مرة ، ولم نحصل على طائل من المخابرات . وهذه مسألة فى اعتقادى ينبغى حلها حلا بشكل حازم ، لأن بقاء الموقف على حاله الحاضر سيعرض ـ لاسمح الله ـ موقف بلادنا الحالة لا نرضاها ، والجميع يعلم مقدار محافظتنا على صداقة الحكومة البريطانية ، حتى غاية الجهد . وقد شرحت لـكم هذا الموقف ، لتعملوا رأيكم فى معالجته لوضع أساس بيننا و بين الحكومة البريطانية صريح ، بإزاء موقف الأشراف ومداخلتهم فيما يعكر صفاء الود بيننا و بين الحكومة البريطانية .

أما المسألة الثالثة فهى موقف حكومة « السوفيت » وعزمها على حيازة النفوذ الاقتصادى فى بلاد العرب .

إننا نصارحكم برأينا فى هذه القضية . إننا بادئ بدء اتخذنا فى الحجاز الإجراءات

التى لاتقاوم قوانين حرية التجارة فى العالم ، واتخذنا من جهة ثانية بعض احتياطات أخرى لمنع سبق نفوذهم .

قد يكون من المفيد لاقتصاديات بلادنا، تسهيل سبل التجارة من روسيا، ولكننا نرى فى ذلك ضررا لايستهان به على مُنتجات البلاد البريطانية ، وإنه وإن لم يكن بيننا وبين الحكومة البريطانية أية اتفاقية تجارية ، لرعاية منتجاتها ، فإننا حبا فى المحافظة على المصالح البريطانية ، ومقاومة لمنافسيها ، وقَفَت حكومتنا فى الحجاز ذلك الموقف ، الذى لابد أن بلغكم أمره على أن «السوفيت» لم يأل جهدا فى التقرب منا ، وتقديم المساعدات لنا ، وهم على موقفهم وقربهم من كثير من بلاد الشرق ، ولكنا لم نزل حريصين على صداقتنا مع الحكومة البريطانية .

وقد بسطت هذه القضية لفخامتكم ، لتفكروا فى طريق لمعالجة الوسائل الاقتصادية بين البلدين ، ولتعلموا من موقفنا مقدار حرصنا على المحافظة على مصالح الحكومة البريطانية .

هذه أمور ثلاثة حَرِيّة بالنظر والتفكير بسطناها لفخامتكم بهذا الإسهاب ، ونحن واثقون من أنها ستنال من فخامتكم كل عناية ورعاية ، ونأمل أن نتوصل بفضل وساطتكم لحلول تُحفَظ بها مصالح الفريقين .

وتفضلوا بقبول فائق احتراماتنا .

٢٧

من جلالة الملك إلى « ميجر سيرل برث » ليبلغ رئيس الخليج الفارسى ، وليقدم هذا إلى دولة بريطانيا خبر اعتداء الطائرات العراقية على بدو نجد عند منطقة الحدود

[عدد م / ٣ / ٢٧ فى ١٣ شعبان سنة ١٣٤٦]

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل ، إلى سعادة (الميجر سيرل برث) باليوز دولة بريطانيا العظمى فى البحرين .

« التحية والاحترام .

وبعد ، فأرجو منكم أن توصلوا بأسرع ما يمكن ، لسعادة الكولونيل رئيس الخليج الفارسى ، ليقدّم للحكومة البريطانية ، مجموع الجهود والمصاعب التى نلاقيها ، بأسباب أعمال حكومة العراق ، وفى المدة الأخيرة ، بعد أن اضطَرَرْنا الدُّوَيش للرجوع إلى دياره ، وبعد أن ضيقنا عليه جميع أنواع التضييق ، وأقنعنا أهل نجد أننا سنحُل الخلافات التى وقعت بسبب أعمال حكومة العراق ، بطريق المفاوضات السِّلمية ، وحملناهم على استنكار أعمال الدُّويش ، وقُوطع الدُّويش وحُوصِر من كل جهة ، ولم يبق من أنواع التأديب التى لم نعملها معه ، إلا تسيير حَمْلة عليه ، وهذه لم نؤخرها إلا انتظارا لما ستأتى به المخابرات والمفاوضات ، من نتيجة البحث فى مسألة المجرمين ؛

لأنا لا نأمن من فِرار الدُّويش إلى العراق، وقبول حكومة العراق. فبعد أن وصلنا لهذه النتائج ، بفضل ما بذلناه من الجهود ، واستتب الأمن ، لم نشعر إلا بالطيارات تنذر قومنا فى ديارنا ، بأنهم سيكونون عُرْضة لنيران الطيارات ، ثم لم نشعر بعد ذلك إلا بأن الطيارات تجاوزت حدودنا ، وضربت الآمنين فى ديارنا. لذلك كان لهذا الحادث أثره العظيم فى نجد ، بعد ذلك الهدوء الذى ساد البلاد ، فقد هاج عملُ موظفى العراق بضربهم لديارنا سائر أهل نجد ، وأوجد فى نجد حالة لا نستطيع أن نقدر ما ينتج عنها ، وإنا نلقى تبعة كل ما حدث ويحدث من الحوادث على عاتق أولئك الموظفين ، الذين أتَوا فَعْلَتَهُم الشنعاء النَّكْرَاء ، بغير تبصّر بالعواقب . ولذلك نحتج بشدة على ما يأتى :

(١) على تعدى الطيارات حدودنا ، وإلقائها إنذارات على عُرْباننا .

(٢) على اعتداء الطيارات على الآمنين من رعايانا فى ديارنا ، مما لا يُبَرِّره قانون دَوْلِىّ ، وليس هناك أى سبب مُوجب يُجْبِر عليه . وأحب أن يتأكد للحكومة البريطانية ، أن هذا أبلغ سهم أصيبت به العلاقات الودية بين نجد والعراق ، وأن نتيجة التهييج الذى حصل فى نجد ، مما نخشى أن يولِّد حوادث جساما من بعده ، لسنا بمسئولين عن شىء منها ، وإنما يُسأل عنها من اعتدى من غير سبب ، وحرك الفتنة بعد سكونها ؟

هذا ما نرجو منكم إيصاله بأسرع ما يمكن .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام .

٢٨

من جلالة الملك إلى ميجر برث، فى نفس موضوع الرسالة السابقة مع زيادة فى التفصيل

[عدد م/٣/٢٧ ـ ١٦ رمضان سنة ١٣٤٦]

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل ، إلى سعادة (الميجر ميرل بيرث) باليوز دولة بريطانيا فى البحرين :

التحية والاحترام :

وبعد : فقد تلقينا كتابكم المؤرخ (٥ رمضان عدد ٨٤) المتضمن البرقية الواردة لحضرتكم ، من سعادة رئيس الخليج الفارسى ، لتقدموها إلينا ، فأرجو منكم أن ترسلوا بالسرعة لسعادة رئيس خليج فارس ، ليقدم للحكومة البريطانية بأسرع واسطة جوابنا التالى على تلك البرقية :

« إننى آسف لما وصلت إليه الحالة الحاضرة ، بسبب توالى نَقْض مَن فى العراق لعهودنا ، ويظهر أنه حتى هذه الساعة ، لم تُدرَك حقيقة الشكوى التى نشكوها، ولا نزال نرى إعراضا عن جوهر المسائل التى عرضناها على الحكومة البريطانية ، بصدد الموقف الحاضر ، وإنا نجمل هنا ، ماسبق فى صَدَد ملاحظاتنا على ماورد فى جواب الحكومة البريطانية الأخير ، فنقول :

(١) إن « مطير » لم تكن كلها المذنبة ، وإنه غير مسلم به أن الدُّوَيش خرج عن الطاعة ، أو أنه أعلن العصيان علينا . والحقيقة أن الدويش مع نفر من « مطير » أتوا فى العراق أعمالا ليست بأمرنا ، ولا نقرهم عليها . أما الدويش فى أراضينا فهو تحت أمرنا وقهرنا ، فى كل وقت وحين .

(٢) تطلب منا الحكومة البريطانية تأكيدا باتخاذنا للاجراءات لمقاصة الدويش ومنع الغارات . ومن العجب أن هذا الطلب يأتينا مُجدَّدا ، فى حين قد أكدنا للحكومة البريطانية اتخاذنا لهذه الإجراءات ، قبل اعتداء مَن فى العراق بطيارات الحكومة البريطانية على أراضينا ، وذلك فى كتبنا السابقة ، التى نرجو مراجعتها ، وقد وقَفَتْ الاعتداءات على أثر تلك الإجراءات ، وكان من نتيجة مساعينا ضد الدويش ، أن اضطرَّ مرغما للامتناع عن الغزوات ، والجلوس فى بلده ، ثم قوطع من كافة أهل نجد ، وحوصِرَ من قِبَل الحكومة ، حيث مُنِعت الأرزاق عنه ، واضطر أخيراً لمكاتبة أمير الكويت ، ليتفق معه على فتح طرق التجارة للكويت ، ولم نضرب الدويش الضربة الأخيرة ، لاقتصاص كل شئ منه ، إلا انتظارا للمفاوضات كما بيّنا ، ورغم كل هذه الإجراءات التى علمت بها الحكومة البريطانية فى وقتها ، لم يتوقف مَن فى العراق عن إنفاذ الهوى الذى لعب فى نفوسهم ، لحسم المشاكل بالتى هى أحسن ، بل تعدَّوا وأتوا من منكر الأعمال التى يقشعر لها قلب الإنسانية ، فضربوا عَنَزَة وحَرْبا وشَمَّر فى حدودنا الشمالية الغربية ، وضربوا غيرهم ، في حدودنا الشرقية الشمالية ، وكل الذين ضربوا لاذنب لهم .

(٣) إن المبدأ الذى تكرر فى الكتاب الأخير ، والذى جاء فى بعض الكتب السابقة ، وهو القاضى من قبل الحكومة البريطانية بمشروعية مطاردة أو مجازاة رعايا نجد داخل أراضى نجد ، من قِبَل موظفى العراق ، أو أى جهة فى العالم غير نجدية ، من أجل أى جُرْم اقترفه النجديون ، إن هذا مبدأ لا يُقره قانون

دَوْلِيّ، وتمنعه معاهدة بَحْرَة ومعاهدة جُدَّة، وهو مبدأ لا يمكن أن أسلِّم بمشروعيته بوجه من الوجوه، وأعتبره فى أى ساعة يعمل، ولأى سبب كان، اعتداء على استقلال نجد، وخرقا لحرمة الحقوق الدولية، ونقضا للمعاهدات بيننا، وأحتج عليه بشدة فى كل وقت وحين.

(٤) لقد أسفنا للغارة الأخيرة التى كانت فى جهة «الجُوَيْشان» وأسفنا لما وصل إلى علمنا، أن عصابات قويّة من متطرفى النجديين على الحدود، ممن أصابهم أذَى الطيارات بغير سابق ذنب أتوه، توجهوا جهات العراق، ولا نعلم الجهة التى قصدوها، لأننا اضطررنا بعد إنذار الطيارات، وإقدامها على ضرب أراضينا، وضربها لجندنا الذى كان يحرس الحدود، أن نأمر برجوع جنود الحرس من الحدود، إذ يصعُب علىّ أن أرى جندى يشتبك فى معارك مع جُند الطيران البريطانى. وبعد أن سحبنا جندنا من مناطق الحدود، قلت المعلومات التى لدينا، عن الأعمال التى تقوم بها القبائل فى تلك الأطراف.

(٥) لقد طلبت منا الحكومة البريطانية، أن نأخذ المسئولية على عاتقنا، لتمتنع عن إجراءاتها. لقد أخبرنا الحكومة من قبل، أننا مستعدون لتحمل تلك المسئولية، من حماية حدود العراق، بشروط ثلاثة نكررها هنا، ونزيد عليها شرطا رابعا، دعت إليه الحالة التى نتجت من سوء التصرف الأخير:

أولا — أن يُحترم بروتوكول «العقير» فيُهْدَم القصر المشئوم فى «بصية»، ولا يبنى غيره على الحدود.

ثانيا — أن نتعاهد مع العراق أن لا يُؤْوِى أحد الفريقين مجرما لاجئا من بلاد الفريق الآخر.

ثالثا — أن يُمنَع اختلاط الموظَّفين بعُرباننا، ودعوتهم للفرار والفساد.

رابعا — أن تقوم الحكومة البريطانية، فتوجِّه المسئولية عن الأعمال التى وقعت

على حدود العراق ، إلى المسببين لها ؛ وتحمّلهم تبعة ما صنعوا ، فبغير الحصول على هذه المطالب الأربعة ، لا أرى سبيلا للوصول إلى توقيف الهياج الحاصل .

ومن مراجعة جميع ما كتبناه وشرحناه للحكومة البريطانية عن حقيقة الموقف ، يتبين جليّا أن ما نقترحه هو الدواء الناجع لما وصلنا إليه ، وهو الذى تقضى به الحقوق والعهــود .

(٦) أمّا أن حسم هذه الأمور ، بطريق المفاوضة مع سعادة رئيس الخليج الفارسىّ ، يكون أكثر فائدة من المراسلة ، فذلك مما نوافق عليه ، وإنه إذا لم يكن مانع من قِبل سعادة رئيس الخليج من الاجتماع ، ولو فى حين عدم التمكن من القبض على العصابات التى خرجت من المتطرفين ، فإننا على استعداد لتعيين المكان والوقت الذى يمكن الاجتماع فيه ، لحل المشكل الحاضر .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام .

٢٩

من جلالة الملك إلى المؤلف ، لتبيين أمر أهل الغطغط والدُّويش وبعض الغُلاة والتعصب فى الدين ، وأنهم لم يكونوا على حق فى ذلك ، وبيان ما أنزله جلالة الملك بهم من النكال ، حتى قضى على فتنتهم

عدد ٢٤٩٤   سنة ١٣٤٧

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل ، إلى جناب المكرم الأفخم ، الشيخ حافظ وهبه سلمه الله .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد ـ فنعرفكم أنه من مدة ثلاث سنين ، وبعض هؤلاء الإخوان وخاصة أهل الغطغط والدُّويش ، وقسم من الغُلاة الذين يتشددون بالدين ، ويصير معهم تعصبات وأمور مخالفة لأمر الشرع . وقد كانوا مغرورين ، ومعهم بعض المهاجرين من البادية وهم يرون أن أمرهم حق ، لأجل محبتهم للدين .

ولكن (والحمد لله) انكشف الغطاء عن كثير من المسلمين ، ورأوا أن هذه الجماعة بين فرقتين : إحداهما تتعبد على جهل ، والأخرى لها بعض المقاصد السيئة ،

كطمع وغيره ، وتجعل الدين لها حجة ، وبهذه الأيام بعد رجوعنا ، جمعت أعيان أهل نجد مع علمائهم ، وقرروا ما قد بلغكم .

والقصد من ذلك الكشف عن الحقيقة لأغلب الناس ، وتبين أن هؤلاء الغُلاة ليسوا على حقّ .

ثم بعد ذلك أكثرنا لهم النصائح والدعوة ، لأجل براءة الذمة عند الله ، ثم النصح للرعية ، ولكن لم يُفد ذلك ، فاجتمعوا هذه الأيام ، وأشاعوا عند أهل نجد أنهم غازون ، وأن قصدهم القصور وأهل القصور التى فى حدود العراق ، يريدون بذلك خديعة أهل الحق . وبعد ذلك تبين أمرهم أنه فاسد ، وأخذوا بعض الرعايا ، فلما تحقق ذلك عند المسلمين ، وثبوا وثبة رجل واحد ، جزعا من أمرهم واجتمعوا لوضع حد حازم لهذه الأمور ، فلما تكامل جمعهم ، دعوناهم لتحكم الشريعة فى جميع أفعالهم ، وأبوا عن ذلك ، ثم بعد ذلك أرسلنا لهم الشيخ عبد الله العَنقرى ، والشيخ أبا حبيب ، ودعوهم فلم يقبلوا ، فلما رأينا مابهم من الفساد ، وعدم الامتثال للشريعة والولاية ، استعنا بالله عليهم ، وأمرنا المسلمين يمشون إليهم ، والحمد لله أخذهم الله ، وقتل منهم جملة ، والمسلمون من فضل الله لم يصابوا إلا بخسارة قليلة جدا ، تُعَد بالأصابع ، وبعد ذلك رجعوا وطلبوا العفو وتبين للقوم الذين معهم أنهم ضلوا الطريق ، وجميع من كان معهم وسلم من القتل ، عفونا عنه إلا الدُّويش وابن حُميد ، ما أعطيناهم إلا بتحكيم الشريعة فيهم لأنهم أساس الفساد ، والدويش جريح الله أعلم أنه يموت أو يحيا . وأيضا قبلوا تحكيم الشريعة فيهم لأجل أمرين : الأول (الحمد لله) تركهم الناس ، لأن منهم من قُتل ، ومنهم من زَبَّن المسلمين وعفوا عنه ، والثانى أنهم ليس لهم ملجأ . والحقيقة أننا ما كنا نحب أن يصير بين المسلمين قتل رجل واحد ، ولكن امتثالا لأمر الله

فى قتال الباغين والسعى وراء راحة المسلمين ، أجبرنا على ذلك ، والعاقبة من فضل الله حميدة للإسلام والمسلمين .

والآن (والحمد لله) أهل نجد مسرورون ومرتاحون ، العارف منهم استراح ، وحصل له مقصوده ، والجاهل ذل وبطل مقصوده ، وبموجب ذلك أحببنا تعريفكم .

نحمد الله على نعمه ، ونرجو منه دوامها ومزيدها .

هذا ما لزم بيانه ، والله يحفظكم ، والسلام .

٢٢ شوال سنة ١٣٤٧

٣٠

ملحق من جلالة الملك للمؤلف في تسلم بقية العصاة من حكومة الكويت وتيقظه للأمر، وعدم التساهل فيه

ملحق

خير وسرور إن شاء الله

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد وصلنا كتابكم المؤرخ فى ٨ رمضان ، واطلعنا على جميع ما ذكرتم من التفصيلات . فبارك الله فى همتكم وأعمالكم ، وقد اطلعنا على الكتب التى أرسلها لنا دكسن ، وكذلك كتب الشيخ أحمد آل جابر بشأن العُصاة ، ومقصودنا كما تعلمون من الإلحاح هو حسم باب الشر والفساد ، فإن وفّي الجماعة بما وعدوا فذلك المقصود ، وإن أخلفوا فى شيء ، فتكون الحجة بيدنا قائمة عليهم فى كل وقت وحين . لذلك احرصوا كل الحرص فى هذا الأمر ، واحزموا الأمر فى جميع وجوهه ، ولا تتساهلوا فى أى شيء من الأشياء ، ولا تتركوا الاحتجاج عليهم فى كل أمر يبلغكم من أمورهم. أما مسألة الوفد وتدبيره ، فسيصلكم اليوم بعد هذا مع فؤاد وابن معمر ، وتجدون طيه كتبا لدكسن جواب كتبه ، وكتابا للشيخ أحمد تطلعون عليها وتسلموها لأصحابها .

سنة ١٣٤٧

٣١

من جلالة الملك إلى المؤلف ، فى تسلّم بعض العُصاة من حكومة الكويت ويوصيه بالرفق وحسن التصرف في الأمر

ملحق

خير وسرور إن شاء الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلنا كتابكم الثانى المؤرخ ٩ رمضان ليلا وكنا كتبنا لكم قبله كتبا بالذى فى الخاطر ، ومع الكتاب كتاب للشيخ أحمد ، وكتاب لدكسن . فإن وجدت أنه بالإمكان تمهدهم خطيا كما يلى ، بدون الكتب ، فلا لزوم لتقديم الكتب ، وإلا فقدم الكتابين إليهما .

أما من جهة مقابلة القائد ، وإعطائه الورقة التى ذكرت ، أو الورقة التى ذكرنا لك ، فأولاً راجع أحمد ، وراجع دِكْسُن كتابة ، واطلب منهما أن يكتبا لك تعهداً بأنهما مسئولان عن تسليم الباقين من العُصاة فى أى وقت يكون ، وفى أى حال تصير. فإن أعطوك هذا التعهد ، يكتبونه لك مباشرة ، أو يكتبونه باسمنا ، فاخرج للقائد ، وسلمه الورقة التى طلب ، مع الاحتياط فى الكتابة ، وذكر الذين لم يخرجوا بعد . وإن كان لم يكتب دكسن والشيخ أحمد تعهدًا خطيا بالأمر ، فاكتب للقائد اعتذارا عن

الخروج إليه ؛ وإننا لا نزال نعتبر أن من وظيفة السلطات العسكرية ، تسليم الباقين من العصاة إلينا ، إلى أن تتعهد السلطات السياسية بإخراج الباقين

وإننا قد أوعزنا للنفيسى أن كل كتاب من أحمد أو من القنصل يرسله لك ، وتكسره وتشرف عليه ، لتعلمنا برأيك فيه ، وتعرف خطتك التى تمشى عليها .

المقصود من ذلك أننا نحب المجاملة معهم بكل حال تصير ، إلا إذا لم يحصل منهم إخراجهم تماما أو لم يعطوا الكفالة ، فنحن ملزمون أن ندافع ، ولكن ظنى أن أحمد ما عنده إلا التملق ، والقنصل ما يحب يعطى على نفسه مسئولية ، بسبب خوفه من أحمد . فهذا ظنى . اعرف رأيك فى الأمر ، وخذ أمرك بسياسة ، لعل الأمر ينتهى بدون إزعاج . وبالله ثم بك كفاية .

وأما مسألة الوفد فهذا ما يخالف ، لعله يكون لك تَنَس أنت وفؤاد فى الكلام معهم .

هذا آخر ما عندنا . وبالله ثم بكم كفاية .

سنة ١٣٤٧

٣٢

مذكرة من جلالة الملك إلى الحكومة البريطانية تفصيل أخبار فتنة (الدويش) ومحاربة النجديين له حتى قضوا عليه

بسم الله الرحمن الرحيم

تعلم الحكومة البريطانية ، أننا سرنا من الحجاز هذه الأيام إلى نجد ، بعد أن تلقينا منها التأييدات الكاملة ، بتعهدها بمنع العصاة الذين تجمعوا بالقرب من حدود الكويت ، من الالتجاء إلى العراق أو الكويت ، أو الاتجار معهم ، وبمنع إيصال أى مساعدة لهم من أى جهة كانت من تلك الجهات ، وسرنا ونحن عازمون على المسير للعُصاة حيث كانوا لتأديبهم التأديب الذى يبطل أمرهم ، ولا يجعلهم تقوم لهم قائمة بعده بحول الله وقوته ، ولكن أخَّرنا عن الإسراع فى ذلك ، اشتداد الحر وتعذر سَوق الجند من داخلية نجد فى هذا الفصل الشديد ، الذى تقل فيه المياه فى الطرق ، وتجف المراعى التى ترعى فيها الإبل ، لهذا أخرنا المسير إلى العُصاة ، واكتفينا بتعزيز القوة المواجهة لهم ، بحيث أصبحت بحول الله قادرة على صد أى اعتداء يقع على أى جهة من الجهات ، فى أطراف الخليج ، وصادف فى توقفنا هذا أن الدُّويش ومن معه ، حصل لهم بعض تشجيع ، من بعض الجهات التى سنورد تفاصيل أعمالها فيما يلى . ففكر أن يقوم ببعض الغزوات ، ليبرهن للجهة التى أوعزت إليه بقيامه بأعماله ، فجعل هدفه أولا فريقا من « السبعان » مقيما على ماء يسمى « القاعية » ببعد ست ساعات عن الأرطاوية ، وقد علم « السبعان »

بعزمه ، فخرجوا إليه بإبلهم التي هي ضالته التي ينشدها ليغروه بها ، فيقدم لقتالهم ، وهم يريدون بذلك اصطياده لمنازلته ، ولم يتركوا على الماء غير نسائهم وأطفالهم والعَجَزة منهم ، لأن هؤلاء لامطمع لأحد فى قتالهم ، ولكن الدُّوَيش خالفهم بطريقهم ، فلم يلتق الفريقان ، ووصل الدُّويش إلى الماء ، فوجده خالياً من القوة ، إلا من عدد قليل تمكن من التغلب عليهم ، وقتل الأطفال والنساء . ولما علم « السبعان » بأمرهم رجعوا إلى الماء للقاء الدُّويش ، فوجدوه قد فر بمن معه ، وقفل راجعا . وقطع الدَّهناء .

وحدث بعد هذا أن أناسا من الذين كانوا مع الدُّويش ، من الجماعة الذين كانوا مع ابن مشهور ، من عُتيبة وغيرهم ، بعثوا إلى رفاقهم في نجد ليطلبوا لهم الأمان منا إذا رجعوا . وكنا وعدناهم بالأمان لهم إذا قبلوا الرجوع . نازلين على حكم الشرع . فأظهر أولئك نقمتهم على الدُّوَيش وفراقَهم له ، وساروا قافلين إلى بلدهم ، فلم يمسَّهم أحد فى رجوعهم بأذى . ونظراً لما كان من تشويق مَن بالعراق لهؤلاء ، كانوا يضمرون الشر . ولما وصلوا إلى منازلهم أعلنوا بين بعض البدو أن الشريف فيصل فى العراق مؤيد لهم ، وأنه أرسل أخاه الشريف عليا ، ليهاجم الحجاز من جهة شرق الأردن ، وأنه هو مستعد للسير على نجد من جهة العراق ، إذا رآهم قاموا علينا فى داخلية بلادنا ، وكان مع العُصاة هؤلاء بعض « العتبان » الذين كانوا يعيشون فى كنف الملك فيصل فى العراق ، كمحمد الخضرى ، وعُبيد بن فيصل بن حميد وغيرهم . فسول الشيطان لقليلى العقول من « العتبان » حتى أطاعوا هؤلاء . فكان من بعضهم أن امتنع عن تأدية الزكاة . وكان من بعضهم أن نهب بضعة من الإبل لبعض المارة . فأمرنا فى الحال على القوة المستقرة في أماكنها ، أن يبادر كل فريق من مكانه ، لقتال جميع من اشترك مع البغاة فى الفعل أو الكلام أو الرأى أو المساعدة ، وسيَّرنا من عندنا قوة بإمارة ابن أخينا (خالد بن محمد) وقد قضى الله أمره فى سائر البُغاة الذين حدثتهم أنفسهم بالشر ، واستقر الأمر فى داخل نجد على الوجه الأكمل ، بفضل الله وتوفيقه . ولم يبق علينا إلا السير للبغاة فى الشمال ،

حيث نقوم بتأديبهم . وإن شاء الله لايمضى النصف من ربيع الثانى إلا وتكون القوة قد تهيأت المسير .

وقد حدث شيء جديد ، نحب أن نعرف رأى الحكومة البريطانية فيه ، حتى لايقع شيء من المشاكل فى المستقبل بسبب سوء تفاهم ، أو بأى سبب من الأسباب . وقبل إيراد هذا الأمر ، نرى أنه من المفيد جدا أن نعرض على الحكومة البريطانية ، مُجمَلَ الحوادث التى وقعت ، مما يخالف تعهد الحكومة البريطانية ، ونعتقد إعتقادا جازما ، بأنها وقعت بغير رضائها . وقبل سرد تلك الحوادث ، لانجد بُدًّا من أن نذكر بالثناء والشكر ، الجهود الطيبة ضد العُصاة، التى كانت من سائر الموظفين البريطانيين سواء المقيمون فى العراق ، أو فى الكويت ، فإنه لايوجد لدينا أى ملاحظة نذكرها على موقفهم إزاءنا ، وعلى الأخص مجموع الأنباء التى وصلتنا عن (المستر دكسن) فى الكويت، فإنها جميعها تدل على الحزم والعزم ، الذى واجه بهِ الحوادث فى موقفه مما يدل على حرصه على تنفيذ سياسة حكومته فى تلك الأطراف .

أما الأمور التى نريد أن نعرضها على أنظار الحكومة البريطانية فهى كما يلى :

١ — فى أواخر ذى الحجة وأوائل محرم أخذت مراكب العُجْمان وابن مشهور ومن معهم تقدم الكويت ، وتنزل ضيوفا على ابن صَبَاح ، واشتروا جميع ما أدركوا من سلاح وفشك .

٢ — فى ذلك التاريخ كتب ابن صَبَاح لكبارهم أعطيات من العيش والتمر ، وأعطاهم ما يقرب من ستة آلاف ريال .

٣ — وفى ذلك التاريخ أيضا اشترى ابن مشهور والعُجمان مقدار عشرين فرسا من الكويت ، منها عشرة أفراس اشتريت من صَبَاح الناصر ، أمر عليها وبيعت لهم .

٤ — وفى أوائل المحرم (يونيو) قدمت مركوبة بإمارة سُحمان ، على ابن صَبَاح وعدد رجالها ستون ، ونزلت بالعُدَيلية ، وخرج إليها عبد الله الجابر ، فأكرم وفادتهم ثم عادوا للوفرة .

٥ — وفى أواسط المحرم وصل عبد العزيز الدُّوَيش إلى « ملح » وأرسل ابن شيلان الذى معه إلى الكويت ، وقد أرسل ابن صَبَاح لولد الدُّويش ألف ريال هدية .

٦ — وفى صفر رأى عبد الرحمن القصَيبى عند ما كان فى الكويت بعد العصر عند (هلال العطيرى) هايف الفَقْم ، ومعلوم أن الفقْم هو الذى هاجم الكويت من مدة قريبة ، قبل وقعة السيلة وأخذ من رعايا الكويت أسلابا ومغانم ، وهو الذى شكت الحكومة البريطانية منه ، أنه الذى سبب قتل موظف اللاسلكى فى إحدى الطيارات البريطانية .

٧ — وفى أوائل ربيع الأول (أغسطس) أرسل الدُّويش بعد كونه على القاعية هلالا والشهيرى إلى الكويت ، ليبشرا بما تم على يدى الدويش ، من الإفساد فى القاعية ، وهذان الاثنان من رجال ابن صَبَاح ، كانا يرافقان الدُّويش فى مَغزاه .

٨ — وفى أوائل ربيع الأول أيضا أرسل سحمان إلى الكويت من يبشر بأنه أخذ أهل « ثلاثين » فى حنيذ . والحقيقة أنه هو الذى أُخِذ عَلَى ذلك الماء .

٩ — وفى التاريخ نفسه أرسل أبو وُدّ بن بشير (يدعى فيلا) أنه أخذ إحدى عشرة سيارة فى الدّهناء وأحرقها ، وهؤلاء قد أنزلوا الكويت وكلّهم مكرمون .

١٠ — وفى (٥ المحرم ١٣٤٨ = ١٢ يوليو) سافر من بغداد إلى الكويت

عُبيد بن فَيْصَل بن حميد ، مرسلا من قبل الملك فيصل ، وأفضى إليه بنتيجة مهمة ، وهو يحمل في عودته كتابا من العُصاة للملك فيصل .

١١ — وفي صفر (يوليو) عاد عُبيد بن فيصل بن حميد من بغداد ، مزودا من الملك فيصل ببعض مساعدات مالية ، فوصل الكويت ، واشترى منها أربعة من الإبل وخيمة للخروج بها مع الدهينة .

١٢ — وفي ٢٠ المحرم (٢٧ يونيو) سافر من بغداد بعد مقابلة الملك فيصل ، عليّ أبو شويربات ، ومحمد الخضري إلى الكويت ، لمقابلة الدويش وابن مشهور وابن حثلين .

١٣ — وفي ١٤ صفر (٢١ يوليو) رجع عليّ أبو شويربات إلى بغداد بكتب للملك فيصل ، وأخبر أنه وصل إلى الكويت ، وسار مع محمد الخضريّ ، إلى أن قابل الدُّويش ، ثم عاد الاثنان إلى الكويت ، فاشترى الخضريّ ذلولا ، ورجع فيها إلى الدويش ، وأما أبو شويربات فعاد إلى بغداد بالكتب التي يحملها للملك فيصل ليقدم له نتائج مساعيه .

١٤ — وفي آخر محرم سافر من بغداد إلى الكويت ، للاتصال بالعُصاة ، ومراسلتهم شُعيفان أبو شَجَرة ، ومترك بن حَجْنة ، وبُرهان الجَبَلي ، وعلى بن عبد الله ولد أبو شويربات ، وقد قابلوا الدويش وابن مشهوروالدُّهينة ، وهؤلاء لا يزالون يترددون بين بغداد والكويت ، والعُصاة على مرأى ومشهد من الناس جميعا .

١٥ — وفي (١٧ صفر ١٣٤٨ = ٢٤ يوليو) سافر من بغداد إلى الكويت ، راجحُ بن شاهين ، ومعه حمود الخَمَّاش ، أحد أقرباء عبد الله بن مسفر ، مضايفي الملك فيصل ، ومعهم ستة أفراس ، وقد أرسلوها للعصاة .

١٦ — قد علم عبد الرحمن التُّصيبي عند مروره بالكُويت ، من أوثق المصادر ،

أنه وصل إلى « الزبير » ثمانية أفراس عن يد رجل تابع لعبد الله المسفر ، وفى النية إرسال هذه الأفراس إلى العُصاة ، وقد علم القَصَيبى من المصدر الموثوق أيضا ، أنه سبق وأرسل من العراق غير هذه من قبل للعُصاة ، وعلم القُصيبى أيضا من مصدر وثيق رسمى فى الكويت ، أنه وصل إلى الكويت أبو شويربات وابن حميد ، مرسلان من قبل الملك فيصل ، ولكن « المستر دِكسن » عمل مافى إمكانه لمنع المذكورين من إنفاذ مطالبهم ورغائبهم .

١٧ — أن أشخير بن طُوالة ، المقيم على سَفَوان ؛ على اتصال دائم بالعُصاة ، وهو يحمل أخبارهم إلى بلاط بغداد ، ويقوم بالخفارة بين الملك فيصل والعُصاة ، ويَقدَم فى الشهر مرتين أو ثلاثا على بغداد .

١٨ — أن الرسل المشجعة من الملك فيصل للدويش وابن مشهور والعجمان لم تنقطع ، وهم يخبرونهم أن الملك فيصل يقول بأن الحكومة البريطانية ستساعدهم ، متى وجدت منهم أعمالا حَرْبية فعالة ضد ابن سعود .

وهذا نموذج من الأعمال التى وقعت من الكويت ، ومن الملك فيصل ، عرضناه على أنظار الحكومة البريطانية ، لتتبين صحة شكوانا بالسابق من الأشراف ، ولن يمتنعوا عن العمل الذى يؤدى بالإضرار بنا ، ويؤدى لسوء العلاقات بيننا وبين البلاد المجاورة ، ويؤدى أيضا لتعكير العلاقات بيننا وبين الحكومة البريطانية ، وليس هذا الذى ذكرنا فى الدرجة الأولى عندنا من الأهمية ، لأننا على يقين بحول الله وقوته ، أن هذه الدسائس لن تؤثر عَلَى موقفنا فى شىء ، والأشراف كانوا عاجزين عن مقاومتنا يوم كانوا فى حولهم وطَوْلهم فى الحجاز ، فالذى نصَرَنا عليهم يوم بأسهم وقوتهم ، هو الكفيل لنا بالقضاء على دسائسهم ، التى لم يكن من نتائجها المؤسفة ، إلا أننا اضطررنا لإزهاق تلك النفوس التى أغوتها تلك الدسائس ، وسنُلحق بهم إن شاء الله تعالى ، من بقى من الذين أغواهم الشيطان والدساسون ، ومَن غرتهم أنفسهم أيضا ، وهذا

لا يُهِمُّنا كثيرا ، والذى يُهمنا هو علاقاتنا مع الحكومة البريطانية ، التى نحب أن نكون معها على تفاهم فى سائر الشئون ، حتى لا يقع بيننا وبينها أى تصادم ، فى الحاضر ، ولا فى المستقبل .

لذلك نحب بعد هذه المقدمة ، أن نبين الموقف الذى أشكل علينا ، والذى نحب أن نعرف رأى الحكومة البريطانية فيه . وذلك :

١ — فى أواسط صفر ٣٤٨ قدم من العُجمان أهل مائة وخمسين بيتا ، ونزلوا فى الشامية ، والقِنطاس ، وأبو حليفة ، والشُّعَيبة ، وعُرَيفِجان .

٢ — القسم الأعظم من العُجمان نزلوا من الشامية إلى النقْرة ، إلى القصور .

٣ — آل سليمان من العُجمان نزلوا بقرب الصّبيحية .

٤ — فريق من آل سفران نزلوا على عُرَيفجان .

٥ — الرشايدة نزلوا على القرين .

٦ — وفى ٢٥ ربيع الأول نزل الدُّويش ومن معه من مطير ، من القرين إلى الصبيحية فى حدود الكويت .

فمن هذا يتبين للحكومة البريطانية ، أن التعهد الذى نِلناه من الحكومة البريطانية ، فى منع التجاء العُصاة إلى أراضى الكويت ، لم تف به حكومة الكويت وهؤلاء هم العصاة قد حملوا أموالهم ونساءهم ومما يخافون عليه ، ووضعوه فى مأمن من أراضى الكويت ، وخرج أهل السلاح والكفاح منهم لأراضى نجد ، ليعثوا فيها فسادا ، وكانت الحكومة البريطانية وعدت أنه فى حين التجائهم ، ستطردهم بالقوة ، وها هم جلسوا آمنين ، ونحن على أُهْبة المسير إليهم ، ولا يُهمنا أمر الكويت ولا من فيه ، وإنما المهم فى نظرنا هو موقف الحكومة البريطانية ، إذا بقى هؤلاء فى أراضى الكويت ، وأردنا الهجوم عليهم فهل لدى الحكومة البريطانية مانع من هذا ؟ وإن كان عندها مانع فيه ، فما التدبير الذى نراه للإيقاع بهؤلاء الأشقياء ، الذين كانت

أعمال شقاوتهم تصيب الكويت أكثر من إصابتها أى بلد آخر . هذا أولا . وثانيا فإن التشجيع لا يزال يتوالى على الدّويش ومن معه من ملك العراق ، وآخر اقتراح قُدِّم للثوار من الملك فيصل ، أن يسير الدُّويش بمن معه لدخول أراضى العراق ، والسير منها إلى أراضى سورية ، ونحن كنا أعددنا قوة للوقوف فى وجه الدُّويش إذا أراد الفِرار لسورية ، وجعلنا تلك القوة تحت إمارة أميرنا ابن مساعد ، وقد خيم بجنوده من مدة بعيدة على (أقبة) فما موقف الحكومة البريطانية إذا أراد هؤلاء الأشقياء أن يفروا إلى سورية عن طريق العراق ؟

و إننا نخشى جدا أن ينفُذ الوعد الذى تداوله العُصاة بينهم ، بأن حكومة العراق أوالملك فيصلا وعدهم أنهم إذا قصدوا ذلك ، فإنه يسحب القوة العراقية من طريقهم ليمروا . ثم يُذاع أنهم مروا من الأراضى العراقية خِلسة ، بغير علم أحد بهم ، وترى الحكومة البريطانية أنه إذا وقع هذا يضر بمصالحنا ومصالح العراق معا .

ومما يقوى هذه الشبهة ، ويؤيد هذا الاحتمال . ما أخبرنا به المندوب السامى فى العراق ، وماأخبرت الخارجية سعادة المعتمد فى جُدّة عن سفر بن مشهور إلى بغداد . لتأمين هذه الغاية . فهل ترى الحكومة البريطانية مانعا من أن نرسل قوة تقف بالقرب من حدود العراق ، تترقب فرار هؤلاء الأشرار ؟ حتى إذا علمت بهم أوقعت بهم حيث يكونون . ثم لو فرضنا أن تمكن هؤلاء من الفرار والوصول إلى سورية . فهل ترى الحكومة البريطانية مانعا من اجتيازنا الأراضى التى يجرى عليها النفوذ البريطانى . لنصل إليهم .

إن هذه أمور محتملة الوقوع بعد مسيرنا إلى العصاة . لأننا عازمون بحول الله وقوته على تعقبهم حيث يكونون . حتي نأتى على آخرهم بحول الله وقوته . فنحب أن نعرف آراء الحكومة البريطانية بصراحة ووضوح إزاء هذه الاحتمالات : الواقع منها

مثل الالتجاء الواقع فى حدود الكويت . وماهو محتمل الوقوع . كفرار الذين سيفرون إلى الأراضى السورية عن طريق العراق .

هذا ماننتظر الجواب عنه من الحكومة البريطانية . وقد كتبنا بمآل هذه الأنباء الحاصلة من الكويت والعراق للمندوب السامى فى العراق . ولرئيس الخليج الفارسى لإحاطتهما علما بما يجرى مخالفا لرغائب الحكومة البريطانية وتعهداتها .

طبق الأصل　　　　　　الختم الملوكى

تحريرا فى { ٢٢ ربيع الثانى سنة ١٣٤٨
١٩٢٩/٩/٢٦ }

٣٣

بشأن: محاضرة المستر فلبى عن فلسطين، وتقريره أن العرب قابلون لهذا التقسيم، واعتراض المؤلف عليه

صورة كتاب مرسل إلى جلالة الملك عبد العزيز

١٩ جماد أول سنة ٥٦
٢٧ يوليو سنة ٣٧

بالأمس ألقى مستر فلبى محاضرة عن فلسطين والمشاكل العربية، تكلم فيها عن شخص جلالتكم كلاما حسنا، لاسيما ما يتعلق برحلته، وأما عن فلسطين فقد دافع عن مشروع اللجنة، كأنه عضو من أعضائها، ولكنه اقترح أن المنطقة العربية التى ألحقت بالدولة اليهودية، تلحق إما بالمنطقة العربية، أو بسورية. وعن العقبة تلحق بالحجاز، لأنها قطعة منه. وقال فى آخر المحاضرة: إنه يعتقد تمام الاعتقاد، أن العرب قابلون لهذا التقسيم، مع هذا التعديل. فسأله أحد الحضور وهو عضو فى البرلمان من أين عرف مستر فلبى بقبول العرب؟ وهل يقصد العرب المجاورين لفلسطين، أم عرب فلسطين أنفسهم ؟ لأنهم يعرفون حتى الآن أن عرب فلسطين يرفضون المشروع، وأن العراق وسورية قد احتجتا على المشروع ؟.

فأجاب مستر فلبى بأنه لا يتكلم عن رأى خاص له، وإنما يتكلم عن خبرة طويلة، ومعرفة دقيقة لبلاد العرب.

ولما كان مركزى لايمكننى من الدخول فى مناقشة عَلَنية فى هذه البلاد،

فقد فضلت السكوت مؤقتا، ولكن بعد انتهاء الجلسة أخبرت البارزين من الحاضرين بأن مستر فابي مخطئ في نظريته . وأن رأيه شخصى فقط . وإنى آسف أن تجاربه فى البلاد العربية إذا كانت على هذا الحال هى تجارب خاطئة ، فوجدت الجميع متفقين معى عَلَى هذا الرأى ، وأن فابي قد تطرف فى رأيه الذى لا يتفق مع ما يفهمه الجميع ، من موقف العرب جميعا إزاء مشروع التقسيم .

ومن الغريب أن يقول مستر فابي هذا الكلام ، مع أنى أخبرته قبل يومين . وفى نفس اليوم كنا معا فى الغداء ، للمحادثة فى مسألة السيارات . وأخبرته بأن جلالة الملك غير راض عن المشروع ، وأنه يَعُده نكبة على الإسلام والعرب . فسألنى لماذا لم يعلن جلالة الملك رأيه ؟ فقلت له : جلالة الملك سيعلن رأيه فى الوقت المناسب ، وأنه ليس من اللياقة ما دام الموضوع موضوع بحث من حكومتين ، أن تعلن إحدى الحكومتين عن رأيها فى الصحف . فقال : إن رفض المشروع خطأ كبير ، وإن هذه الفرصة لا تتاح للعرب بعد ذلك ، وإن العرب إذا رفضوا المشروع ، فلن يدافع عن قضية العرب بعد ذلك . فقلت له : إن من يدافع عن العرب لا يلزمهم أن يتفقوا معه فى كل آرائه ، فلكلّ رأيه ، وصاحب الدار أعلم .

ملحق من جلالة الملك إلى المؤلف ، ينفى فيه ما قاله « فابى » عن رضا جلالته بمشروع تقسيم أراضى فلسطين ، وينكر على مقاله أمورا أخرى

الرقم ٢٥ / ١ / ١٢ التاريخ ٨ / ٥ / ١٣٥٦

ملحق خير إن شاء الله ، للشيخ حافظ

يجب أن تذكر لفابي من قِبَل المقالة التى كتبها عن فلسطين ، أنه هو حر بنفسه ، ولا لنا عليه اعتراض ، ولكن هذه المقالة صار عليها ثلاثة أمور :

(أولا) الناس قالوا ما كتبها فلبي إلا برضا ابن سعود . وأن هذا هو رأى ابن سعود ، وأنت تعرف رأينا ، ونحن نبرأ إلى الله من هذا الرأى الذى ذكره .

(ثانيا) المسيحيون الذين يعترضون عليه ، ويتحرشون به ، قالوا : هذه بادرة من فلبي ، وستجدون منه غير ذلك . كأن يطالب بإنصاف العرب ، ويتكلم عن الإنكليز وقد بدا له الآن تغيير الخطة ، وبالحقيقة أن مقالته فيها تغيير للخِطة .

(ثالثا) أن العرب الذين ينتقدوننا ، سيقولون من أجل هذه المقالة ، الأقوال التى أخبرتم بها . فأقنعه أن الرجل نثق به كما نثق بأنفسنا ، وأن حميته على العرب مشهورة ، ولا يمكن أن نقبل منه هذا الرأى . ولما نشرت هذه المقالة أثارت الناس ، ولأهل الأغراض مقاصد وأهواء ، فإن كان عمل هذه المقالة عمدا ، وأن خطته تغيرت ،

فهو حر فى نفسه ، ولا لنا اعتراض على شخص حر . أما إن كان على خطته السابقة ، ولهجته مع العرب ، فيقتضى أن يعلم أن المقالة مخالفة كل المخالفة لنا ، ومضرة بمصلحة العرب .

ونحن بموجب الصداقة التى بيننا وبينه ، وبموجب محسوبيته علينا ، أحببنا أن نبين له ذلك ، فإن كان على خطته التى نعرف ، فنحن نعرف مسلكه إيش هو ؟ وأما إن كان اختار طريقا ثانيا غير التى نعرفها ، فهو حر بنفسه ، لأن الحقيقة أن مقالته خبيثة ، وأحببنا أن نبين له حتى نشوف ماعنده .

احرصوا على ذلك يكون معلوما . والسلام .

٣٥

من المؤلف إلى جلالة الملك ، يتضمن أن بعض زعماء الصهيونية (بن جوريون) طلب مقابلة جلالة الملك ، وأن المؤلف أجاب بأن جلالته لايرى داعيا لهذه المقابلة

٥٤ / ٩ ٢٩ شوال سنة ١٣٥٧

١ / ٩ ٢١ ديسمبر سنة ١٩٣٨

حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد : فقد طلب منا أحد زعماء الصهيونية ، واسمه (بن جوريون) أن نسعى له فى مقابلة جلالتكم ، فأجبته أن جلالتكم لاترون داعيا لمقابلة أحد من زعماء الحركة الصهيونية ، وأخبرته أيضا أن مثل هذه الرغبة أبديت فى العام الماضى ، لمقابلة سمو ولى العهد ، بواسطة فلبى ، وأن جلالتكم رفضتم السماح بذلك . وإذا كان جلالة الملك لايسمح بمثل هذه المقابلة مع ولى عهده ، فهو بالأولى لايرى داعيا لمقابلة زعماء الصهيونية بنفسه ، فاحتج بأنه صديق فلبى ، فأكدت له أن ذلك لايغير من الموضوع لا قليلا ولا كثيرا ، ولم أحب أن أراجعكم برقيا فى هذا . لعدم أهمية الموضوع ولمعرفتى برأى جلالتكم فيه .

وتفضلوا بقبول أسمى التحية والاحترام .

٣٦

ملحـــق

من جلالة الملك إلى المؤلف بالمفوضـــية السعودية في لندن ، يثنى عليه فيما صنع في أمر عبد الله فلبي ، وتهمة تقسيم فلسطين ، كما يثنى على سائر تصرفاته وأعماله

الرقم ٢٨ / ٦ / ١ / ٤٨٩ التاريخ ١٣ / ٤ ١٣٥٩

ملحق للمفوضية بلندن

تلقينا كتبكم وأبحاثـكم فيما يتعلق بمسألة عبد الله ، وفيما يتعلق بمسألة فلسطين ، (رقم ١١ / ١١ تاريخ ٢٣ / ٣ / ١٣٥٩) وكل أقوالـكم وكل أبحاثـكم طيبة . بارك الله فيكم . وكذلك تلقينا تقريركم بتاريخ (١٢ / ٣ / ١٣٥٩ بدون رقم) ولا يوجد فيه شيء يحتاج إلى إرسال أى تعليمات فيه ، أو بيان أى رأى . إنما كان ذلك وصفا لمساعيكم وأعمالـكم ، التى قمتم بها فى العراق ومصر ولندن ، بحسب التعليمات التى كنا قد أمرنا كم بها . ونحن مسرورون من أخباركم ومن عملـكم . ونعتقد أنه غـير خاف عليـكم حَرَج الموقف ، فأنتم انتهزوا الفرص فى المسائل المذكورة ، بدون ضغط على الجماعة أو تشديد ، إلا عن طريق النصيحة ، بحسب سعيكم الحاضر ، يكـون معلوما . والسلام .
